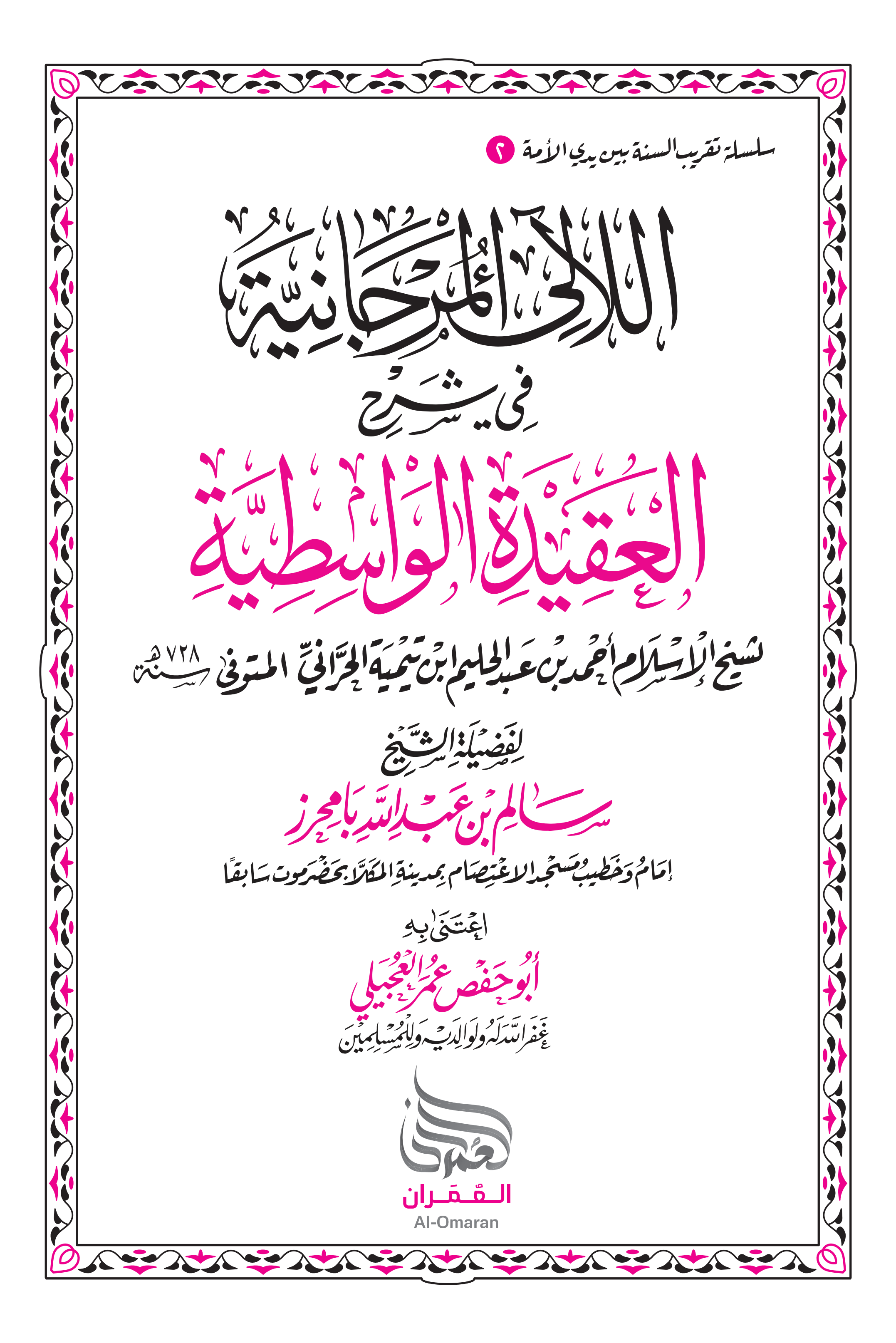


سلسلة تقريب السنة بين يدي الأمة (٢)

# اللآلئ المرجانية
## في شرح
# العقيدة الواسطية

لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحرَّانيِّ المتوفى سنة ٧٢٨هـ


لفضيلة الشيخ

**سالم بن عبد الله بامحرز**

إمام وخطيب مسجد الاعتصام بمدينة المكلا بحضرموت سابقًا

اعتنى به

**أبو حفص عمر العجيلي**

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين



العُمَران

Al-Omaran





1445هـ - 2023م

رقم الإيداع:

العُمران
Al-Omaran



## مقدمة المؤلف

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والحمد لله الذي شرع لنا من الشرائع أعظمها وأسماها، دين الإسلام العظيم، وذلك فضل من الله وكرم ومِنّة مِنْه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فمن آمن بالله ووحَّده حق التوحيد سعد في الدارين، يوم وفق لتحقيق الأمر العظيم الذي خلق له في هذه الدنيا؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾[الذاريات:٥٦] فذاك أسعد الناس وأعظمهم حظًّا في الدارين، وأما من كفر بالله تعالىٰ وأشرك، فقد ضلَّ ضلالًا بعيدًا؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١١٦﴾[النساء:١١٦].

ولتحقيق كمال التوحيد الواجب، والاطلاع والتفقه في عقيدة أهل السنة التي سار عليها سلف الأمة من من عهد القرون المفضلة الذين رباهم رسول الله ﷺ، علىٰ التوحيد والعقيدة السليمة علمًا وعملًا، وقد أثنىٰ عليها رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ، وبيَّن أنهم القدوة في الدين بعده، فقال صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**خَيْرُ النَّاس قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**» الحديث[١].

---

(١) «صحيح البخاري» (٢٦٥٢)، «صحيح مسلم» (٢٥٣٣).

وإن من تمام الاقتداء بتلك القرون، أخذ العلم عنهم في التوحيد والعقيدة والعبادات والمعاملات والآداب، فهذا هو المنهج السلفي الرصين، من أتقن تعلمه وعمل به نجا في الدارين، وأدرك النعيم المقيم يوم يلقىٰ الله تعالىٰ.

ومن المؤلفات المباركة في عقيدة أهل السنة الكتاب المبارك: «العقيدة الواسطية» لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وهذا الكتاب المبارك قد اشتمل علىٰ أصول عقيدة أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات لله تعالىٰ، فحري بكل طالب علمٍ بل بكل مسلمٍ سنّي سلفي يتعبد الله بعقيدة السلف الصالح، أن يطَّلع علىٰ هذا الكتاب المبارك ويتفقه بما تضمنه من الأصول العظيمة، وبحمد الله قد تيسر لنا جمع شرحٍ ميسرٍ لهذا الكتاب في دروس ألقيناها علىٰ بعض إخواننا في زمن مضىٰ، ثم إنه قد يسر الله عَزَّوَجَلَّ أن قام أخونا الفاضل المبارك - بإذن الله- الأخ العزيز: أبو حفص عمر العجيلي[(١)]، جزاه الله خير الجزاء علىٰ ما قام به من جهد مبارك في عنايته بهذه الدروس ومراجعتها وعزو الأحاديث والنقولات لمصادرها وإعدادها للطباعة في كتاب، لعل الله عَزَّوَجَلَّ أن ينفع بجامع شرحه وجامع تفريغه وكاتب حاشيته وكل من اطلع عليه، ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعل عملنا جميعًا خالصًا لوجه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، إنه ولي ذلك والقادر عليه عَزَّوَجَلَّ، والحمد لله رب العالمين.

كتبه بمدينة الرياض:

**أبو أنور سالم بن عبد الله بامحرز**

في يوم السبت الموافق (٤) من شهر ربيع الآخر سنة (١٤٤٤) للهجرة

(محرر في ٤-٤-١٤٤٤ للهجرة)

---

(١) جزىٰ الله شيخنا ووالدنا علىٰ حسن ظنه بابنه، ونفع الله بعلمه وبارك في عمره، وما عملي إلا جهد قليل ضعيف، ونسأل الله أن يكتب لي الأجر ويغفر لي. أبو حفص عمر بن عبد القادر العجيلي – براك الشاطئ – ليبيا.

## مقدمة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ لله ربّ العالمين، والصلاةُ والسلام علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

**وبعد:**

فبفضل الله وعونه نبدأ بشرح هذا الكتاب المبارك كتاب: «**العقيدة الواسطية**» لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)].

**وسبب تسمية هذا الكتاب**: أن أحدَ قضاة بلاد واسط في الشام طلب من ابن تيمية أن يكتب لهم كتابًا مختصرًا لعقيدة أهل السنة والجماعة، فكتب لهم هذا الكتاب المبارك الذي هو كتابٌ مختصر مشتمل علىٰ أصول عقيدة أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات لله تعالىٰ، وهذا الكتاب -في الحقيقة- لا يستغني عن تعلمه كل طالبِ علمٍ بل كل مسلمٍ سنّي سلفي يتعبد الله بعقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة.



(١) والشرح عبارة عن دروسٍ صوتية ألقاها الشيخ عبر الإنترنت.

• قال شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني رَحِمَهُ ٱللَّهُ المولود سنة (٦٦١) والمتوفي سنة (٧٢٨) للهجرة:

«بِسْمِ اللهِ الرحمنِ الرحيم

الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللهِ شَهِيدًا».

«بِسم الله»: ابتدأ بالبسملة اقتداءً بكتاب الله وسنة رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ في رسائله، وهكذا الرسل من قبله، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠﴾ [النمل: ٣٠].

« الحَمْدُ للهِ»: **الحمد هو**: وصف المحمود بالكمال مع المحبة والتعظيم.

«أَرْسَلَ رَسُولَهُ»: الرسول هنا اسم جنس؛ ومعناه: من أوحىٰ الله إليه من الرجال بشريعة وأُمر بتبليغها، والمقصود هنا مُحمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ رسول الله وخاتم الرسل، فقد أرسله الله وجميع الرسل بالهدىٰ، **والهدىٰ**: هو العلم النافع، وأعظمها القرآن الكريم والسنة المباركة.

«وَدِينِ الْحَقِّ»: فالدين دين الإسلام، والحق ضد الباطل، فدين الله متضمن لجلب المصالح ودرء المفاسد بما جاء في القرآن والسنة من الأحكام والأخبار.

«لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ»؛ أي: ليُعليه علىٰ جميع الأديان بالحجة والبيان والجهاد حتىٰ يظهر علىٰ مخالفيه من جميع أهل الأرض من عرب وعجم.

«وَكَفَىٰ بِاللهِ شَهِيدًا»؛ أي: وكفت شهادة الله لرسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه رسوله، وأنه مكّنه ونصره بهذا الدين علىٰ مخالفيه وأعدائه ممن علىٰ وجه الأرض، فأرسله داعيًا إلىٰ توحيد الله تعالىٰ؛ أي: الإقرار بألوهية الله وحده مع إخلاص العبادة له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومع كثرة مخالفيه فقد نصره الله نصرًا عظيمًا ففتح بدينه شرق

الأرض وغربها، وأباد به أعظم دولتين كانتا في زمانه فارس والروم.

وأعظم شهادة من الله لرسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ القرآن الكريم، إن الله أنزل عليه هذا الكتاب العظيم شاهدًا بصدق رسالته، ومقيمًا الحجة علىٰ الثقلين من الإنس والجن.

«وأَشْهَدُ أَنْ لا إلَهَ إلَّا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ إِقْرَارًا بِهِ وَتَوْحِيدًا».

فيها الإقرار بالنطق معبراً عمَّا في القلب من اليقين بوحدانية الله، وأنه لا معبود بحق إلا الله.

«وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا مَزِيدًا».

فيه شهادة أنَّ محمد بن عبد الله بن عبد المطلب القرشي الهاشمي الذي هو عبد الله ورسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهو أشدّهم عبادةً لله، **والصلاة من الله علىٰ الرسول هو**: ثناؤه عليه في الملأ الأعلىٰ، **وآله** هم: أتباعه وآل بيته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ثم دعا له ولآله بمزيد السلامة من جميع الآفات.

«أما بعد: فَهَذَا اعْتِقَادُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْـمَنْصُورَةِ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْـجَمَاعَةِ».

**الاعتقاد**: هو حكم الذهن الجازم فإن طابق الواقع فهو صحيح، وإن خالف الواقع فهو اعتقاد فاسد، فاعتقاد المسلم أن الله واحد: صحيح، واعتقاد النصراني أن الله ثالث ثلاثة: باطل؛ لأنه مخالف للواقع.

إذًا فهذه العقيدة هي عقيدة الفرقة النَّاجية.

«الفرقة النَّاجية»: هذا فيه إشارة لحديث الافتراق، فعن معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «ألا إن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قام فينا فقال: **أَلَا إِنَّ مَن قَبْلَكُم**

مِن أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَىٰ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِين مِلَّة، وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلَّة سَتَفْتَرِقُ عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ؛ ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِي الجَنَّةِ؛ وَهِي: الجَمَاعَة»[(١)]، وقد ثبت في الحديث الصحيح أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «افْتَرَقَتِ اليَهُودُ عَلَىٰ إِحْدَىٰ وَسَبْعِين فِرْقَة، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَة، وَسَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الأُمَّةُ عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَة، كُلّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَة، قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: مَنْ كَانَ عَلَىٰ مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»[(٢)]، وفي بعض الروايات: «هِيَ الْجَمَاعَة»[(٣)]، وفي رواية معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «هِيَ الجَمَاعَة»، تحديد الفرقة الناجية، وفي هذا الحديث اختلفت أقوال العلماء، فقد ذكر فيها الإمام الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب الاعتصام خمسة أقوال عزاها إلىٰ قائليها إلا قولًا واحدًا لم يعزه؛ وهو: حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عنه؛ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ إِلَىٰ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَة كُلّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةٌ وَهِيَ: الْجَمَاعَةُ»، ورواية: «مَنْ كَانَ عَلَىٰ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي» عند الترمذي فيه ضعف ينجبر بالشواهد.

الفرقة الناجية واحدة فقط، هم أهل السنة والجماعة، وغيرهم من الفرق الأخرىٰ فهي فرق هالكة، لفظ: «كُلُّهُم فِي النَّارِ»، لفظ عام، وهذا الهلاك قد يكون خلودًا لمن وقع في بدعة مكفرة، وقد يكون دون ذلك، إذًا نقول ما عدا أهل السنة والجماعة من الفرق الأخرىٰ هم هالكون، فالأشاعرة ليسوا من أهل السنة؛ لأنهم ينكرون صفات الله ولا يقرون إلا بسبع صفات فقط: الحياة، والكلام، والبصر، والسمع، والإرادة، والعلم، والقدرة، وينفون ما عداها.

---

(١) أخرجه أبوداود (٤٥٩٧) وغيره، «الصحيحة» (١/ ٤٠٤- حديث ٢٠٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٤١)، «الصحيحة» (١٣٤٨).

(٣) أخرجه أبوداود (٤٥٩٧) وغيره، «الصحيحة» (١/ ٤٠٤- حديث ٢٠٤).

وكذلك الماتريدية، وغيرهم من أهل الضلال من الفرق الأخرىٰ: كالجهمية، والمعتزلة، والرافضة، والخوارج، فهؤلاء خالفوا أهل السنة في أصول العقائد.

**وقوله**: «الفرقة»: أي: الطائفة والجماعة، «الناجية»: أي: التي نجت من الهلاك وسلمت من الشرور في الدنيا والآخرة، «المنصورة»: أي: المؤيدة من الله، وهذا الوصف مأخوذ مما جاء في حديث ثوبان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِن أُمَّتِي عَلَىٰ الحَقِّ ظَاهِرِينَ، لَا يَضُرُّهُم مَن خَذَلَهُم أَوْ خَالَفَهُم حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ**»[(١)] أي: حتىٰ تقوم الساعة، ومجيء ساعة موتهم حين تجيء الريح التي تقبض روح كل مؤمن، وأما الساعة التي تقوم علىٰ شرار أهل الأرض فهي ما جاء في «صحيح مسلم» من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ لَا يُقَال فِي الْأَرْضِ: الله، الله**»[(٢)]، وفي «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ رِيحًا مِنَ الْيَمَنِ أَلْيَنُ مِنَ الْحَرِيرِ، فَلَا تَدَع أَحَدًا فِي قَلْبِهِ** -قال أبو علقمة: **مِثْقَال حَبَّةٍ**، وقال عبد العزيز: **مِثْقَال ذَرَّةٍ- مِنْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ**»[(٣)].

«أهل السنة والجماعة»: هم علىٰ سنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ عقيدةً وعملًا.

«الجماعة»: أي: هم مجتمعون علىٰ الحق والسنة، فهم أهل سنة واجتماع، وهذا أعظم ما يميّزهم عن الفرق الضالة، فلا خلاف بينهم في التوحيد ولا في أسماء الله وصفاته، كذلك لا اختلاف بينهم في اليوم الآخر وما يكون من الصراط والحوض

---

(١) «صحيح مسلم» (١٩٢٠).

(٢) «صحيح مسلم» (١٤٨).

(٣) «صحيح مسلم» (١١٧).

والميزان والجنة والنار إلىٰ غير ذلك مما أخبر به الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وجاء في كتاب الله تعالىٰ، وهم مجتمعون علىٰ ذلك، لكن قد يختلفون في جزئيات وتفاصيل أخرىٰ في بعض المسائل: كاختلافهم في الميزان؛ هل الميزان واحد أم متعدد؟ وهل يوزن الإنسان ذاته أم توزن الأعمال أم الصحائف؟ وكذلك هل العذاب في البرزخ علىٰ الروح أم علىٰ الجسد؟ وكذلك فيما يتعلق برؤية الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لربه في المعراج؛ هل رَآه بعين رأسه أو غيرها؟ واختلافهم هذا ليس في الأصول، وإنما في جزيئات، وسبب اختلافهم في هذه المسائل الاجتهاد في فهم النصوص، وتكون الفهوم محتملة، ولا يعدُّ المخالف فيها ضالًّا مبتدعًا، مع اتفاقهم في اتباع الدليل، خلافًا للمبتدعة؛ فإنهم فرق لا يجتمعون علىٰ أصول، فأهل الضلال لهم أئمة يقولون ما يشاؤون ولا يخالفهم أتباعهم، ولذلك تجد فرقهم كثيرة كفرق الرافضة، وكذلك فرق الصوفية وغيرهم؛ ولأنهم لا دليل في اختلافهم ولا ضابط، وإنما الهوىٰ والضلال، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ١٥٩﴾ [الأنعام: ١٥٩]، بل إن أهل الضلال يزعمون أن أئمتهم معصومون، ولذلك يصدقونهم ويقولون: إن أقوال أئمتهم حجة، إذًا سيقولون ما يشاؤون وسيصدّقهم الأتباع، وكل صاحب جدل له أتباع يعظمونه، ولذلك تجد أهل البدع لا تكاد لهم حصرًا كالرافضة والصوفية وغيرهم.

وفي قوله: «ثلاث وسبعون فرقة»: هذا في الفرق الكبار ورؤوس أهل البدع، وهنا ينبغي لمن سار علىٰ منهج أهل السنة والجماعة أن يحرص علىٰ اتِّباع الدليل ويحذر المخالفة والتقليد، وعليه أن يتعلم هذه الأصول، أصول أهل السنة والجماعة العظيمة التي جاء ذكرها في كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وجمعها أهل العلم في هذه الكتب المباركة كهذا الكتاب: «**العقيدة الواسطية**».



• ثم انتقل بعد ذلك رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ ذكر مسائل الإيمان فقال:

«وَهُوَ الإِيمَانُ بِالله، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْـمَوْتِ، وَالإِيمَانِ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ».

«وهو الإيمان بالله»: وهو الاعتقاد الجازم الصحيح الذي عليه أهل السنة والجماعة؛ أن الله هو الخالق لجميع المخلوقات ولا خالق غيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له، فوجب القيام بذلك علمًا وعملًا، وقد دلت علىٰ ذلك نصوص الكتاب والسنة، وكذلك الفطر السليمة التي خلق الله الناس عليها، ولا يكاد ينكر هذا الأمر أحد من الناس، إذ لم تنكره قريش في جاهليتها، قال تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [لقمان: ٢٥]، والله عَزَّوَجَلَّ خلق الإنسان مفطور علىٰ توحيد الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢ - ١٧٣]، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يُحدّث عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**مَا مِن مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَىٰ الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَو يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتِجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمعَاء هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِن جَدعَاء**» ثم يقول أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ﴾ [الروم: ٣٠][(١)]».

**وقوله**: «وملائكته»: الإيمان بالملائكة، ويتضمن أنهم عالم غيبي خلقهم الله من نور، وهم طائعون له متذللون، ولكل منهم وظائف خاصة خصه الله بها، ونعلم

---

(١) «صحيح البخاري» (١٣٨٥)، «صحيح مسلم» (٢٦٥٨).

منهم ما ذكر بالأدلة من الوحيين، ثم نؤمن بما ذكره الله في كتابه من الملائكة أعظمهم: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وكان رسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يتوسل بذكرهم في دعائه في قيام الليل يقول: «**اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ...**»[(١)].

**وهؤلاء الملائكة موكلون بما فيه حياة الناس:**

١- جبريل مُوكل بالوحي قوت القلوب، وموكل أيضًا بإهلاك وعقوبة الكذابين المخالفين لهم، خلْق عظيم، أعظم الملائكة، جاء في صحيح البخاري من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ رأىٰ جبريل له ستمائة جناح[(٢)].

٢- ميكائيل موكل بالقطر وإحياء النبات.

٣- إسرافيل مُوكل بنفخ الصُّور وإحياء الأموات.

كما نؤمن بأن من الملائكة من هو موكل بقبض الأرواح وهو ملك الموت وأعوانه، ولم يرد دليل صحيح بأن اسمه عزرائيل.

ومن الملائكة المذكورون في القرآن مالك خازن النار، أما رضوان فلا دليل عليه من السنة، وممن ذكر من الملائكة مُنكر ونكِير، وما عداهم نؤمن بهم إجمالًا، ونقر بعباداتهم العظيمة لله، منهم سبعون ألف ملك يدخلون البيت المعمور كل يوم، وهم يختلفون في خلقهم:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [فاطر: ١].

والملائكة عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وقد

(١) «صحيح مسلم» (٧٧٠).

(٢) «صحيح البخاري» (٤٨٥٦)، «صحيح مسلم» (١٧٤).

خلقهم الله وليس لهم شهوات، ويعبدون الله تعالىٰ بالليل والنهار ولا يفترون.

**وقوله**: «وكتبه»؛ أي: التصديق بأن الله أنزل علىٰ رسله كتبًا، قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ [الحديد: ٢٥]، ونؤمن بأنها تضمنت كلام الله، وأنها حق من الله تعالىٰ ونور وهدىٰ، فيجب الإيمان بما سمىٰ الله منها: كالتوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن، ونؤمن بأن لله تعالىٰ سوىٰ ذلك كتبًا أنزلها علىٰ أنبيائه لا يعرف أسماءها وعددها إلا الله عَزَّوَجَلَّ.

«ورسله»: أصح ما قيل في تعريف الرسول: أنه من أُوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه، **أما النبي** فهو: من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، ومعنىٰ الإيمان بالرسل؛ أي: التصديق بأنهم صادقون فيما أخبروا به وأنهم بلغوا الرسالة وأدوا الأمانة، وأنهم بينوا ما لا يسع أحدًا جهله ممن أرسلوا إليهم، ولا تحل مخالفتهم، بل يجب إنزالهم المنزلة التي جعلها الله لهم، واحترامهم وأن لا يفرق بينهم، كما يجب الإيمان بهم جميعًا، من سمىٰ الله منهم في كتابه ومن لم يسم، ونؤمن بأن لله رسلًا وأنبياء لا يعلم عددهم إلا الله: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤]، كما نؤمن أن أفضلهم أولوا العزم وهم: محمد، إبراهيم، نوح، موسىٰ، وعيسىٰ، ثم بقية الرسل ثم الأنبياء، وأفضل الرسل والأنبياء جميعًا مُحمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، قال تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

كما نؤمن بأن أول رسل الله إلىٰ خلقه نوح؛ ودليله ما روىٰ الشيخان في حديث الشفاعة أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ أَهْلَ الْمَوْقِفِ يَقُولُونَ لِنُوحٍ: أَنْتَ أَوَّلُ رَسُولٍ أَرْسَلَهُ اللهُ إِلَىٰ أَهْلِ الْأَرْضِ**»[1]، وأما آدم عَلَيْهِٱلسَّلَامُ نبي وليس برسول،

---

(١) «صحيح البخاري» (٤٧١٢)، «صحيح مسلم» (١٩٤).

كما نؤمن أن عيسىٰ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ينزل في آخر الزمان، ودليله ما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُم ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا**»(١).

«البعث بعد الموت»: ومعناه: إخراج الناس من قبورهم بعد موتهم، نؤمن أن هذا من عقيدة أهل السنة والجماعة بدليل الكتاب والسنة والإجماع، قال تعالىٰ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ﴾ [التغابن: ٧]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ ۝١٦﴾ [المؤمنون: ١٥ – ١٦]، وقد أجمع المسلمون علىٰ البعث إجماعًا قطعيًّا، وأن الناس جميعًا سيبعثون يوم القيامة، وأن الله سيجازيهم بأعمالهم: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ۝٧ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ۝٩﴾ [القارعة: ٦ – ٩]، وقال تعالىٰ: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧ – ٨].

ومن ثمار الإيمان بالبعث: أن الإنسان إذا علم أنه سيبعث وسيحاسب علىٰ عمله في الدنيا، عمل عملًا صالحًا وخاف يوم الحساب، ومن ثماره أيضًا الاهتمام بالطاعات من الفرائض والنوافل رجاء الدرجات العلىٰ في الجنة.

**وأنواع الأدلة علىٰ البعث أربعة:**

١ – الاستدلال بالعقل: وهو أن الله الذي بدأ الخلق من العدم قادر أن يعيده بعد الفناء قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٢٧﴾ [الروم: ٢٧].

---

(١) «صحيح البخاري» (٢٢٢٢)، «صحيح مسلم» (١٥٥).

٢- إخراج النبات من الأرض الميتة: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [فصلت: ٣٩]، وهذا تشبيه بليغ، فإن الله يبعث الإنسان بعد موته من عجب الذنب كما ينبت الشجر من الأرض بقدرته تعالىٰ.

٣- إحياء الموتىٰ في الدنيا كحال صاحب البقرة، قال تعالىٰ: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [البقرة: ٧٣]، وقال تعالىٰ في ذكر إحياء عزير وحماره: ﴿وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾ [البقرة: ٢٥٩]، وفي قصة إحياء الموتىٰ لإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ الطيور الأربع، قال تعالىٰ: ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾ [البقرة: ٢٦٠].

٤- خلق السماء والأرض كما بآخر سورة يس: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس: ٧٧- ٨٣].

٥- وفي سورة «ق» دليل علىٰ البعث والنشور: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ق: ٤٢- ٤٤].

«الإيمان بالقدر»: هذا هو الركن الأخير من أركان الإيمان، **والقدر** هو: تقدير الله للأشياء، ذلك بأن الله عَزَّوَجَلَّ قد كتب مقادير كل شيء قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة كما روىٰ ذلك مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: سمعتُ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ يقول: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفِ سَنَةٍ**» وقال: «**وَعَرْشُهُ عَلَىٰ المَاءِ**»[١]، وقال تعالىٰ في كتابه العزيز: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧٠﴾ [الحج: ٧٠].

قوله: «خيره وشره»: أي: إن كل محدث في الكون من خير وشر فهو صادر عن الله عَزَّوَجَلَّ وبعلمه وتقديره ومشيئته وإرادته، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأما وصفه بالخير فإن قدر الله لمخلوقاته كله خير، وأما صفة الشر في القدر فإنما هي في المقدور، لا شر في أفعال الله عَزَّوَجَلَّ، كل أفعاله خير وحكمة، قال عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: «**وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ**»[٢]، وكذلك فإنّ الشر الذي في المقدور ليس شرًّا محضًا، بل هذا الشر قد تترتب عليه أمور هي خير، فتكون صفة الشر فيه نسبةً وأمرًا إضافيًا، وهذا هو ما ذكره العلماء.

**مثال ذلك**: خَلقُ الله لإبليس هذا خير محض، ولكن بوجود إبليس يحصل الابتلاء لبني آدم، فيكون من هذا الابتلاء خير لقوم وشر لآخرين.

**ومثال آخر** يقرب هذا المعنىٰ: فعل الطبيب حين يقطع قدم المريض لعلّة ومرض به، ففعل الطبيب ظاهره شر، ولكن هو خير للمريض لإنقاذ حياته من هلكة بسبب علة في القدم، فيرىٰ الطبيب بقاء القدم المعلولة سببًا لحصول هلاك المريض.

---

(١) «صحيح مسلم» (٢٦٥٣)، «سنن الترمذي» (٢١٥٧).

(٢) «صحيح مسلم» (٧٧١).

**وللإيمان بالقدر أربعة مراتب**: الأولىٰ: العلم، الثانية: الكتابة، الثالثة: المشيئة، الرابعة: الخلق، فلا يكمل إيمان العبد إلا بالإيمان بهذه المراتب جميعها، فمن أنكر مرتبة بعد العلم بها فقد وقع في الضلال والابتداع.

**المرتبة الأولىٰ وهي العلم**: تتضمن الإيمان الجازم بأن الله قد علم أزلًا جملة وتفصيلًا ما كان وما يكون وما سيكون، من صغير أو كبير ومن ظاهر أو باطن بكل ما يتعلق بأفعاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وأفعال مخلوقاته وأقوالهم وأرزاقهم وآجالهم، فعلمه محيط بما كان وما لم يكن، قال تعالىٰ: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾﴾ [سبأ: ٣]، وقال تعالىٰ: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ [ الأنعام: ٥٩]، فعلمه بالأشياء أزلي أبدي.

**المرتبة الثانية وهي الكتابة**: والمقصود بها أن الله كتب ما سبق في علمه في اللوح المحفوظ من مقادير الأشياء حتىٰ تقوم الساعة، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج: ٧٠]، وقال تعالىٰ: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١]، وقال تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد: ٢٢]، والدليل من السنة: ما ورد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: قال سمعتُ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفِ سَنَةٍ**»، وروىٰ البخاري في صحيحه من حديث عمران بن حصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي

صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ قال: «كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَىٰ المَاءِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ»(١)، ومنها ما جاء من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال سمعت رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ ويقول: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ فَقَالَ: اكْتُبْ، قَالَ: رَبِّ مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ»(٢).

**المرتبة الثالثة وهي المشيئة:** ومعناها الإيمان بأن مشيئة الله نافذة في كل شيء فيما يتعلق بأفعاله وأفعال عباده ومخلوقاته جميعًا، فكل ما وجد في الكون هو بمشيئة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ٤٤﴾ [فاطر: ٤٤]، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فلا حركة ولا سكون ولا هداية ولا إضلال إلا بمشيئته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

وأدلة هذه المرتبة كثيرة منها؛ قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ٢٣﴾ [الكهف: ٢٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الإنسان: ٣٠]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ﴾ [هود: ١١٨]، وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخۡتَلَفُواْ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ وَمِنۡهُم مَّن كَفَرَۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ٢٥٣﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ٢٧﴾ [إبراهيم: ٢٧]، وقوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ﴾ [الرعد: ٢٦]، فهذه الآيات وغيرها تشير إلىٰ أنه لا يمكن أن يكون شيئًا في الوجود إلا بمشيئته سبحانه، ولا يكون في ملكه إلا ما يريد.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤١٨).

(٢) «صحيح سنن أبي داود» (٤٧٠٠).

هذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة في المشيئة، أن الله خلق كل ما في الكون، ولم يخالفهم في ذلك إلا أهل الضلال كالجبرية والقدرية، وهم مجوس هذه الأمة الذين يقولون: إن العبد يخلق أفعال نفسه، فأنكروا خلق الله لأفعال العباد، ودليل بطلان قولهم أن الله تعالىٰ يقول: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦]، وغلاة القدرية أولًا أنكروا العلم، والمتأخرون منهم أقروا بالعلم، وأنكروا الكتابة والمشيئة والخلق، لكنهم قالوا -فرارًا بزعمهم من الجبر-: إن العبد هو الخالق لأفعاله بل هو يفعل ما يشاء، تعالىٰ الله عما يقولون علوًّا كبيرًا، ولذلك خالفتهم الجبرية وهم من أهل الضلال أيضًا الذين أثبتوا القدر وغلو في الإثبات، وكلاهما ضل الطريق الصحيح وابتدعوا في دين الله في مسائل الإيمان بالقدر.

والحق عند أهل السنة والجماعة الذين يثبتون خلقَ الله للعباد وخلقه لأفعالهم، فالله خالق الأفعال جميعها، وهو الذي جعل القدرة للعباد علىٰ الأفعال، وليس للعبد إلا الكسب من فعله خيرًا أو شرًا، والله يعاقبه ويجازيه علىٰ الأفعال؛ لأنه هو الذي فعلها بما أعطاه الله من القدرة علىٰ الفعل.

ومن أعظم الأدلة علىٰ بطلان الجبرية في بدعتهم، دلالة الفطرة: فإن الله فطر الناس علىٰ أن من سقط ووقع علىٰ شيء خطأ مثلًا وأضر بالغير يعذر ولا يلام لعدم قصده الإضرار بالغير ولكن حصل منه الإضرار دون تعمد وقصد، وهذا خلاف الذي يتعمد الإضرار ويقصده ثم يقول: أنا مجبر؛ هذا لا يقبل منه قوله، هكذا فطر الله الناس في تعاملهم فيما بينهم، ولا أحد ينكر هذه الفطرة من البشر.

وهناك مسألة مهمة يذكرها أهل العلم وهي مسألة تقسيم المشيئة والإرادة إلىٰ: إرادة أو مشيئة كونية وإرادة أو مشيئة شرعية:

**فالإرادة الكونية هي**: أنه لا يكون في الكون وفي ملك الله أمر واقع إلا بإرادة الله

المطلقة، فكل ما يقع في الكون إنما هو من إرادة الله تعالىٰ سواء كان ما يقع خيرًا أم شرًا، ولا اعتراض لأحد علىٰ ما يكون في ملك الله، فهذه هي الإرادة الكونية.

**وأما الإرادة الشرعية فهي**: ما شرع الله لعباده، وأمرهم من الأقوال والأفعال، وشرعه لهم مما يحبه الله ويرضاه لهم إما علىٰ الوجوب أو الاستحباب أو ما نهاهم عنه من الأقوال والأفعال وأبغضه الله علىٰ وجه التحريم أو الكراهة، فهذه تسمىٰ إرادة الله الشرعية لعباده، فمن استجاب بفعل الإرادة الشرعية وأطاع الله في ذلك وافق الإرادة الشرعية والكونية أيضًا، ومن عصىٰ الله وخالف الإرادة الشرعية فهو متمرد عن الإرادة الشرعية عاص لله في ذلك، ومع ذلك فقد وافق الإرادة الكونية.

ونضرب مثالًا لهذا الأمر في المكلفين من بني آدم الذين أمرهم الله بالإيمان به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وعدم الكفر به، فمن بني آدم من قد يخالف إرادة الله الشرعية التي أحبها الله لهم ويأتي الكفر الذي أبغضه الله منهم، فهذا وإن خالف الإرادة الشرعية التي يحبها الله وأمره بها إلا أنه لا ينفك عن موافقة الإرادة الكونية لله، فإن الله قد علم أنه سيختار الكفر فكتب كفره كونًا، والله أعلم بخلقه وما سيفعلونه كونًا قبل أن يخلقهم.

وهذه المسألة من أخطر المسائل في الاحتجاج بالقدر عند من لا يفرق بين المشيئة والإرادة علىٰ ما ذكرنا آنفًا، ومن الأدلة علىٰ هذه المسألة: قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [هود: ٣٤]، وقوله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٧]؛ أي: والله يحب أن يتوب عليكم، وقال سبحانه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وعلىٰ هذا فإن الإرادة الكونية تتعلق فيما وقع سواء أحبه الله أم لم يحبه، ويتعين فيها وقوع المراد، في حين تتعلق الإرادة الشرعية فيما أحبه سواء وقع أم لم

يقع ولا يتعين فيها وقوع المراد.

هنا يرتفع اللبس عمن يحتج بالقدر وتقوم عليه الحجة، فصدق الله القائل: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ [الأنعام: ١٤٩]، ويقول تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾﴾ [الشورىٰ: ١٦].

**المرتبة الرابعة الخلق**: وتتضمن هذه المرتبة الإيمان بالله خالق كل شيء، فخلقه شامل لكل ما في الكون، وخلقه للأشياء شامل لأعيان هذه المخلوقات وصفاتها وما يصدر عنها من الأقوال والأفعال، والدليل علىٰ هذه المرتبة قول الله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: ٩٦]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]، ومن السنة ما رواه البخاري في «خلق أفعال العباد»: عن حُذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: «**إِنَّ اللهَ يَصْنَعُ كُلَّ صَانِعٍ وَصَنْعَته**»(١).

وأفعال العباد من الله خلقًا وتقديرًا وإيجادًا، وهي من العباد فعلًا وكسبًا، فالله خالق أفعال العباد وهم الفاعلون لها.

**وخلاصة الإيمان بالقدر** أن تؤمن أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ علم مقادير الأشياء قبل وجودها، ثم كتبها في اللوح المحفوظ، ثم أوجدها بقدرته ومشيئته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في مواعيدها المقدرة، فكل خير أو شر مقدر بعلم الله ومشيئته، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ومن أدلة الإيمان بالقدر: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩]، وقوله: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾ [الأحزاب: ٣٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا

(١) أخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» (ص: ٧٣)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٣٥٧ و: ٣٥٨)، وهو مخرج في «الصحيحة» (١٦٣٧) للألباني رَحِمَهُٱللَّهُ، وفي «صحيح المسند» (٣٠٥) للعلامة الوادعي رَحِمَهُٱللَّهُ.

عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر: ٢١]، وقوله تعالىٰ: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ﴾ [الزمر: ٥٢]، ومن السنة ما جاء في الصحيح من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَم، فَقَالَ لَهُ: اكتُبْ، قَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكتُبْ القَدَرَ، مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ الْأَبَدِ**»، وفي الصحيحين ما جاء عن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه قال: «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**»(١).

وسيأتي في متن هذه الرسالة مزيد بيان لدرجة القدر ومراتبه عند أهل السنة والجماعة.

---

(١) «صحيح البخاري» (٤٩٤٩)، «صحيح مسلم» (٢٦٤٧).

• قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَمِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ: الإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ العزيز، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ محمدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ، بَلْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورىٰ: ١١]، فَلَا يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَلَا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَّوَاضِعِهِ، وَلَا يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ الله وآيَاتِهِ، وَلَا يُكَيِّفُونَ وَلَا يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ؛ لأَنَّهُ سُبْحَانَهُ: لَا سَمِيَّ لَهُ، وَلَا كُفءَ لَهُ، وَلَا نِدَّ لَهُ، وَلَا يُقَاسُ بِخَلْقِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فَإِنَّهُ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ، وَأَصْدَقُ قِيلًا، وَأَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْ خَلْقِهِ».

بعد ذكر أصول الإيمان في الأركان الستة قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبينًا ما يلحق بالإيمان بالله، الإيمان بصفات الله وما ينبغي في هذا الأمر العظيم، فقال: «ومن الإيمان بالله، الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ»: الإيمان بصفات الله الواردة في الكتاب والسنة من أشرف العلوم وهي من الفقه الأعظم، ويدل قوله هذا علىٰ وجوب حصر صفات الله وكذلك أسماء الله علىٰ ما ورد في الكتاب والسنة الصحيحة، والتحذير من تجاوز الوحيين في هذه المسألة العظيمة مع الإيمان بها كما وردت دون أن يزاد عليها، فهي توقيفية وليس لأحد أن يزيد في ذلك لقصور عقل الإنسان في إثبات شيء من هذه الصفات والأسماء العظيمة لله.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله، لا يتجاوز القرآن والحديث»(١)، وهذه الطريقة الجادة هي التي سلكها أهل السنة قديمًا وحديثًا فنجو وسلموا من الوقوع في زيغ أهل الضلال في هذا الباب

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٥/ ٢٦).

العظيم؛ لأن معرفة صفات الله وأسمائه من علم الغيب، فلا مجال للاجتهاد في معرفتها، بل نتلقاها من هذا المصدر العظيم كتاب الله والسنة الصحيحة.

**وهنا ملحظ مهم** وهو: أن من وصف الله بما لم يرد في الوحيين وإنما استعمل في وصف الله العقل والوجد وآراء البشر فقد ضل الطريق الصحيح السليم، وبهذا يكون جاحدًا بصفات الله وأسمائه الصحيحة، ومن جحد صفات الله وأسمائه بعد إقامة الحجة عليه وقع في الكفر والعياذ بالله، وهنا تظهر شناعة الذين يردون آيات الصفات ويخوضون فيها بأفهامهم الضالة وعقولهم العليلة، فتقول لأهل الضلال: أأنتم أعلم أمِ الله؟! والله تعالىٰ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١]، ولذا من الإيمان بالله أن نؤمن بكل صفة لله وردت في كتابه العزيز أو علىٰ لسان رسوله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ لأن ما جاء عن الصادق المصدوق عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إنما هو وحي من الله، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣﴾ [النجم: ٣]، ثم قال شيخ الإسلام: «من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل»، وهنا ذكر محاذير خطيرة جدًّا ينبغي أن تُحذر وتُتقي حال معرفته علىٰ صفات الله عَزَّوَجَلَّ، فقال: «من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل»، فذكر أربعة أمور كلها داخلة في الإلحاد في أسماء الله وصفاته، قال تعالىٰ: ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ﴾[الأعراف: ١٨٠].

**ومسائل هذه المحاذير الأربع من وجهين:**

**الأول:** من غير تحريف ولا تعطيل: وهذه فيها التحذير من الإنكار لصفات الله وأسمائه.

**والثاني:** من غير تكييف ولا تمثيل: وهذا فيه التحذير من الغلو، وهذ نقيض الأول؛ لأن من الناس من أنكر صفات الله وحرّف مدلولاتها وعطّل معانيها وهم أكثر

أهل الضلال، ومن الناس من غلا في إثبات صفات الله حتىٰ جعلها كصفات المخلوق وهم قلة كغلاة الرافضة والكرّامية[١] وغيرهم، وهذا الأمر ترده الفطرة السليمة؛ لأن الخالق ليس كالمخلوق، تعالىٰ الله أن يُمثَّل بخلقه.

• قال شيخ الإسلام: «التحريف»؛ أي: احذر وأنت تخوض في أسماء الله وصفاته إن كنت ممن آمن بها حقًّا أن تحرف في شيء منها، **والتحريف**: هو صرف اللفظ عن ظاهره وإمالته عن معناه بغير دليل، كتحريفهم لقول الله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، قالوا: استولىٰ؛ وهذا تحريف معنوي للنص.

وكالذين قالوا عن يد الله هي: القدرة؛ وهذا تحريف في المعنىٰ.

والتحريف ينقسم إلىٰ قسمين:

١- تحريف اللفظ.

٢- وتحريف المعنىٰ.

والتحريف اللفظي يكون بزيادة حرف أو نقصان حرف أو إحداث حركة زائدة أو ناقصة في نطقه وإعرابه، مثال تحريف الجهمية لقول الله تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ۝١٦٤﴾ [النساء: ١٦٤]، فقرأه بعضهم: ﴿وَكَلَّمَ اللهَ﴾ بنصب لفظ الجلالة حتىٰ يكون المتكلم موسىٰ وليس الله، وهذا تحريف بتغيير الحركة لغرض نفي الكلام عن الله، ولكنه خُصم بقول الله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

والتحريف بدعة يهودية أول من ابتدعها اليهود عندما قال الله لهم: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٞ﴾ [البقرة: ٥٨]، أي: حط عنا الذنوب، فحرفوها وقالوا: حنطة، فقال الله عنهم: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ﴾ [البقرة: ٥٩]، وهكذا يفعل بعض أهل

---

(١) الكرامية هم أتباع محمد بن كرام السجستاني، انظر «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٥٢٣).

التحريف.

وهذه النون في حنطة يسميها أهل السنة: «**نون اليهود**»، وشبيه بها «**لام الجهمية**» في قولهم: **استولىٰ**، لتحريف لفظة «استوىٰ» في قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ [السجدة: ٤]، تشابهت قلوبهم -قبحهم الله-، وفعل الجهمية كما يذكر أهل العلم أنه أشنع من فعل اليهود؛ لأنه تحريف في أمر عظيم وهو صفات الخالق عَزَّوَجَلَّ، وتحريف اليهود وهو قبيح لا شك لكنه في تحريف نوع من الزروع، وأكثر ما وقع في هذه الأمة -أمة الإسلام- تحريف المعنىٰ، وهو إعطاء اللفظ معنىٰ لفظ آخر لا دليل عليه، كقول الجهمية في قول الله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ﴾، قالوا: كلم أي: كلم بمعنىٰ جرح بمخالب الحكمة، فهذا تحريف في المعنىٰ.

وكما ذكرنا أن التحريف المعنوي هو أكثر ما وقع في هذه الأمة، ولم يسع الكثير من أهل الضلال التحريف اللفظي؛ لأن القرآن الكريم قد حفظه الله من التحريف اللفظي قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]، وإنما وقع التحريف اللفظي في الكتب قبله، قال تعالىٰ عن اليهود: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة: ١٣]؛ لأن الله استخلفهم في حفظ التوراة فلم يحفظوا وحرفوا فيها.

وشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا عبر بقوله: «تحريف» ولم يعبر بقوله: «تأويل»، وهذا الفعل منه عن قصد لعدة أمور:

**الأول**: أن لفظ التحريف هو اللفظ الذي جاء في القرآن، قال تعالىٰ: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة: ١٣].

**الثاني**: أن كلمة التحريف هي المطابقة للواقع.

**الثالث**: أن قوله تحريف فيه تبشيع وتنفير بخلاف التأويل ففيه لطافة؛ ولأن

التأويل ليس مذمومًا مطلقًا لأنه ينقسم إلىٰ أقسام:

**أولًا:** هو التفسير، يقال: التأويل أي: التفسير.

**ثانيًا:** التأويل يأتي بمعنىٰ الوقوع، كقول الله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ﴾ [يوسف: ١٠٠]، وقوله تعالىٰ: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ﴾ [الأعراف: ٥٣].

**ثالثًا:** التأويل يأتي بمعنىٰ صرف اللفظ عن ظاهره لمعنىٰ واجب ومراد وبدليل صحيح كقول الله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٩٨﴾ [النحل: ٩٨]، أي: إذا أردت أن تقرأ القرآن، فهذا تأويل واجب بدليل ثابت من فعل النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حين يقرأ القرآن في الصلاة.

إذًا هذه الحالات الثلاث يكون لفظ التأويل فيها صحيح علىٰ ما ذكرنا، وغيرها لا يكون صحيحًا، وهو صرف اللفظ عن ظاهره لغير معنىٰ مراد ولا صحيح، فهذا هو التأويل المذموم.

قال: «ولا تعطيل»، وهذا هو المحذور الثاني، **فما هو التعطيل؟**

**التعطيل هو:** الإخلال، قال تعالىٰ: ﴿وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ﴾ [الحج: ٤٥]، أي: خالية ومهملة ومتروكة، وكذلك التعطيل هو عدم قبول المعنىٰ والنفي والجحد الذي ورد به اللفظ، فقوله: «من غير تعطيل في الأسماء والصفات»: أي: من غير جحد للاسم والصفة الثابتة لله في الكتاب والسنة، كحال أهل البدع والضلال في صفات الله يعطلونها، تعطيلًا كليًّا وقد يكون جزئيًّا؛ فالذي يعطل كل الصفات هذا تعطيله كلي، والذي يعطل بعض الصفات تعطيله جزئي، وكل ذلك زيغ وبدعة وضلال.

فمن أنكر اليد لله في قوله تعالىٰ: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، فقد وقع في التعطيل؛ لأنه نفىٰ الصفة وسكت عنها أو جعل لها معنىٰ آخر فحرف فيها؛ فهذا

معطل لصفة من صفات الله وهي اليد.

والتحريف أشد من التعطيل لأنه أنكر الصفة وعطلها ثم حرف الصفة وقال عن الله ما ليس له به علم، فنفىٰ المعنىٰ الصحيح لليد مثلًا ثم حرف صفة اليد إلىٰ أنها القدرة أو النعمة، ولذلك يقول العلماء: كل محرف معطل وليس كل معطل محرف؛ لأن المعطل يسكت عن صفة اليد فقط ولم يحرف صفة اليد إلىٰ معنىٰ آخر، والمحرف أعظم جرمًا من المعطل وكلاهما مبتدع، وأشر المذاهب المفوضة الذين يفوضون صفات الله فعطلوا صفات الله، ومثال ذلك كالذي يقول: أنا لا أعرف معنىٰ يد الله، ويقول: أفوض هذا إلىٰ الله، فيقول: أمروها كما جاءت، فلا نعلم لها معنىٰ معين ولكن أقروها هكذا دون معنىٰ؛ فهذا رد لكلام الله المعلوم معناه في لغة العرب، ثم افتروا علىٰ السلف ونسبوا التفويض إليهم كذبًا وزورًا، وحرفوا قول السلف في الصفات: أمِروها كما جاءت، فإن السلف لا يفوضون معاني صفات الله، بل يثبتون معناها كما علموا من لغة العرب، وإنما معنىٰ أمروها كما جاءت في أقوالهم؛ أي: أثبتوها كما جاءت في لغة العرب بلا كيف، فهم يثبتونها بلفظها ومعناها في لغة العرب ولا يتصورون لها كيفًا، ومع ذلك يقرون أن لها كيفًا لا يعلمه إلا الله.

ولذلك كان شر المذاهب مذهب التفويض للأسباب التالية:

أولًا: إنه تكذيب للقرآن؛ لأن الله يقول: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، والمفوض إذا تُلِيَ عليه قول الله تعالىٰ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، أو: ﴿أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾﴾ [البقرة: ٢٠٩]، قال: أنا لا أعرف من هذه الآيات شيئًا، وهذا تكذيب لكلام الله في أعظم وأفضل الآيات في القرآن، وهي آيات صفات الله.

ثانيًا: تجهيل الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فيلزم من كلامه أن الرسول لا يفهم

شيئًا من نصوص القرآن، وأنه يقرأ القرآن ولا يفهم شيئًا من آيات الصفات، وهذا طعن في رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الذي أرسله الله معلمًا وهاديًا.

ثالثًا: يلزم من قول المفوض عدم قدرته علىٰ الإنكار علىٰ أهل التحريف في الصفات كالجهمية والمعتزلة(١) لأنه نسب إلىٰ نفسه الجهل.

وهذا يتلخص منه بطلان قول من قال: إن مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أعلم وأحكم، فالسلامة في مذهب السلف يلزم معها العلم والحكمة، ثم كيف يكون مذهب الخلف وهم الجهمية والمعتزلة الذين حرفوا النصوص؟! كيف يكون أعلم وهم حرفوا كلام الله في آياتِ الصفات؟!

فمعنىٰ كلامهم هذا أن الخلف -هؤلاء الضلال- أعلم من رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وأعلم من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، فكفىٰ بهذا بطلانًا وشرًا، والصواب: إن مذهب السلف أسلم وأعلم وأحكم ومذهب الخلف أضل وأجهل وأظلم.

• ثم قال: «من غير تكييف أو تمثيل»، المحذور الثالث: هو بطلان مذهب التكييف، **والتكييف هو**: الخوض في الصفات بكيف، بمعنىٰ: أن يعتقد كيفية معينة لصفة من صفات الله، كأن يتصور يد الله بكيفية معينة في ذهنه، أو وجه الله بكيفية معينة في ذهنه، أو عين الله أو ساق الله أو أصابع الله، أو يكيف صفة فعلية لله كالنزول وغير ذلك، وهذا كله لا يجوز، ولذلك يقول السلف: أَمِروها بلا كيف، أي: أمروا صفة الله كما جاءت في نصوص الشرع ولا تجعلوا لها كيفًا بعقولكم، فلا يعلم كيفيتها إلا الله، ولذلك يوصون من وقع في ذهنه تصوُّر لصفة من صفات الله أن يصرف ذلك عن قلبه وتصوره، وليقل: الله أكبر، ولا يَرْكَن إلىٰ ذلك التصور؛ لأنه من كيد الشيطان -

(١) فرقة تنتسب إلىٰ واصل بن عطاء، سموا معتزلة لاعتزال واصل مجلس الإمام الحسن البصري بعد خلافه معه في حكم الفاسق.

والعياذ بالله- ولا يضره شيء إذا صرفه عن ذهنه، والله لا تبلغ كنه صفاته عقول أحد من البشر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، إذا كان الإنسان قاصرًا عن إدراك كيفية بعض المخلوقات كالروح التي بين جنبيه، فكيف يتطلع إلىٰ معرفة كيفية صفات رب البريات سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ!

ذكروا عن أحد السلف أنه لقي غلامًا كان يُكيف صفات الله، فقال له يا غلام: دعنا نكيف بعض صفات المخلوقات إن استطعنا ذلك، فإن عجزنا عن ذلك فنحن أعجز عن أن نكيف صفات الله، ثم قال له: أخبرني عن كيفية أجنحة الملائكة التي قال الله عنهم: ﴿أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٖ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُۚ﴾ [فاطر: ١]، وذكر أن رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ رأىٰ جبريل له ستمائة جناح ففغر الغلام فاه، وقال: انتهيت. فالله أكبر، والله يقول: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]، ويقول: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ١٣﴾ [نوح: ١٣]، أي: لا تعظمونه حق تعظيمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والمكيف لصفات الله لا يلزم أن يكون ممثلًا؛ لأنه قد يتصور كيفية لا مثيل لها في مخلوق معين، وإنْ كان كِلا المذهبين التكييف والتمثيل باطل مردود مبتدع، فالتكييف لصفات الله قول باطل، علىٰ المؤمن أن يكف عنه وأن يحذر منه لأنه قول علىٰ الله بلا دليل؛ ولأنه من علم الغيب، وأن الله قد أخبرنا عن صفاته ولم يخبرنا عن كيفية هذه الصفات.

فلو سُئلنا عن كيفية صفة من صفات الله فنقول: الله أخبرنا عن هذه الصفة من صفاته ولم يعلمنا عن كيفيتها، ولنا في مقولة الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ قاعدة عظيمة، وهو منقول من كلام السلف قبله، لما سئل الإمام مالك عن قول الله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ كيف استوىٰ؟ قال: «الاستواء غير مجهول -أي: معلوم-، والكيف غير

معقول -أي: لا تبلغة العقول-، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»[(١)]، أي: الإيمان بالاستواء واجب، والسؤال عن الكيف بدعة لا يجوز؛ لأنه سؤال عن شيء لا يمكن الوصول إلىٰ فهمه.

نقول: ومع ما ذكرنا في نفي علمنا بكيفية صفات الله، فإن منهج أهل السنة والجماعة إثبات كيفية لصفات الله تعالىٰ، لكن نقول: علمها عند الله لا يعلم كيفية صفاته إلا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

رابعًا: المحذور الرابع الذي أورده شيخ الإسلام ابن تيمية في هذه العقيدة ويجب الحذر منه عند ذكر الصفات هو: التمثيل.

قال: «من غير تكييف أو تمثيل»: **والتمثيل** هو: أن يقال عن صفة من صفات الله أنها مثل صفة من صفات المخلوقين، كأن يقول: **يد الله مثل يد المخلوق**، تعالىٰ الله عن ذلك، فالممثل من يقول: **يد الله كيدي وسمع الله كسمعي**، ولذلك يقول الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المشبهة تقول: بصر كبصري، ويد كيدي، وقدم كقدمي، ومن قال ذلك فقد شبه الله بخلقه»[(٢)].

فمن مَثَّل صفات الله بصفات المخلوقين وأصر علىٰ ذلك فهو عند أهل العلم **كافر بالله**؛ لأنه رد كلام الله بعد العلم به، ولذلك يقول العلماء: إن من يقول عن معبوده أن يد معبوده كيدِه هو وبصر معبوده كبصره هو، يقولون: هذا لا يعبد الله، وإنما يعبد صنمًا من الأصنام ووثنًا من الأوثان، وهذا ليس وصفًا لله المعبود بحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قال بعض العلماء: «المعطِّل يعبُد عدمًا والممثِّل يعبُد صنمًا، المعطل

(١) البيهقي في «الاعتقاد» (ص: ١١٦)، والذهبي في «العلو» (ص: ٥٩٥).
(٢) «العرش» للذهبي (١/ ١٠١).

أعمىٰ، والممثل أعشىٰ، ودين الله بين الغالي فيه والجافي عنه»[(١)].

والقول بتمثيل صفات الله قول يرده العقل فضلًا عن الاعتقاد في صفات الله؛ لأنه مخالف للفطرة السليمة؛ لأن الله فطر عباده علىٰ تعظيم الخالق والذل له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والفرق بين التمثيل والتكييف:

**الممثل**: أثبت وصفًا لله مقيدًا بمخلوق، **والمكيف**: أثبت وصفًا لله مقيدًا بالذهن، ولذلك قال العلماء: «كل ممثل مكيف، وليس كل مكيف ممثل»؛ لأن الممثل يثبت صفة لله كصفة المخلوق فوقع في التكييف، أما المكيف فإنه تصور كيفية لصفة لله في ذهنه اخترعها في عقله ولم يمثله بأحد، وكلاهما ضال مبتدع في باب الصفات يُلحق بأهل البدع والضلالات، وشيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا عبّر في هذا المحذور الرابع بلفظة: «التمثيل» وغيره يُعبر بلفظة «التشبيه»، والحق ما عبر به شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ لأن لفظة: «التمثيل» هي الواردة في التعبير القرآني في كتاب الله العزيز، والتعبير باللفظ الوارد شرعًا أولىٰ من الذي لم يرد شرعًا، قال تعالىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[الشورىٰ:١١]، ولم يقل كشبهه شيء، وفرق بين اللفظين؛ فالتمثيل مطابقة، والتشبيه مقاربة.

كذلك التشبيه قد يرد له وجه لأنه ما من أمرين متقاربين إلا وبينهما شبه من قريب أو بعيد، ولحصول هذا التقارب فهم أمران وميّز بعد ذلك الفرق بينهما، والله لم ينف الشبه ولو من بعيد ولكن الله نفىٰ المماثلة، قال تعالىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾، وقال: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾ [الإخلاص: ٤]، المكافئ هو المماثل له.

وكذلك في اختيار كلمة التمثيل تأدب مع الله في اختيار اللفظ الشرعي الوارد

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٥/ ٢٦١).

عن الله بدلًا من اختيار اللفظ الغير وارد، وفي هذا المسلك السلامة من الزلل.

◈ هنا فائدة عند أهل العلم نذكرها، وهي قاعدة مهمة: أن البعد عن الألفاظ المحتملة مثل: الجسم، والجهة، والحد، التي لم ترد في نصوص الشرع، يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذه الألفاظ إذا سُئلنا عنها، نستفصل فنقول ماذا تقصد بهذه اللفظة أو الكلمة مثل لفظة: «الجسم» مثلًا، أو: «الحد». **نقول: ماذا تريد بالجسم؟**

فإن قال: أريد بالجسم الجسد المركب من اللحم والعظم والدم، نقول: نحن ننفي هذه اللفظة في حق الله فنقول: لا نثبت لله الجسم بهذا المعنىٰ، وإذا قال: أريد بالجسم الذات المتصفة بصفات الكمال: من اليد، والوجه، والعين، والقدَم، والساق، نقول: هذا المعنىٰ صحيح ولكن لا يرد عندنا ابتداء، فنحن لا نوردها ولا يجوز لنا أن نُعبر بهذه الكلمات الموهمة المحتملة لمعاني متباينة، تحتمل الكمال والنقص؛ لأن الله له صفات الكمال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذا يدلنا علىٰ التزام ألفاظ الشريعة حتىٰ نأمن من الوقوع في الخطأ وإن كان غير مقصود ولا مؤاخذة عليه والسلامة لا يعدلها شيء.

وهذا يُقال في أمور كثيرة في الشرع، فلا تقل لابنك مثلًا إذا أخطأ في أمر ما: لا تفعل هذا فإن الله يزعل عليك، كما يفعل بعض الناس! وكذلك قول بعض الناس: الله يهتم بعباده؛ لأن الاهتمام لا يكون إلا من مخلوق ضعيف كثير الخوف، تعالىٰ الله عن ذلك.

فتغني عن هذه الكلمة "الاهتمام" بالكلمات الواردة شرعًا: كقول الله: ﴿كَانَ بِي حَفِيًّا ۝٤٧﴾ [مريم: ٤٧]، إذ احتفاء الله بعباده لفظة شرعية بدلًا من اهتمام الله بعباده.

وهذا داخل في هذه القاعدة العظيمة: أن الله لا يوصف إلا بما وصف به نفسه

أو بما وصف النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ به ربّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وثبت عنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وبعد أن ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه المحاذير الأربع، أورد القاعدة العظيمة التي سار عليها أهل السنة والجماعة، فقال: «بل يؤمنون بأن الله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]»، فأورد القاعدة العظيمة التي يلتزمها السلف في كل زمان ومكان إذا تكلموا عن صفات الله، وهي في هذه الآية العظيمة المتضمنة للنفي المجمل والإثبات المفصل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾[الشورى:١١]، هذا نفي مجمل، فالله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا في عظمته: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ إثبات مُفصل، أثبت سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لذاته السمع والبصر بعد نفي المثلية، فيستفاد من ذلك أن إثبات الصفات لله علىٰ وجه يليق بجلال الله وكماله وجماله ليس تمثيلًا.

فاستدل بهذه الآية العظيمة التي تضمنت ما ذكرنا آنفا من قاعدة أهل السنة والجماعة في الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه العزيز، وهذه الآية عند أهل السنة والجماعة هي الميزان في باب إثبات الأسماء والصفات لله تعالىٰ: فأولها نفي للتمثيل ورد علىٰ الممثلة، وآخرها رد علىٰ المعطلة والمحرفة، فالله في هذه الآية نفىٰ المماثلة وأثبت السمع والبصر، وهكذا بقية صفات الله نثبتها علىٰ حقيقتها مع نفي مماثلة المخلوق، فكل صفة وردت في الكتاب أو السنة نثبتها لله بمعناها الذي يليق بجلال الله وعظمته مع نفي المماثلة للمخلوقات، فمن سلك هذه القاعدة المستنبطة من هذه الآية العظيمة فاز وسلم ونجىٰ مما وقع فيه أهل الضلال من الأشاعرة والجهمية والمعتزلة والرافضة وغيرهم.

والحمد لله، فلله الأسماء الحسني؛ أي: البالغة الغاية في الحسن والكمال، ومنزه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن كل توهم من أوهام أهل الضلال.

• **ثم سرد ملخص القاعدة العظيمة لأهل السنة في صفات الله بقوله:**

« **فَلَا يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ وَفِي سُنَّةِ نَبِيِّهِ** عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، **فَلَا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَّوَاضِعِهِ، وَلَا يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللهِ وآيَاتِهِ، وَلا يُكَيِّفُونَ وَلَا يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ لأَنَّهُ سُبْحَانَهُ: لا سَمِيَّ لَهُ: قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم: ٦٥]، **وَلَا كُفْءَ لَهُ، قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ٤]، **وَلَا نِدَّ لَهُ قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ٢٢]، **وَلَا يُقَاسُ بِخَلْقِهِ قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [النحل: ٧٤]»، إلىٰ أن قال شيخ الإسلام: «**فَإِنَّهُ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ، وَأَصْدَقُ قِيلًا، وَأَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْ خَلْقِهِ**».

«ولا يلحدون»: -أي: أهل السنة والجماعة- لا يلحدون في أسماء الله وآياته، **والإلحاد** لغةً هو: الميل والعدول عن الشيء، والمقصود **بالإلحاد** -في هذا المتن-: هو العدول بأسماء الله وصفاته وآياته عما جاءت به من الحق المبين المفهوم بلغة العرب مما ورد في الوحيين، ثم يحرف أهل البدع والضلالات هذه المعاني إلىٰ معاني باطلة لا دليل لها، لا من عقل ولا نقل.

والإلحاد هو أيضًا معنىٰ من معاني **التحريف**، ويأتي أيضًا علىٰ أوجه كثيرة منها:

**الأول**: تغيير اسم الله إلىٰ ما لم يسم الله به نفسه كتسمية النصارىٰ لله بالأب، فيقولون: عن الله الأب وعن عيسىٰ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الابن ويقولون: روح القدس، فتسمية الله بهذا الاسم إلحاد في أسماء الله تعالىٰ حيث لم يرد هذا الاسم في نصوص الشرع.

**الثاني**: من الإلحاد أيضا تسمية الفلاسفة لله تعالىٰ بـ«**العلة الفاعلة**»

**الثالث**: من الإلحاد إنكار أسماء الله كقول الجهمية الذين قالوا: ليس لله اسم

أبدًا، وقالوا: لأنك لو أثبت له اسمًا شبهته بالموجودات، وهذا قول باطل مردود.

**الرابع**: من الإلحاد أيضًا إنكار ما دل عليه اسم الله من الصفة كقولهم: عليم بلا علم، سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، فينكرون دلالة الاسم علىٰ الصفة.

**الخامس**: أيضًا من الإلحاد التمثيل، كأن يقولوا: عليم كعلم الإنسان بصير كبصر المخلوق، وهذا إثبات لصفات الله لكن علىٰ أنها صفة كصفة المخلوق.

**السادس**: من الإلحاد في أسماء الله أن يسمىٰ المخلوق باسم الله، وهذا فعل المشركين فسموا اللات من الله، والعُزّىٰ من العزيز، ومَنَات من المنَّان.

**السابع**: من الإلحاد في الصفات أيضًا أن يوصف الله بشيء من صفات النقص، كقول اليهود عن الله: أن الله فقير، وكقولهم: يد الله مغلولة.

نقول: هؤلاء جميعًا يلحدون في أسماء الله الحسنىٰ، والله تعالىٰ قد أثبت في كتابه أنهم قد قالوا هذا الباطل، ورد عليهم وأبطل كل هذه الأقوال الفاسدة بقوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ﴿وَذَرُواْ﴾؛ أي: اتركوا.

والمعنىٰ أن المؤمن بالله لا يكون كحال أهل البدع، بل يجب اعتزالهم وتركهم ما داموا مصرين علىٰ باطلهم بعد بذل الوسع في البيان لهم، وهذا ما عليه أهل السنة والجماعة في معتقداتهم في أسماء الله وصفاته، وهي هجرهم لأهل البدع وعدم الدخول معهم في مناظرات ولا جدال، ومع ذلك من جادل أهل البدع من العلماء وعرّاهم أمام الناس فلا نكير عليه، إذا كان عالمًا متمكنًا، ولا زال من علماء السلف من يجادلون أهل الباطل أمام الملأ ليظهروا فساد معتقداتهم ويحذروا منهم ومنها.

**وخلاصة القول**: إن أهل السنة والجماعة لا يلحدون في أسماء الله أبدًا، بل يجرونها علىٰ ما أراد الله بها، ويثبتون لها جميع أنواع الدلالات الصحيحة؛ لأنهم

يرون أن ما خالف ذلك هو إلحاد.

قال المؤلف: «والإلحاد في آيات الله»، **فما هو الالحاد في آيات الله؟**

**نقول الآيات تنقسم إلىٰ قسمين:**

**أولًا:** آيات شرعية وهي القرآن.

**وثانيًا:** آيات كونية؛ وهي ما يجريه الله في الكون: كالليل، والنهار، وتعاقبهما، والإلحاد في الآيات الشرعية يكون في إنكارها أن تكون كلام الله، وهذا من أعظم الإلحاد، وقد جاء فيه هذا الوعيد الشديد في قوله تعالىٰ: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝٢٦ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ۝٢٧ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ۝٢٨ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ۝٢٩ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝٣٠﴾ [المدثر: ٢٦ – ٣٠].

ومن الإلحاد في الآيات الشرعية أن يؤمن بالقرآن ولكن يُحرّف معناه، كقوله الله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، هذه صفة فعلية لله، يحرفها الملحدون في آيات الله فيقولوا: الرحمن علىٰ العرش استولىٰ، فيدخلوا «اللام»؛ لأن أهل البدع يقولون: استولىٰ.

**النوع الثالث:** عدم الالتزام بآيات الله ومخالفة الأوامر والنواهي فيها، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ﴾ [الحج: ٢٥]، أي: في الحرم؛ والمراد هو معصية الله.

فجميع المخالفات الشرعية تدخل في هذا النوع من الإلحاد، فالله أمر في آياته بالصلاة فهذا لا يصلي، الله أمر بالصوم وهذا لا يصوم وهكذا، وهذا نوع من الإلحاد في آيات الله.

ثم ننظر في الآيات الكونية، وقد يقال: كونية قدرية، فموجدها هو الله وهو الخالق لها وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: كالشمس، والقمر، والليل، والنهار وغيرها، فكيف يكون الإلحاد فيها؟

الإلحاد فيها إما بأن ينسبها إلىٰ غير الله –استقلالا أو مشاركة– أو إعانة يقول:

هذا من النبي أو هذا من الولي الفلاني، والدليل علىٰ مثل هذا:

**الأول**: في قول الله تعالىٰ في سورة «سبأ» عن الكون قال: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [سبأ: ٢٢]، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نفىٰ ثلاثة أمور:

- **الأول**: من زعم أنه يملك من الكون شيئًا فقد ألحد في آيات الله الكونية، كزعم بعض غلاة المتصوفة أن الأولياء والأقطاب يملكون التسلط في الكون قبحهم الله!

- **الثاني**: أن يعتقد المخلوق أن لله شريكًا في الكون مع الله؛ قال تعالىٰ: ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾.

- **الثالث**: في قوله: ﴿وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾، أي: أن يعتقد أحد منهم أنه مُعين لله تعالىٰ في خلق الكون.

**فالأول**: نفىٰ الملك إلا لله في الكون، والثاني: نفىٰ أنه له شريك، والثالث: نفىٰ أنه له معين وظهير في خلق الكون.

• ثم قال شيخ الإسلام: «ولا يكيفون»: هذه عقيدة أهل السنة والجماعة، لا نصف شيئًا من صفات الله تعالىٰ بكيف لا بألسنتنا ولا بقلوبنا ولا بأذهاننا، فإن الله موصوف بصفات الكمال التي لا تبلغها عقول الخلائق، أي: لا يعتقدون في أذهانهم كيفية لصفة الله تعالىٰ؛ لأن التكييف يفضي إلىٰ التمثيل أو التعطيل والسلامة لا يعدلها شيء، نثبت اليد ولا نعلم كيف هي، نثبت نزول الله ولا نعلم كيف يكون، وهكذا في كل صفة لله تعالىٰ ذاتية كاليد والكف والأصابع والساعد والساق والوجه.

وكذلك الصفات الفعلية، فهذا كله من أمر الغيب، والله تعالىٰ يقول: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾

[الإسراء: ٣٦].

• ثم قال: «ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه»: وهذا سبق معنا أن التمثيل ممتنع سمعًا وعقلًا؛ فنحذر من التمثيل ونقول فيه ما قلنا في التكييف من الموانع، وقد سبق التفصيل في هذا أيضًا فيما مضىٰ.

وهكذا إلىٰ أن قال: «لأنه سبحانه لا سمي له، ولا كفء له، ولا ند له، ولا يقاس بخلقه»: ومعنىٰ هذا أننا ننزه الله عن أن يكون له نظير أو مكافئ أو مثيل أو غير ذلك، فالله سبحانه منزه عن كل ذلك، فهو الله الأحد الصمد المنفرد بصفات الكمال والجمال والجلال، وما عداه مخلوق مربوب ولا يمكن أن تكون صفة الخالق كصفة المخلوق، تعالىٰ الله عن ذلك.

وقوله: «لا سمي له»، **والسمي**: هو المسامي أي: المماثل، ومعناه أيضًا لا أحد يستحق مثل اسم الله؛ قال تعالىٰ: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم: ٦٥]، ومجيء النفي هنا بصيغة الاستفهام يفيد التحدي، فهو مشرب بالتحدي كما يقال وهذا أبلغ.

والله عظيم ليس هناك أحد يستحق عظمة الله، ولا قدرة الله، ولا جبروت الله، ولا انتقام كانتقام الله، وقل هذا في كل اسم لله فليس لله سميًّا البتة.

**وهنا نقول: هل يجوز أن نسمي أحدًا من خلق الله باسم من أسماء الله؟**

**الجواب**: هذا الأمر لا بد فيه من التفصيل: هناك أسماء لا يجوز أن يتسمىٰ بها أحد البتة، وهناك أسماء أخرىٰ تجوز، فمما لا يجوز مثلا اسم: **الله**؛ لا يجوز أن يتسمىٰ به أحد، كذلك: **الرحمن**؛ **أي**: الذي وسعت رحمته كل شيء، أيضًا: **المتكبر**، **وملك الملوك**؛ قال رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ أَخْنَسَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ**

يَتَسَمَّىٰ مَلكَ المُلُوكِ»[1]، وهناك أسماء تجوز اسمًا أو وصفًا لغير الله **كالعزيز** مثلًا: قال الله: ﴿قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ﴾ [يوسف: ٥١]، لا بأس أن يوصف الإنسان بعليم أو رحيم أو عزيز أو كريم، هذه أوصاف تكون في المخلوق فتناسبه، ومع ذلك لا تكون كعزة الله أو رحمة الله أو ككرم الله، حتىٰ لو سمي مخلوقًا بـ«العزيز» فإنه سمي للصفة، ولا تكون عزته البشرية كعزة الله، فهذه عزة تناسب المخلوقين.

• قال بعد ذلك أيضًا: «لا كفء له»؛ أي: مكافئ لله، قال تعالىٰ: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤﴾، قال أيضًا: «لا ند له»، والند: هو النظير المساوي المنافس، قال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٢٢﴾ [البقرة: ٢٢]، وهذه الثلاثة -السمي، والكفء، والند- معناها متقارب، وفي نفي هذه الصفات الثلاثة أمور، المقصود منها كمال الصفات لله؛ لأنه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ له الكمال في هذه الصفات وجميع صفاته فلا أحد من المخلوقات يماثله فيها سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

• ثم قال: «ولا يقاس بخلقه»، ومعنىٰ كلام شيخ الإسلام في هذه العبارة: أنه يمتنع إجراء بعض أنواع القياس بين الله وخلقه، ولذلك نذكر هنا أنواع القياس، وهي ثلاثة أقسام:

**الأول**: قياس الشمول.

**الثاني**: قياس التمثيل.

**الثالث**: قياس الأولوية.

فالمنفي نوع من القياس وهو قياس التمثيل مثلًا، وهو إلحاق فرع بأصل لعلة بينهما أي: يلحق الشيء بمثله وهو الشبه، كقياس: كل مسكر بالخمر.

---

(١) «صحيح البخاري» (٦٢٠٦)، و«صحيح مسلم» (٢١٤٣).

فلا يقاس لله بقياس التمثيل، فلا يُمثل بأحد من خلقه البتة؛ لأنه سبحانه لا يماثله أحد، فلا يجعل ما ثبت للخالق مثل ما ثبت للمخلوق، كذلك قياس الشمول أيضًا ممتنع في حقه، فصفة الحي والحياة مثلًا تشمل كل حي، فهي من أفراد العام الذي يشمل جميع أفراده، فجميع الأفراد متساوية، فالحكم فيها واحد بحيث يكون كل فرد منه داخلًا في مسمىٰ ذلك اللفظ ومعناه، ولكنها لا تشمل حياة الله، فالحياة مثلًا صفة لله لكن لا تقاس حياة الله تعالىٰ بحياة الخلق من أجل أن الكل يشمله اسم: حي، هذا لا يجوز وهذا قول باطل، فحياة الإنسان هذه تشمل كل إنسان لأنها صفة متساوية في جميع البشر من جنسه، فالله سبحانه لا يقاس بخلقه قياس تمثيل ولا قياس شمول؛ لأنه ليس كمثله شيء جَلَّ وَعَلَا.

**أما النوع الثالث:** وهو قياس الأولىٰ أو الأولوية: وهو أن يكون الفرع أولىٰ بالحكم من الأصل، فهذا يقول العلماء أنه مستعمل في حق الله، لقوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠]، فيصبح قياس الأولىٰ، بمعنىٰ كل صفة كمال فلله تعالىٰ أعلاها، فيقال إذا كان العلم صفة كمال في المخلوق، فالله أولىٰ بهذه الصفة، وكذلك صفة العلو إذا كانت صفة كمال فالله أولىٰ بها علىٰ قياس الأولىٰ، وهكذا قل في السمع والبصر والقدرة والحكمة وغير ذلك.

• ثم قال: «فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلًا، وأحسن حديثًا من خلقه»: معنىٰ هذا أن كلام الله وكل ما قاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن نفسه في أسمائه وصفاته وغيره فهو كلام مقبول ولا يعتريه خلل ولا تغير، بل هو كلام حق وصدق؛ لأن الله حق قد اجتمع في كلامه كمال العلم والصدق واليقين فالله أصدق قيلًا، وفي كلامه كمال البيان والفصاحة، فالله أحسن حديثًا قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ [النساء: ٨٧].

كما اشتمل كلامه علىٰ سلامة القصد والإرادة وهي هداية الخلق، قال تعالىٰ: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ﴾ [النساء: ١٧٦]، وقال أيضًا: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ [النساء: ٢٦]، نعم، هذا كلام الله، أما كلام البشر فيعتريه الخلل كما يعتريه الجهل والنقص كذلك يعتريه الكذب بأنه يعلم، ولكن يخفي لا يريد أن يبين، فيصدّق الناس كلامه وهو غير صحيح، وقد يكون الإنسان عالمًا صادقًا لكنه لا يستطيع أن يعبر فيكون تعبيره فيه خطأ وإن كان لا يقصد الخطأ ولا يتعمد ذلك لكن كلامه تنقُصه الفصاحة والوضوح.

وهنا سبب آخر في المتكلم وهو: عدم إرادة النصح للآخرين في كلامه، فيأتي بكلام موهم، ومن يتكلم عندهم، قد لا يكذب لكنه كما يقال يلف ويدور لا يبين في كلامه؛ لأنه لا يريد هداية الآخرين، فهذه بعض حالات المخلوقين في الكلام، أما الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ فهو أعلم بخلقه وأعلم بنفسه، ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ١٢٢﴾ [النساء: ١٢٢] قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣].

إذًا؛ لا نعدل عن كلام الله بكلام المخلوقين، فلا يجد الإنسان كلامًا أحسن من كلام الله، فمن ترك كلام الله وأخذ بكلام أهل البدع فلا يلُومنّ إلا نفسه، قال الله تعالىٰ: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]. فيأتي المبتدع الضال فيقول: إنما أراد باليد هنا: (**النعمة**)، نقول: لو أراد الله النعمة لقالها ولبين ذلك، قال تعالىٰ: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، فالله بيَّنها بأحسن حديث وأصدقه، فقال: «**يداه**»، ولم يقل: قدرة، ولم يقل: نعمة، فما عذر من ترك كلام الله وأخذ بكلام هؤلاء الخوالف المبتدعين بعد ذلك؟!

فلا شك أن هذا هو السفه والجهل والزيغ، ولنا في السلف الصالح أسوة في تعظيم كلام الله والإذعان له، يقول الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «آمنت بالله وبما جاء عن

الله علىٰ مراد الله، وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله علىٰ مراد رسول الله»[(١)]، هكذا درج السلف الصالح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وقد أُمرنا باقتفاء آثارهم، يقول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كُفِيتُم، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٍ»[(٢)]، ويقول الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «عليكم بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوها لك بالقول»[(٣)]، ثم قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ بعد ذلك: «ثم رسله صادقون مصدقون»: في معنىٰ هذا الكلام نقول: **الصدق تعريفه**: هو مطابقة الخبر للواقع؛ ومعناه أن الرسل جميعًا وخاتمهم مُحمد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، جاؤوا عن الله بالخبر الحق الصدق المطابق لما جاء به الوحي من الله إليهم، فكل ما جاء عن الرسل الكرام صدق وحق لا مرية فيه ولا كذب البتة.

ولذلك أجمع العلماء علىٰ أن الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ معصومون من الكذب، وأنهم بلغوا البلاغ المبين بأفصح وأبلغ عبارة، قال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾﴾ [التغابن: ١٢]، وقال تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾﴾ [النحل: ٣٥]، وقال تعالىٰ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء: ١٦٥]، ومعلوم أن أعظم ما جاء به الرسل هو الدعوة إلىٰ التوحيد والإيمان بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وأن الله سبحانه لا شبيه له ولا نظير، وهذا من أعظم ما جاءت به الرسالات، فمُحال بعد هذا أن يقصر الرسل في بيان هذا الأمر العظيم ويظل ملتبسًا

(١) انظر: «الرسالة المدنية» (ص: ١٢١) مع الفتوىٰ الحموية لشيخ الإسلام.

(٢) ذكره أبو خيثمة زهير بن حرب في «كتاب العلم» (ص: ١٦) وغيره، وهو صحيح كما ذكر الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «الضعيفة» تحت حديث (٥٣٣).

(٣) «الشريعة للآجري» (١٢٤)، «سير أعلام النبلاء» (١/ ٢٣٦).

وهو أشرف العلوم وأجلها، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة: ٦٧].

وقول المؤلف: «مصدقون»: أي: إن الرسل جميعهم فيما يوحىٰ إليهم من الله هو صدق فهم مُصدقون، فالله قد شهد لهم بالصدق، قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ [المنافقون: ١]، ومن تصديق الله لرسله: نصرهم والتمكين لهم في الأرض، وحفظهم ممن كفر به قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾ [غافر: ٥١]، ثم هم أيضًا في كل ما يبلغونه عن الله صادقون في أقوالهم فهم مخبرون عن الله بالصدق، فكل ما أوحىٰ الله به إليهم صدق، وما جاء به جبريل إليهم هو صدق أيضًا، قال الله عن جبريل: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾ [التكوير: ١٩ - ٢١]، ولذلك وجب علىٰ جميع الخلق ممن أرسل الله الرسل إليهم أن يصدقوهم شرعًا، وأن من كذب بالرسل أو كذّبهم فهو كافر.

ثم إن أصحاب الرسل وحواريهم يصدقون ما جاء به الرسل وينقلون عنهم ما تواتر من الأحاديث المثبتة لأسماء الله وصفاته، ويصدق التابعون الصحابة وهكذا القرون المتتابعة يصدق بعضها البعض بالتواتر، كلهم يثبتون ما جاء عن الله ورسوله في الأسماء والصفات كما وردت في الوحيين، ثم يأتي الخلف من الضلال ينفون ذلك ويحرفون ويضللون الأمة، والله قد حفظ ما أنزل من القرآن والسنة قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩]، أيضًا ومعنىٰ آخر لقول الشيخ: «مصدقون»: أن الله قد صدق رسله بما تواتر عنهم في معاني أسمائه وصفاته، وشرح صدور أتباعهم بقبول ما جاءت به الرسل.

- ثم قال شيخ الإسلام: «بخلاف الذين يقولون عليه ما لا يعلمون»، ثم بين في

هذه العبارة أن كلام الرسل في الأسماء والصفات بخلاف ما يورده الخلف من الجهال والضلال بعقولهم الفاسدة وأفهامهم الكاسدة وتخيلاتهم الشيطانية، ولذلك فهؤلاء هم أهل الضلال والبدع، وهم الذين جحدوا الرسل الكرام وما جاؤوا به عن الله من إثبات الأسماء والصفات الثابتة عن الله، فبئس ما جاؤوا به من ضلال.

وخلاصة هذه العبارات أن الرسل صادقون مصدقون من الله بكل ما أوحىٰ إليهم، بخلاف أهل البدع الذين يقولون علىٰ الله ما لا يعلمون؛ فالذين كذّبوا الرسل من أهل الكفر وأهل البدع والضلالات، كاذبون ضالون مُضلون؛ لأنهم يقولون ما لا يعلمون.

وفي هذا القول إشارة إلىٰ أهل التحريف، الذين قالوا إن الله لم يُرد بالاسم أو الصفة كذا، وإنما أراد كذا فقالوا سلبًا وإيجابًا بما لا يعلمون فحرفوا وعطلوا وكيفوا ومثلوا، فهؤلاء هم الذين يقولون علىٰ الله ما لا يعلمون، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [البقرة: ١٦٩]، ولذلك فأهل البدع، لا يكونون صادقين ولا مصدوقين ولا مصدقين، بل هم أفّاكون كاذبون مكذبون بما أوحت به الشياطين إليهم من الضلالات، والله المستعان.

• ثم قال: «﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات: ١٨٠ – ١٨٢]»، ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه الآية دليلًا علىٰ ما تقدم من إثبات صدق الرسل جميعًا عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ وصحة ما جاؤوا به، وأنه الحق الذي يجب أن يعتقده كل مؤمن صادق بالله مصدق لرسله، فقال: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾، فسبّح –أي: الله– نفسه بتنزيهها عن كل عيب ونقص وعن كل ما لا يليق به مما وصفه به المخالفون للرسل من أهل الكفر والبدع

والضلال، وقول الله: ﴿رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾؛ أي: إن الله هو الإله الحق العزيز صاحب العزة ينزه ويُبرأ عن كل ما يصفه به المخالفون المشركون، والضالون الظالمون من أهل البدع والضلالات، ويراد بالعزة: عزة القوة، وعزة الامتناع، وعزة الغلبة والقهر، فلله سبحانه العزة التامة.

ثم سلّم علىٰ المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب، وهذه تزكية وشهادة عظيمة من الله لرسله بأنهم بلغوا ونصحوا وعظموا الله، وردّوا علىٰ افتراءات أهل الكفر والبدع الذين تجرؤوا علىٰ ذات الله بنسبة النقص والعيب في أسماء الله وصفاته وأفعاله.

ف﴿سُبۡحَٰنَ﴾؛ أي: تنزه الرب الخالق العظيم، ﴿رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ﴾؛ أي: صاحب العزة، تنزه عن كل ما يصفه به أهل الشرك والكفر والبدع والضلالات.

ثم ختم الله الآية بقوله: ﴿وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، فلله جميع المحامد ملكًا، واستحقاقًا، بعد أن نزه نفسه، ففي الحمد كمال الصفات، وفي التسبيح كمال التنزيه عن العيوب، فجمع في هذه الآية العظيمة بين التنزيه عن العيوب بالتسبيح، وإثبات الكمال المطلق بالحمد، فلله الصفات الجميلة والأفعال الحسنة البالغة في الحسن الكمال.



## بيانٌ للمنهجِ الذي رسمه الله في كتابه لإثبات أسمائه وصفاته

• قال شيخ الإسلام: «وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَمَعَ فِيمَا وَصَفَ وسَمَّىٰ بِهِ نَفْسَهُ بَيْنَ النَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ. فَلَا عُدُولَ لأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَمَّا جَاءَ بِهِ الْمُرْسَلُونَ، فَإِنَّهُ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، صِرَاط الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ».

شرع الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تقرير منهج أهل السنة والجماعة في الكلام في صفات الله وأسمائه مفصلًا الكلام، وأنه يكون ذلك علىٰ وجهين:

**الأول**: إثبات ما أثبت الله لنفسه من الصفات والأسماء.

**الثاني**: هو نفي ما نفاه الله عن نفسه من الصفات والأسماء.

وهذا هو الذي يسمّيه أهل السنة في كتب العقيدة بالصفات الثبوتية أو المثبتة، والصفات المنفية أو السلبية، وبهذه القاعدة تتقرر صفات الكمال لله تعالىٰ علىٰ الوجه الصحيح، وهذه القاعدة هي المتقررة في كتاب الله وسنة رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

ومن سار عليها نجا وسلم من الزيغ في هذا الباب، فما ثبت لله من الصفات والأسماء في الكتاب والسنة أثبتناه لا نزيد في ذلك ولا نحيد، وما نُفي عن الله من الصفات والأسماء في كتاب الله وسنة رسول الله نفيناه ولا نثبته، ولا نحيد ولا نزيد؛ لأن أسماء الله وصفاته توقيفية لا اجتهاد لأحد فيها، إنما هي: قال الله، قال رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وهذه قاعدة أهل السنة والجماعة في هذا الباب العظيم، قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، لا نتجاوز القرآن والحديث»، ونحن لا نتجاوز في صفات الله وأسمائه، إلا أن ننفي ما نفىٰ الله عن نفسه في هذا الباب، ونثبت ما أثبت الله لنفسه، ودليل هذا من كتاب الله، في قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ الشورىٰ: ١١، ففي هذه الآية نفي وإثبات.

**فالصفات والأسماء المثبتة** هي: كل ما أثبته الله لنفسه من الصفات والأسماء، وهي بذلك تكون علىٰ وجه الكمال فلا يعتريها تمثيل بمخلوق البتة، **والمنفية**: هي كل ما نفاه الله عن نفسه من صفات النقص.

ولذلك لا نصل إلىٰ معرفة صفات الله علىٰ وجه الكمال إلا بهذه القاعدة: **النفي والإثبات**، والأصل هو الإثبات وهو الأكثر، ولذلك إذا ورد النفي لبعض الصفات فلا يراد به النفي المحض بل يراد بالنفي كمال الضد، ومثال ذلك في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ﴾ [النساء: ٤٠]، فيفهم من هذا النفي كمال العدل وليس مجرد نفي الظلم؛ لأن مجرد النفي ليس بالكمال التام، ولا يكون كمالًا إلا إذا تضمن إثبات كمال الضد، قال تعالىٰ: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ [سبأ: ٣]، فيه إثبات كمال العلم، ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فيه إثبات كمال الحياة، كذلك النفي في الغالب يأتي لسبب لأنه ليس الأصل، والنفي أحيانًا يأتي مجملًا وأحيانًا يأتي مفصلًا، أما المجمل فلا إشكال من أنه يتضمن كمالًا كثيرًا، كقوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ﴾ [الشورىٰ: ١١]، هذا نفي مجمل لجميع صفات النقص فهو كمال مطلق، لكن إذا جاء النفي مفصلًا كنفي الجهل، أو التعب، أو الظلم أو غير ذلك، فإنه لا يأتي مفصلًا إلا لسبب كأن يكون لرد شبهة قيلت أو دفع توهمٍ، فهنا يأتي مفصلًا لرد هذه الشبهة، كقوله تعالىٰ: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾﴾ [الإخلاص: ٣]، لرد شبهة الذين ادعوا الولد لله لما

قال النصارىٰ: إن عيسىٰ ابن الله، وقالت اليهود: عزير ابن الله، وقال المشركون: الملائكة بنات الله، تعالىٰ الله عن ذلك، فكان الرد عليهم هو التفصيل، فنفىٰ كل ذلك بالنفي المفصل؛ قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١]، إلىٰ أن قال: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ [الإخلاص: ٣].

وهكذا في قوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، هذا نفي مفصل لنفي ودفع توهم مقدمات النوم عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فنفىٰ السِّنة وهي مقدمات النوم والنعاس وكذلك نفىٰ النوم أيضًا، كذلك ينبغي أن تعلم أن النفي المفصل ليس كمالًا علىٰ كل حال، بل قد يكون تعريضًا للنقص وتوهم الذم والعيب، مثال: لو أن أحدًا أراد مدح ملكٍ من الملوك فقال: أنت لست بخباز ولا بكناس ولا بزبال ولا بظالم ولا بخبيث ولا بمجرم، فكيف يكون هذا مدحًا؟! بل هذا يكون ذمًا؛ لأن الملك هنا يقول: من قال: إنني ظالم، أو أنني خبيث، أو أنني زبال، أو ما ذكرت حتىٰ تنفي عني هذه الصفات؟!

وهذا بخلاف لو قال عنه أحد: إنه كذلك، هنا لا بأس من النفي المفصل لدفع العيب الذي قيل فيه، وبهذا يتبين أن النفي المفصل لغير داعٍ يكون ذمًّا وقدحًا في الذي نفي عنه، وأيضًا ما ذكرنا في قاعدة النفي والإثبات في الصفات يكون كذلك في أسماء الله، فالله أثبت لنفسه أسماء: كالرحمن، والعزيز، والحكيم، ونفىٰ عن نفسه النقص بمعاني بعض أسمائه مثل: السبّوح، والقدوس، والسلام، فينفىٰ في الاسم المعنىٰ أي: معنىٰ النقص وليس الاسم ذاته.

مثال ذلك: في اسم الله: **القدوس**، فهذا الاسم لله يتضمن في معناه نفي النقص في أسماء الله، كذلك اسم الله: **السّلام**؛ أي: السالم من جميع صفات النقص.

فهذا معنىٰ كلام المؤلف: «إن الله قد جمع فيما وصف به نفسه بين النفي والإثبات».

• ثم قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَلَا عُدُولَ لأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَمَّا جَاءَ بِهِ الْمُرْسَلُونَ، فَإِنَّهُ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، صِرَاط الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ».

المقصود من هذه العبارات تقرير منهج الفرقة الناجية؛ أهل السنة والجماعة في الطريقة والنهج المتقرر في صفات الله وأسمائه بأن نجمع في ذلك بين النفي والإثبات، وأهل السنة قرروا ذلك اقتداءً واتباعًا لسنة المرسلين عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، وهم المبلغون عن الله، الموحىٰ إليهم بهذا المنهج الرباني العظيم، فهذا هو الصراط المستقيم، والمنهج العدل القويم، **والصراط هو**: الطريق الواسع المعتدل، ولذلك يوصف بالمستقيم، ولعظم شأن هذا الصراط أُمِرنا بالدعاء في كل ركعة طلب الهداية لهذا الصراط؛ لأن كل إنسان معرض للانحراف والزلل في كل لحظة، وكل أحد غير المرسلين معرض للنقص في لزوم وسلوك الصراط المستقيم، والهداية لهذا الصراط تكون بالعلم النافع والعمل الصالح، وما من مسلم إلا وعنده أصل الهداية لكن ينبغي أن يدعو الله أن يلزم هذه الهداية ولا يميل أو ينحرف عنها، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

«فلا عدول»: أي: لا انحراف لأهل السنة عما جاءت به الرسل، فأهل السنة متمسكون بما جاءت به الرسل؛ لأن ما جاء عن الرسل عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ في باب الإخبار عن العقائد خاصة لا يختلف؛ لأن الرسل صادقون، فكل ما أخبروا به عن الله فهو مقبول وصدق ويجب الإيمان به.

«صِرَاط الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ»

أضاف الصراط إليهم لأنهم سالكوه، فهم الذين يسيرون عليه، هؤلاء هم المقتدىٰ بهم من صفوة خلق الله.

«صراط»؛ أي: صراط الله، فيضاف إلىٰ الله فهو المنعم به، فالله سبحانه هو الذي شرع هذا الصراط لعباده، ثم إن هذا الصراط هو الموصل إلىٰ الله، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورىٰ: ٥٢ – ٥٣].

«الذين أنعم الله عليهم»: فهو نعمة من الله علىٰ عباده. **والنعمة** هي: فضل الله ومنّه وإحسانه، ونعم الله علىٰ عباده كثيرة تترىٰ بالليل والنهار ظاهرة وباطنة، وهذا الصراط الموصل إلىٰ الله هو أعظم النعم.

**ثم فصّل في ذكر أصناف المُنعَم عليهم:**

فأولهم هم: «النبيون» وكذلك المرسلون عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، **والنبيون**: هم كل من أوحىٰ الله إليه ونبأه، ويشمل الرسل جميعًا، وأفضل الرسل هم أولو العزم، وهم خمسة: محمد، وإبراهيم، ونوح، وموسىٰ، وعيسىٰ عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ.

«والصديقون»: وهم من آمن وصدق الرسل والأنبياء، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد: ١٩]، وأفضل الصديقين علىٰ الإطلاق أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أفضل هذه الأمة بعد الأنبياء والمرسلين، وهذه الأمة أفضل الأمم.

«والشهداء»: هم الذين قتلوا في سبيل الله، قال تعالىٰ: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، وقيل: إن العلماء من الشهداء، وهم: من شهدوا لله بالوحدانية وللرسل بالبلاغ، ويشهدون علىٰ الأمة بأنها بلّغت، قال تعالىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨].

«والصالحين»: وهم الذين قاموا بحق الله وحق عباده، فهذا الصراط يشمل هؤلاء الأصناف الأربعة الواردة في الآية، جعلنا الله والسامعين منهم وممن رافقهم في الفردوس الأعلىٰ لقول الله تعالىٰ: ﴿وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩﴾ [النساء: ٦٩].

## ١- الجمعُ بين النفي والإثبَات في وصْفه تعالى

هنا استطرد الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بإيراد السور والآيات العظيمة من القرآن، وجاء بأحاديث من السنة، تشتمل علىٰ ما جاء في وصف الله تعالىٰ وأسمائه مما ينطبق علىٰ القاعدة التي قررها في قوله: «**وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَمَعَ فِيمَا وَصَفَ وسَمَّىٰ بِهِ نَفْسَهُ بَيْنَ النَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ**» لبيان تطبيق هذه القاعدة وأنها مستنبطة من كتاب الله تعالىٰ وسنة رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وَقَدْ دَخَلَ فِي هِذِهِ الْجُمْلَةِ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي «سُورَةِ الإِخْلَاصِ» الَّتِي تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، حَيثُ يَقُولُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾** [الإخلاص: ١ - ٤]».

هذه السورة المباركة تسمىٰ سورة الإخلاص، قيل: لأنها مُنقية ومُخلّصة في الخبر عن الله تعالىٰ، فكلها تخبر عن الله عَزَّوَجَلَّ وتوحيده، فهي مخلّصة في توحيد الله تعالىٰ، وهي مخلّصة لكل من يقرأها وهو مؤمن بها، فإنها تخلّصه من الشرك الاعتقادي كما تخلصه سورة الكافرون من الشرك العملي، ويقال لهما سورتا الإخلاص.

وقوله: إن هذه السورة «تعدل ثلث القرآن»، لما رواه مسلم من حديث أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال لأصحابه: «**أَيَعْجَزُ أَحَدُكُم أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ؟** قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: **قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدْ، اللهُ الصَّمَد، تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**»(١)، فهذه السورة تعدل ثلث القرآن في الجزاء والفضل لا في الإجزاء.

---

(١) «صحيح البخاري» (٦٦٤٣)، «صحيح مسلم» (٨١١).

**وذلك أن من قرأها في الصلاة ثلاث مرات ولم يقرأ الفاتحة واكتفىٰ بقراءتها هل تصح صلاته؟**

نقول: لا تصح صلاته ولا تجزئه قراءتها وإن كان ينال جزاء قراءتها وفضلها؛ لأن قراءة الفاتحة ركن في الصلاة.

وقد ذكر أهل العلم في معنىٰ كونها تعدل ثلث القرآن:

قالوا: كما جاء عن أبي العباس بن السريج -وهذا مستنبط من كلام أهل العلم- أن القرآن فيه خبر وإنشاء، والخبر ينقسم إلىٰ نوعين: خبر عن الله، وخبر عن عباد الله من جميع المخلوقين، والأمر الثالث: هو الإنشاء وهو: الأحكام من الأوامر والنواهي.

هذا هو أحسن ما ذكر أهل العلم في كونها تعدل ثلث القرآن، وهذا القول من باب الاجتهاد والله أعلم.

**الخلاصة**: إننا نؤمن أن هذه السورة العظيمة تعدل ثلث القرآن في الفضل، وفائدة هذا الحديث هي العمل بما تضمنت هذه السورة العظيمة والإكثار من تلاوتها رجاء فضلها وأن من قرأها ثلاث مرات نال أجر قراءته للقرآن، ومع ذلك لا يستغني عن الاعتناء بختم القرآن والإكثار من ذلك، وقد ذكر أهل العلم في سبب نزول هذه السورة: أن المشركين قالوا لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «يا محمد انسب لنا ربك أو صف لنا ربك، فأنزل الله هذه السورة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ...﴾»[1].

**وتفسير هذه السورة:**

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾؛ أي: قل يا مُحمد: الله أحد، ولا زال الناس يتلونها إلىٰ

(١) أخرجه أحمد (٢١٢١٩)، والترمذي (٣٣٦٤) وغيرهما، وحسنه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في: «صحيح الترمذي» (٣/ ٣٧٩).

أن تقوم الساعة هكذا بقولهم: ﴿قُلْ﴾، وهذا الخطاب والأمر الأصل هو لرسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِۦ وَسَلَّمَ، **فما الحكمة من بقاء تلاوتها؟**

أولًا: حكمة الله لا تحيط بها العقول لكن مما يظهر لأهل العلم في اجتهادهم أن من الحكمة أن يعلم السامع لها أن محمدًا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ رسول مُبلغ عن الله يبلغ ما أُنزل عليه بحرفه ومعناه؛ بل ينقله كما سمعه من جبريل الذي سمعه من الله، فالله يخاطب نبيه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بقوله: ﴿قُلْ﴾ فقرأها: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ قوله: ﴿ٱللَّهُ﴾: هذا علم علىٰ ذات الله ومعناه المألوه؛ أي: المعبود.

وقوله: ﴿أَحَدٌ﴾: وصف للرب لأنه الواحد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وقوله: ﴿أَحَدٌ﴾ أبلغ من واحد، و**الواحد** من أسماء الله، ولذلك يقول العلماء: إنها لا تطلق في الإثبات إلا علىٰ الله تعالىٰ فقط، بخلاف النفي، تقول: لا يوجد أحد، أما في الإثبات لا يقال: أحد إلا لله فقط؛ لأنها أبلغ في الوحدانية.

ومعنىٰ: ﴿أَحَدٌ﴾: ليس له ثاني، ولا ند ولا نظير، ولا زوجة، ولا والد ولا ولد، ولا شريك البتة، فالوحدانية لله، تفرد بها الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ من كل الوجوه.

وقوله: ﴿هُوَ﴾ الضمير هنا للدلالة علىٰ الحصر، فغير الله له الوالد والزوجة والولد، أما الله فهو المتفرد بالوحدانية، ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ②﴾: هذا تأكيد للوحدانية ولها معاني كثيرة.

**ومن معاني الصمد أيضًا**: الكامل في عمله وقدرته وحكمته وعزته وفي كل صفاته.

**وأيضًا من معاني الصمد**: لا جوف له كما جاء عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[1]؛

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٤١٢).

وهذا معروف في لغة العرب، فالله يُطعِم ولا يُطعَم.

**ومن معانيها أيضًا**: الصمد من الصمود؛ أي: الذي يُصمد إليه فتصمد إليه جميع الخلائق وتقصده في حاجاتها فيحتاج إليه كل أحد.

**ومن معانيها أيضًا**: السيد الذي قد كمل في سؤدده، كما جاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[١]، فصمدت له الخلائق كلها، أي: اتجهت إليه كلها تدعوه وترجوه حاجاتها لأنها لا تستغني عنه طرفة عين، وهذا الاسم واسع يشمل العلم والحياة والحكمة والقدرة والكمال في كل ذلك.

قوله: ﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ﴾: جواب مباشر مع تأكيد الوحدانية والصمدية.

وقوله: ﴿لَمۡ يَلِدۡ﴾؛ أي: لم يخرج من الله ولد يرثه في ملكه، وهذا نفي الحاجة لغيره سبحانه لكمال استغنائه عن خلقه.

وقوله: ﴿وَلَمۡ يُولَدۡ﴾: يعني لم يخرج من شيء فيكون هو وارثًا له، وهذا النفي لبيان كمال استحقاق الملك له بذاته سبحانه فهو المِلك وذو الملكوت.

**وهنا ملحظ لأهل العلم** في قوله: ﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ﴾، وهو نفيُ الله للولد قبل الوالد، ردًّا علىٰ أهل الكفر الذين ادعوا أن لله ولدًا، تعالىٰ الله عن ذلك، ولم يدّعِ أحدٌ لله والدًا، ونسبة الولد لله تنقُّص وشتم لله تعالىٰ كما جاء في الحديث القدسي عند البخاري من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: يَشْتُمُنِي ابْنُ آدَمَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَشْتُمُنِي**»[٢]، فذكر نسبة الولد إلىٰ الله والصاحبة.

**فالأول**: كذب.

**والثاني**: شتم، ووجه الشتم أن من نسب لله الولد يزعم أن له جوف، كذلك في

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٤١٢).

(٢) «صحيح البخاري» (٣١٩٣).

نسبة الولد لله إثبات الحاجة لله، وهذا باطل.

**والمحظور الثالث:** يلزم من نسبة الولد حصول المشابهة لله سبحانه، فإن الولد شبيه بوالده، فالذين أثبتوا لله ولدًا عبدوا هذا الولد، كفعل النصارىٰ الذين عبدوا عيسىٰ بعد أن قالوا: إنه ابن الله، واليهود أيضًا عبدوا عزيرًا وقالوا: هو ابن الله، والمشركون عبدوا الملائكة وقالوا بنات الله، تعالىٰ الله علوًّا كبيرًا.

فالله سبحانه نفىٰ كل هذا فقال: ﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ﴾، فالله هو الأول ولا قبله شيء، والآخر فلا بعده شيء، والظاهر فلا فوقه شيء والباطن فلا دونه شيء، وهذه الفرية من كيد الشياطين الذين يتدرجون بالوساوس للبعض كما قال رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا وَكَذَا؟ إِلَىٰ أَنْ يَقُولَ: وَمَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَ ذَلِكَ، فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ وَلْيَنْتَهِ، فَلْيَقُلْ: اللهُ أَحَد، اللهُ الصَّمَد**»[(١)].

• ثم قال: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤﴾: وهذا نفي مجمل بعد ذكر الإثبات المفصل في قوله: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾.

وقوله: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤﴾: أيضًا تقرير للوحدانية بتأكيد نفي الولد؛ لأن الولد مكافئ لوالده، ومعنىٰ الآية: أن الله ليس له مكافئ، أي: لم يكن له ندٌّ ولا نظيرٌ ولا مثيلٌ ولا سميٌّ؛ لأن الله هو الخالق وما عداه مخلوق، وفرق عظيم بين الخالق والمخلوق.

فهذه السورة العظيمة من عرف معناها وآمن بها خلّصته من الشرك، ولذلك كما أسلفنا تسمىٰ سورة الإخلاص، وهي مخلّصة من كل أنواع الشرك، فلا يلتفت بعد ذلك لا إلىٰ حجر ولا ملك ولا ولي ولا شمس ولا قمر، ولذلك يشرع تعظيم

---

(١) «صحيح البخاري» (٣٢٧٦)، «صحيح مسلم» (١٣٤).

هذه السورة كما يشرع أن يقتدىٰ بالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بتلاوتها في أذكار الصباح والمساء، وكذلك في الوتر، وركعتي الفجر، وركعتي بعد المغرب، وركعتي بعد الطواف، وفي كثير من أحيانه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

● ثم قال: « **وَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي أَعْظَمِ آيَةٍ فِي كِتَابِهِ؛ حَيْثُ يَقُولُ:** ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥]، **وَلِهَذَا كَانَ مَنْ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ فِي لَيْلَةٍ؛ لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبُهُ شَيْطَانٌ حَتَّىٰ يُصْبِحَ**».

هذه آية الكرسي، أعظم آية في كتاب الله، والدليل ما رواه مسلم من حديث أُبي بن كعب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال له رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**يَا أَبَا الْمُنْذِرِ؛ أَيّ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَم**، قال: الله ورسوله أعلم -تأدبًا مع رسول الله-، فأعاد له ثانيًا وثالثًا، فعلم أنه يريد هذه الآية قال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ...﴾ الآية، فضرب رسول الله علىٰ منكبه أو علىٰ صدره، وأقره علىٰ أنها أعظم آية في كتاب الله، وقال: «**لِيَهْنِكَ العِلْم أَبَا المُنْذِر**»(١)، فهنأه بالعلم لأنه علم أنه فقه القرآن كله، فعلم أن هذه الآية أعظم آية في كتاب الله، وقد سميت هذه الآية بآية الكرسي؛ لأن فيها ذكر كرسي الله، ولم يرد ذكر الكرسي في القرآن إلا في هذه الآية.

وهذه الآية العظيمة جمعت من صفات الله ما لم تجمعه آية أخرىٰ في كتاب الله تعالىٰ، وقد توجد آيات مجتمعة أعظم منها باجتماع تلك الآيات، لكن عند الانفراد

(١) «صحيح مسلم» (٨١٠).

فآية الكرسي أعظم آية لما اشتملت عليه من صفات الله العظيمة.

قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾: بدأ بتقرير التوحيد لأنه أعظم مطلوب كُلفت به المخلوقات، وتوحيد الله هو الذي جاءت به الرسل، وهو الفيصل بين المسلم والكافر، وهو الذي من أجله خُلقت السماوات والأرض وخُلقت الجنة والنار.

ومعنىٰ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا الله**»؛ أي: لا معبود بحق إلا الله، ولا بد من هذا القيد، أي: «**بحق**»، فمن عبد الله مع غير الله كائنًا من كان فقد عبده بالباطل، قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٣٠﴾ [لقمان: ٣٠]، والآية تضمنت النفي والإثبات؛ وهي من أقوىٰ صيغ الحصر في بيان أهمية إفراد الله بالألوهية، وفيها ذكر صفتين عظيمتين لله تعالىٰ وهي صفة الحياة والقيّومية في قوله: ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾، ومعنىٰ قوله: ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾، ﴿ٱلۡحَيُّ﴾؛ أي: ذو الحياة الكاملة، المتضمنة لجميع صفات الكمال، والتي لم تُسبق بعدم ولا سبيل للفناء عليها، ولا يعتريها نقص بوجه من الوجوه، ﴿ٱلۡقَيُّومُ﴾: من القيام، أي: القائم بنفسه المقيم لكل ما سواه، فهو مستغنٍ عن كل شيء، ولا غنىٰ لغيره في القيام إلا به سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ﴾ [الروم: ٢٥]، وقال تعالىٰ: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤١﴾ [فاطر: ٤١]، وتندرج تحت هذين الاسمين جميع الصفات؛ **فالحي القيوم**: اسمان لله عليهما مدار جميع الأسماء الحسنىٰ.

**فالحي**: من له الحياة الكاملة التي لا يعتريها نقص بوجه من الوجوه، فإن الحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال، واسم الحي أخص بالصفات الذاتية وهي التي لا تتعدىٰ مثل: السمع، والبصر، والحياة، والعلم وغيرها، **والقيوم**: هو القائم

بنفسه فلا يحتاج إلىٰ غيره، فكل ما سواه محتاج إليه بالذات، ومتضمن لكمال غناه وكمال قدرته، واسم القيوم أخص بالصفات الفعلية مثل: الخلق، والإحياء، والإماتة(١).

كما أن هذين الاسمين **الحي والقيوم** قد جَمعا جميع الصفات، وكذلك تضمنا الاسم الأعظم لله تعالىٰ، فقد روىٰ أبو داود والترمذي من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «كنتُ معَ رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ جالسًا ورجلٌ قائمٌ يصلِّي، فلمَّا رَكَعَ وسجدَ وتشَهَّدَ دعا، فقالَ في دعائِهِ: اللَّهمَّ إني أسألُكَ بأن لَكَ الحمدَ لا إلَهَ إلا أنتَ المنَّان بديعُ السَّماواتِ والأرض، يا ذا الجلالِ والإكْرام، يا حيُّ يا قيُّومُ، إني أسألُكَ، فَقالَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لأصحابِهِ: **تَدْرُونَ بِمَا دَعَا**؟ قالوا: اللهُ ورسولُهُ أعلَمُ، قالَ: **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَىٰ**»(٢).

قوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ هذا أبلغ في نفي النوم ومقدماته، أي: لا يعتريه ذلك البتة، وقد ذكر ابن عطية في تفسيره لهذه الآية معنىٰ أشمل لقوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ﴾ فقال: «نفىٰ الله عن نفسه ونزه نفسه عن صفة النقص التي تعتري المخلوق بحصول النوم أو مقدماته، وهذا أبلغ في كمال الحياة لله وكمال التصرف في ملكه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ».

**السِّنة**: هي النُّعاس، وهي حركة العين بالنوم الخفيف، فنفىٰ عن نفسه الأدنىٰ وهو النعاس والأعلىٰ وهو النوم، وهذا تأكيد لكمال حياته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فنفىٰ عن

---

(١) انظر: «بدائع الفوائد» (٢/ ١٨٤)، و«مدارج السالكين» (٢/ ١١١) لابن القيم الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) أبو داود (١٤٩٣)، والترمذي (٣٤٧٥)، وابن ماجه (٣٨٥٧) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي ووافقهما الألباني في «أصل صفة الصلاة» (٣/ ١٠١٦).

نفسه النوم ومقدماته، والنوم أخو الموت فمن ينام فحياته ناقصة، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**النَّوْمُ أَخُو الْمَوْتِ**»(١)، ولذلك كان من دعاء من استيقظ من نومه أن يقول: «**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا**»(٢).

وتضمن هذا النفي المفصل في الآية كمال الضد لله وهو: كمال الحياة والقيّومية له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ثم نقول: إنه بنفي النوم ينفي أيضًا ما كان بمعنى النوم، كالغفلة والذهول، فالله لكمال قيوميته لا يعتريه نقص ولا يغيب عنه شيء ولا تخفى عليه خافية، وجاء ذكر نفي النوم عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في الحديث الذي رواه الإمام مسلم، من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «قام فينا رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بأربعٍ»، وفي رواية «بخمس -أي: كلمات-: **أَنَّ اللهَ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، وَيُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهارِ قَبْلَ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ كُلَّ شَيْءٍ أَدْرَكَهُ بَصَرُهُ**»(٣).

قوله: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: لله الخلق والإيجاد والملك والتصرف والتدبير الكامل لهذه السماوات والأرض، فالجميع عبيدٌ له وملك له، فملك الله كامل لا يعتريه نقص في الملك ولا في التصرف.

وقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ في هذا تأكيد على مطلق الملك لله والتصرف في السماوات والأرض وما فيهن، ومن كمال ذلك الملك والتصرف أنه

---

(١) البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٧٤٥)، انظر: «صحيح الجامع» (٦٨٠٨)، و«السلسلة الصحيحة» (١٠٨٧).

(٢) «صحيح البخاري» (٧٣٩٤)، (٦٣٢٤).

(٣) «صحيح مسلم» (١٧٩).

ليس لأحد أن يشفع في ملك الله إلا بإذنه؛ أي بإذن الله المالك، خلافًا لحال ملوك الدنيا فإنه قد يَشفع عندهم في ملكهم من لم يُؤذن له بالشفاعة، وهذا دليل علىٰ نقص ملك ملوك الدنيا.

أما ما يملك الله فليس لأحد أن يتجرأ بالشفاعة عنده فيه إلا بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضىٰ، **والشفاعة هي**: التوسط للغير لجلب منفعة أو دفع مضرة.

وقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى﴾، هذا الاستفهام أبلغ في النفي، والفرق بين الاستفهام والنفي الصريح: أن النفي بالاستفهام يقول العلماء: أبلغ لأنه مُشرب بمعنىٰ التحدي.

إذًا لا يشفع الشافع في ملك الله إلا بشرطين: الرضىٰ، والإذن بالشفاعة.

**الأول: الرضىٰ**، أي: رضىٰ الله عمن يشفع ورضاه عن المشفوع له، قال تعالىٰ: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم: ٢٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء: ٢٨].

**الثاني: الإذن والأمر بالشفاعة**، ولذا قال تعالىٰ: ﴿لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾، فذكر الرضىٰ عن الشافع والمشفوع له، فإذا رضي الله عن الشافع وكان من أهل الشفاعة أُذِن له بالشفاعة، وكذلك رضىٰ الله عن المشفوع له بأنه من أهل التوحيد، والله سبحانه قادر علىٰ أن يعفو ويصفح ويتجاوز عمن يشاء من عباده.

إذًا الشفاعة المثبتة من الله للأنبياء والصالحين وغيرهم هي التي لا تكون إلا بإذن الله ورضاه، منّة ورحمة من الله بعباده وكرامة لهم.

وقوله: ﴿يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ﴾ بأن الله يشفع لهذا العبد بإذنه، وشفاعة الله مطلقة، وعلو الله مطلق ويشمل العِندية.

- ثم قال: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ في قوله: ﴿يَعْلَمُ﴾: إثبات صفة

العلم لله وهي من صفاته الذاتية، وينبغي أن نعلم منهج أهل السنة في صفة العلم أنها صفة ذاتية لله قائمة في ذات الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ولكن المعلومات متجددة، فصفة العلم لله ثابتة أصلًا وآحادها متعلقة بالمعلومات وبتجدد هذه المعلومات، ومعنىٰ قولنا: إن صفة العلم لله صفة قائمة بالله وليست صفة قائمة بذاتها، هذا ردٌّ علىٰ الذين يزعمون من أهل البدع والضلال الذين يقولون: إن العلم والمعلوم قائمان بذاتهما منفصلان عن الله، وهذا قول باطل، **فالعليم** من أسماء الله وهو أنه سبحانه ذو العلم الواسع، وليس معناه أنه العليم بذاته فقط كسائر صفاته الذاتية، الله يعلم بذاته ويعلم بجميع مخلوقاته وهم لا يعلمون من العلم إلا ما علمهم، وعلم الله متعلق بما كان وما يكون وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وهو شامل أيضًا لجميع ما في ملكوت الله من جزئيات وكليات، وصغار الأمور، وعظائمها.

**والعلمُ** هنا أيضًا يدل علىٰ تمام ملك الله لمخلوقاته جميعها، فَذَكر كمال علمه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بخلقه جميعًا وفي جميع الأحوال والأزمنة فقال: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: المستقبل، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْۖ﴾ أي: الماضي، وهنا يكون علمه للحاضر الواقع والمشاهد من باب أولىٰ.

• ثم قال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾؛ أي: علم الله لا يحيط به أحد من خلقه إلا إذا أعلم الله الخلق شيئًا من ذلك، وهذا يشمل كل العلوم المفطور عليها الخلق أو المكتسبة بالتجربة أو المنزلة من شرع الله، كما يشمل العلم بصفات الله وأسمائه.

وفي هذا دلالة علىٰ أن كل ما يعلمه خلق الله في كل شيء سواء فيما يتعلق بصفات الله وأسمائه وأفعاله، أو علمهم بعلوم الشريعة وغيرها من العلوم، والعلم بأحوالهم وما يعتريهم لا يعلم ذلك أحد منهم إلا بما يعلِّمه الله من ذلك العلم ما

شاء، ومع ذلك فعلم البشر مما علمهم الله علم قليل، ولذلك قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥﴾ [الإسراء: ٨٥].

وعلم الله محيط بكل شيء، وهذا معنىٰ قول الخضر لموسىٰ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عندما وقف طائر بطرف السفينة فنقر في البحر نقرة، فقال الخضر لموسىٰ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**مَا عَلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللهِ إِلَّا مِثْلُ مَا نَقَصَ هَذَا الْعُصْفُورُ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ**»(١).

فليس لأحد من البشر كائنًا من كان أن يغتر بعلمه، سواء كان علمه من علم الشرع أو علم الدنيا، فالله هو الذي يطلع عباده من العلوم ما شاء لحكمة لا يعلمها إلا هو.

ثم إن قوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ﴾ و«شيء» هنا نكرة في سياق النفي فتعم كل ما يعلم، فالخلق لا يعلمون من علم الله لقوله: ﴿مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ﴾ يعني من بعض علمه إلا بمشيئة الله، فلا أحد يعلم من علمه الواسع ولو يسيرًا إلا إذا أذن الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ بذلك.

• ثم قال: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ﴾ **الكرسي هو**: موضع القدمين لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كما ثبت عن ابن عباس وعن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا(٢)، وهذا القول له حكم الرفع لأنه مما لا يقال بالرأي، وفي هذا الأثر إثبات القدمين لله تعالىٰ، ولا صحة لما روي عن ابن عباس وسعيد بن جبير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا أن الكرسي هو العلم، فهذا أثر لا يصح.

قال: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ﴾ قال العلماء: «إذا كان هذا سعة الكرسي،

(١) «صحيح البخاري» (٤٧٢٥).
(٢) «مختصر العلو» (٤٥) و(٥٨).

فكيف بسعة العرش؟»، وفي الأثر الذي يحسنه بعض أهل العلم ومنهم الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ مَعَ الْكُرْسِيّ إِلَّا كَحَلَقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْض فلَاة، وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَىٰ الْكُرْسِيّ كَفَضْلِ الْفَلَاةِ عَلَىٰ الْحَلَقَةِ**»(١)، وفي الأثر الآخر عن أبي ذرّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ويصححه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**مَا الْكُرْسِيُّ فِي الْعَرْشِ إِلَّا كَحَلَقَةٍ مِن حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْري فلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ**»(٢).

وفي هذا دلالة علىٰ عظمة خلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وإذا كانت هذه العظمة في بعض مخلوقات الله تعالىٰ، فكيف بعظمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالله أطلعنا علىٰ عظمة شيء يسير من مخلوقاته فكيف بما لم يطلعنا الله عليه، وما استأثر به الله من العلوم ومنها علم صفات الله وأسمائه.

وقوله: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ﴾، ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ﴾ أي: لا يثقله ويكرثه ولا يشق عليه حفظ جميع هذه المخلوقات، فالله يحفظ هذه الأرض ومن فيها وهي معلقة في الهواء بقدرته سبحانه، بل والله يحفظ كل ما خلق من العوالم والسماوات والأرض وما بينهما، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤١﴾ [فاطر: ٤١]، يقول ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا كما في الأثر الذي ذكره ابن تيمية: «**مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُونَ السَّبْعُ وَمَا فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُنَّ فِي يَدِ الرَّحْمَنِ إِلَّا كَخَرْدَلَةٍ فِي يدِ أَحَدِكُم**»(٣)، كما أن الله سبحانه قد أحاط بكل شيء، قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطٗا ١٢٦﴾ [النساء: ١٢٦]، وفي قوله: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ﴾: صفه منفية لبيان كمال الضد وهو كمال

(١) «السلسلة الصحيحة» (١/ ٢٢٣).
(٢) «مختصر العلو» (١٠٥)، وانظر: «الصحيحة» (١٠٩).
(٣) «تفسير الطبري» (٥/ ٣٩٩).

قوة الله وكمال قدرته.

• ثم قال: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٢٥٥﴾ وهذان اسمان عظيمان يناسبان ختم هذه الآية العظيمة لما فيها من بيان عظمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

**والعلي**: من العلو والارتفاع فلله العلو الكامل المطلق، والعلو من صفات الله الذاتية ويشمل علو القدرة وعلو القهر، والعلو علوان:

**علو ذات**: وهو أن الله فوق العرش، والعرش سقف المخلوقات وليس فوق العرش شيء إلا الله، فالله فوق خلقه عالٍ بذاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

**علو الصّفات**: وهو عظمة الله، وهذا يدل عليه قول الله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰٓ﴾ [النحل: ٦٠]، أي: إن صفاته كلها عليا، ليس فيها نقص بوجه من الوجوه فهي صفات عالية بالغة في الكمال في كل شيء، فالله عالٍ في صفاته وفي أسمائه وفي أفعاله وفي عزته وفي حكمته وفي عظمته فله في كل شيء علو لا تبلغه العقول.

وقسّم بعض أهل العلم العلو إلىٰ ثلاثة أقسام: **علو الذات، وعلو القهر، وعلو القدر**، والله له كل ذلك، والقهار من أسماء الله تعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ٦١].

وفي قوله: ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾ أي: ذو العظمة أي: الذي كملت له كل أنواع العظمة فلا أعظم من الله ولا أجل، لا في ذاته ولا في أسمائه وصفاته ولا في أفعاله تعالىٰ وتعاظم وتقدس سبحانه.

• ثم قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وَلِهَذَا كَانَ مَنْ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ فِي لَيْلَةٍ؛ لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلا يَقْرَبُهُ شَيْطَانٌ حَتَّىٰ يُصْبِحَ**»، في هذا الكلام إشارة منه إلىٰ حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مع الشيطان، فقد روىٰ البخاري في صحيحه: «وكَّلني رسولُ اللهِ بحفظ زكاةِ رمضان، فأتاني آتٍ، فجعل يحثو من الطعامِ، فأخذتُه،

فقلتُ: لأرفعنَّك إلىٰ رسولِ اللهِ، قال: إني محتاجٌ، وعلىٰ دَينٌ وعِيالٌ، ولي حاجةٌ شديدةٌ فخلَّيتُ عنه، فأصبحتُ، فقال النَّبيُّ: **يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؛ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟** قال: قلتُ: يا رسولَ اللهِ؛ شكا حاجةً شديدةً وعِيالًا، فرحمتُه فخلَّيتُ سبيلَه، قال: **أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ**، فعرفت أنه سيعودُ، لقولِ رسولِ اللهِ: **إِنَّهُ سَيَعُودُ**، فرصدتُه، فجاء يحثو من الطعامِ» وذكر الحديثَ إلىٰ أن قال: «فأخذتُه -يعني في الثالثةِ- فقلتُ: لأرفعنَّكَ إلىٰ رسولِ اللهِ، وهذا آخر ثلاثِ مراتٍ تزعم أنك لا تعود، ثم تعود، قال: دَعْني أُعلِّمْك كلماتٍ ينفعك اللهُ بها قلتُ: ما هنَّ؟ قال: إذا أَوَيتَ إلىٰ فراشِك، فاقرأ أيةَ الكرسيِّ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، حتىٰ تختم الآية، فإنك لن يزال عليك من الله حافظٌ، ولا يقربُك شيطان حتىٰ تصبحَ فخلَّيتُ سبيلَه، فأصبحتُ، فقال لي رسولُ اللهِ: **مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟** قلتُ: يا رسولَ اللهِ؛ زعم أنه يُعلِّمُني كلماتٍ ينفعني اللهُ بها، فخلَّيتُ سبيلَه، قال: **مَا هِيَ؟** قلتُ: قال لي: إذا أَويتَ إلىٰ فراشِك فاقرأْ أيةَ الكُرسيِّ، من أولها حتىٰ تختم الآية: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظٌ، ولا يقربُك شيطان حتىٰ تصبحَ وكانوا أحرصَ شيءٍ علىٰ الخير. فقال النبيُّ: **أَمَا أَنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ، وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَم مَن تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟** قلتُ: لا، قال: **ذَاكَ الشَّيْطَانُ**»[(١)].

**والخلاصة**: إن هذه الآية عظيمة تحفظ الإنسان بإذن الله من كيد الشياطين، ولذلك يُسن قراءتها دبر الصلوات الخمس، وعندما يأوي الإنسان إلىٰ فراشه. ودبر كل صلاة، لقوله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكُرْسِي دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ لَمْ يَبْقَ بَيْنَهُ**

---

(١) «صحيح البخاري» (٣٢١١).

**وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ**»، وهي كذلك من آيات الرقية، فإن الشيطان لا يقرب من قرأ آية الكرسي، فهي آية عظيمة، وكذلك من الرقية قراءة الفاتحة وأواخر سورة البقرة: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وكذلك المعوذات، فكل ذلك رقية وحرز من الشيطان، إذا كررها المسلم مع الإيمان والصدق فإنه يتوقىٰ بها المسلم من الجن والشياطين بإذن الله.



## ٢- الجمع بين علوه وقربه وأزليته وأبديته

• ثم قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد: ٣]».

أورد الشيخ هذه الآية الكريمة التي تتضمن من أسماء الله وصفاته الواردة في القرآن، ففي الآية أربعة أسماء هي: الأول، والآخر، والظاهر، والباطن، فهي ثابتة في الكتاب والسنة.

والاسمان الأول والآخر لا يلزم التلازم في إطلاقهما، وأما الاسمان الآخران: الظاهر والباطن فلا يطلقان إلا وهما متلازمان؛ أي: متقابلان، تقول: الظاهر والباطن، فلا تقول الباطن إلا ومعه الظاهر، فلا يكمل معنىٰ الاسم الباطن إلا بذكر الظاهر، ومثله النافع والضار فهما متلازمان أيضًا وهما صفتان لله.

وكما قلنا: إن الجمع بين هذه الأسماء زيادة كمال، ولا شك أن الإفراد فيه كمال، ولكن مع وروده متقابلًا مزيد كمال، وتتضمن هذه الأسماء بهذا الوارد، في قوله: الأول والآخر والظاهر والباطن؛ أي: التلازم والمتقابلة بيان للإحاطة الزمانية والمكانية المطلقة، كما فسر ذلك رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حيث قال رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ**»(١).

(١) «صحيح مسلم» (٢٧١٣).

«**فالأول**»؛ أي: الأولية المطلقة الذي لم يسبقه شيء، كل ما عدا الله فهو حادث موجود أوجده الله قبل أن يكون، هذا من حيث الزمان، وهكذا الآخر فليس بعدك شيء في الزمانية أيضًا، فالله ليس بعده شيء بمعنىٰ: أن الله هو الباقي بعد ذهاب الأشياء، قال تعالىٰ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، فالله هو: «**الأول**» الذي له الأزلية، والآخر الذي له السرمدية.

وهذه إحاطة زمانية كما أن لله الإحاطة المكانية المطلقة وذلك في قوله: «الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ»، وكذلك: «الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ»، فالله فوق العرش وليس فوق الله شيء، ثم قال: «وَأَنْتَ الْبَاطِنُ لَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ» ولم يقل: «تحتك»، والباطن هنا لا ينبغي تفسيره إلا بما فسره رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بقوله: «لَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ»، فيفسر بالإحاطة بكل شيء، فليس في المكان ولكن معناه القرب العام من المخلوقات الذي دق علمه، فعلوه وارتفاعه لا يمنع من علمه بالخفيات ولا يحول بينه وبين خلقه شيء سبحانه، فهو سبحانه محيط بالخلائق بصرًا وسمعًا وعلمًا وتدبيرًا وإحاطة كاملة فلا يحجبه عن الخلائق شيء، بخلاف المخلوقات تحول بينها الأشياء والجبال والأماكن وغيرها، فالله قريب في علوه، عليٌّ في دنوه، ولذلك قال تعالىٰ في سورة «الحديد» بعد أن قرر استواءه وعلوه علىٰ العرش: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٤]، فذكر مع علوه علمه الكامل بما في السماوات والأرض.

وفي قوله: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ ملحظ ودلالة علىٰ الحصر في الأولية فلا يستحقها غيره.

وفائدة ورود «**الواو**» هنا: الأول والآخر، وكذلك الظاهر والباطن، تفيد التأكيد والتحقيق؛ لأنها أسماء متقابلة؛ أي: الأول ومع ذلك الآخر، والظاهر ومع ذلك

الباطن، تفيد تأكيد الصفة الأولىٰ وتحقيق الصفة الثانية.

قال شيخنا العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعليقة علىٰ هذه الآية في شرحه علىٰ «العقيدة الواسطية»: «يستفاد من هذه الآية الكريمة، إثبات أربعة أسماء لله وهي: الأول، والآخر، والظاهر، والباطن.

ويستفاد منها أيضًا خمس صفات: الأوليّة، والأخرويّة، والظاهريّة، والباطنيّة، وعموم العلم»، ثم قال: «واستفدنا من مجموع الأسماء: إحاطة الله تعالىٰ بكل شيء، زمانًا ومكانًا؛ لأنه قد يحصل من اجتماع الأوصاف زيادة صفة»، ثم قال عن حكم ذكرها متلازمة، بمعنىٰ إذا قلت: **الأول، فهل لا بد أن تقول الآخر؟ أو يجوز فصل بعضها عن بعض؟**

فأجاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: «فالظاهر أن المتقابل منها متلازم، فإذا قلت: الأول، فقل: الآخر، وإذا قلت: الظاهر؛ فقل: الباطن، لئلا تفوت صفة المقابلة الدالة علىٰ الإحاطة» اهـ.

• ثم قال في آخر الآية: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٣﴾ فتضمن هذا شمول علم الله وإحاطته بكل شيء في الزمان كله والمكان أيضًا، و(**عليم**): صيغة مبالغة أبلغ في معنىٰ كمال العلم وإحاطته، وفي هذا رد علىٰ أهل البدع من المعتزلة والرافضة والقدرية الضلال الذين يقولون: أن الله لا يعلم الأشياء إلا بعد وقوعها، تعالىٰ الله عن ذلك، وكذلك الرد علىٰ فرية الفلاسفة الضلال الذين يقولون: «إن الله لا يعلم الأمور الكلية دون التفصيلات والجزئيات»، تعالىٰ الله عن ذلك.

• ثم قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ**: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]».

وهذه الآية كذلك في باب أسماء الله وصفاته، والشاهد من الآية هو اسم الله

الحي، ومعنىٰ **الحي**؛ أي: الدائم الباقي الذي لا يموت ولا سبيل للفناء عليه.

قال: ﴿وَتَوَكَّلْ﴾، **فما معنىٰ التوكل؟**

نقول: التوكل هو اعتماد القلب، وأحسن ما قيل في ذلك هو: **صدق الاعتماد علىٰ الله في جلب المنافع ودفع المضار مع الأخذ بالأسباب المشروعة وفعلها**، فلا بد من اعتماد المخلوق علىٰ الله اعتمادًا صادقًا، فلا يسأل إلا الله، ولا يستعين ولا يرجو ولا يخاف إلا من الله مع الثقة بالله.

ثم لا بد من الأخذ بالأسباب المشروعة، فعدم الأخذ بالأسباب يقدح في التوكل وهو من باب التواكل، وهو أيضًا سفه في العقل ونقص في التدين، بل هو طعن في حكمة الله، قال تعالىٰ: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]، وقال أيضًا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥]، وقد ذكر ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أثرًا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أنه لقي أناسًا من أهل اليمن، فقال: «مَنْ أَنْتُم؟ فقالوا: نَحْنُ الْمُتَوَكِّلُونَ، قَالَ: بَلْ أَنْتُم الْمُتَأَكِّلون ، إِنَّمَا الْمُتَوَكِّلُ الَّذِي يُلْقِي حبّهُ فِي الْأَرْضِ وَيَتَوَكَّلُ عَلَىٰ اللهِ»[(١)].

ولذلك ذُم مثل هؤلاء، من يأتون إلىٰ الحج دون زاد، ويقولون: نحن المتوكلون، فقال الله في مثل حالهم: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وقد قسم أهل العلم التوكل إلىٰ: **توكل مشروع، وتوكل غير مشروع.**

**الأول:** التوكل المحرم شرعًا وهو: أن يتوكل علىٰ غير الله توكلًا كاملًا فهذا شرك؛ كأن يعتمد علىٰ الأولياء، والأموات من أهل القبور، مع اقتران ذلك بالخشية

---

(١) «جامع العلوم والحكم» (ص: ٨٢١). بتحقيق وتعليق طارق بن عوض الله بن محمد.

والرجاء والتذلل لهم، فهذا شرك أكبر مخرج من الملة.

**والثاني:** أن يتوكل علىٰ المخلوق بأنه سبب مع علمه أن الأمر لله، كتوكل بعض الناس علىٰ الحكام في تحصيل أرزاقهم مع التذلل لهم فهذا شرك أصغر.

**والثالث:** من التوكل أن تجعل مخلوقًا نائبًا عنك، كأن تجعله وكيلًا في بيع أو شراء وغير ذلك مما تدخل فيه النيابة، فهذا جائز ومشروع ولا ينافي التوكل علىٰ الله.

وقال في الآية: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ فنفىٰ الموت وأثبت الحياة الدائمة لله ولم يقل: القوي، أو أي صفة أخرىٰ لله؛ لأن المشركين كانوا يعتمدون علىٰ أصنام وجمادات لا تنفع ولا تضر، فناسب أن يقول: توكل علىٰ الله الحي الذي لا يموت، وحياة الله لم تسبق بعدم ولا يلحقها فناء.

● قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وَقَدْ دَخَلَ فِي هَذِهِ الجُمْلَةِ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي سُورَةِ الإِخْلَاصِ وَذَكَر بَعْدَهَا الآيَات** -إلىٰ أن قال-: **وقوله:** ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٢﴾ [التحريم: ٢]، و﴿ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ۝٣﴾ [التحريم: ٣]»

إلىٰ ما بعد ذلك في ذكر آيات الأسماء والصفات لله تعالىٰ في كتابه العزيز، في هذه الآية إثبات العلم لله تعالىٰ، وهذه الصفة العظيمة لله تعالىٰ قد كثر ذكرها في كتاب الله يتمدح الله بها بأنه العليم الحكيم.

وعلم الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ محيط بكل شيء، الذي وقع والذي لم يقع، فالله يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، قال تعالىٰ فيما لم يقع لو وقع كيف يكون: ﴿وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨]، وهذا بيان من الله بعلمه الأزلي بأن أهل الكفر لو أعيدوا إلىٰ الدنيا فأمهلوا لرجعوا بالعناد بالكفر والتكذيب وإنهم لكاذبون في قولهم: لو رجعنا إلىٰ الدنيا لم نكذب بآيات ربنا، وكنا من المؤمنين.

ومنها أيضًا قوله تعالىٰ في غزوة بدر: ﴿وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا﴾ [الأنفال: ٤٢]، ومن ذلك مما لم يقع مما يكون مستحيل الوقوع، والله يخبر عنه سبحانه، قال تعالىٰ: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ [الأنبياء: ٢٢]، يقول سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: لو كان في السماوات والأرض آلهة غير الله لفسدت الأرض والسماء، هذا من علم الله الذي يستحيل أن يكون، يعلم الله عنه ويخبر به وهو أصدق القائلين سبحانه.

والأمثلة في هذا كثيرة في كتاب الله، فالشاهد أن علم الله محيط بكل شيء، قال تعالىٰ: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٣١﴾ [البقرة: ٢٣١]، والله يعلم قطر مياه البحار والأنهار وعدد ورق الأشجار، ويعلم سبحانه عدد حبات الرمال، ويعلم عدد الميّتات، ويعلم ما تخفي الصدور، ويعلم الغيب والشهادة، وهذه الصفة إذا علمها المؤمن توجب عليه الخوف والحذر، قال تعالىٰ: ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ٧٨﴾ [التوبة: ٧٨]، وقال تعالىٰ: ﴿أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ ٨٠﴾ [الزخرف: ٨٠]، وقال: ﴿وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ٧﴾ [طه: ٧]، وقال: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ١٦﴾ [ق: ١٦]، فالمؤمن إذا استشعر هذه الآيات علم من العلم ما يجعله في خوف من الله ويكون مراقبًا لله، ومن غابت عنه هذه الصفة وقع في المنكرات وخبائث الأمور، فعلىٰ المؤمن الإيمان بهذه الصفة ليكون في حذر دائما من الله في السر والعلن.

وفي قوله في هذه الآية: ﴿وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ٨٤﴾[الزخرف: ٨٤] نعلم أن الحكمة لها تعلق بالعلم؛ لأن الحكمة هي وضع الشيء في موضعه، ولا يضع الشيء في

موضعه الصحيح إلا من اتصف بالعلم، **والحكيم فيها ثلاثة معاني**:

أولها: الحكمة.

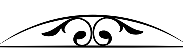
الثانية: الحكم؛ فالحكيم كثير الحكم وأحكامه صائبة.

والثالثة: الإصابة في الحكم والإتقان، قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السجدة: ٧]، ثم قال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ۝٣﴾ ففي الآية **اسمان** لله: العليم والخبير و**صفتان** هما: العلم والخبرة.

**والخبير** هو: العالم ببواطن الأمور، ومن معاني الخبير: العلم بحقيقة الأشياء، والعلم بالبواطن أخص من العلم بالظواهر، واسم الله **اللطيف** أخص من الخبير، وأوسع معنىٰ فيما يعلم الله من دقائق الأشياء وأكثرها خفاءً، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١٠٠﴾ [يوسف: ١٠٠]، وفي قوله: ﴿ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ۝٣﴾ ذكر علم الله لما يخفىٰ، فعلم الله يشمل ظواهر الأشياء وبواطنها علىٰ حقيقتها وعلىٰ ما هي عليه وعلىٰ ما يصلح لها، فتعالىٰ الله رب العالمين.

ولتعلم أن صفة العلم صفة قائمة بالله وليست صفة قائمة بذاتها كما يزعم أهل البدع من الضلال، فالعليم من أسماء الله، وهو سبحانه ذو العلم الواسع، وليس معناه: أنه العليم بذاته كسائر صفاته الذاتية.





## ٣- إحاطة علمه بجميع خلقه

• **ثم قال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ﴾ [سبأ: ٢]، ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩]، ﴿وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ﴾ [فاطر: ١١]، **وقوله:** ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢]».

قوله تعالىٰ: ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ﴾، في هذه الآية بيان لعلم الله لظواهر الأشياء وبواطنها.

وقوله: ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ﴾، **(ما)** هذه هنا اسم موصول تدل علىٰ ما يأتي بعدها من صلة الموصول، ﴿مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: ما يدخل في الأرض من كل شيء، ومن ذلك مثلًا ماء المطر: فالله يعلم ما يتسرب في جوف الأرض ويعلم عدد قطراته وأين يتسرب وأين يستقر ومن ينتفع به.

وهكذا جميع الأموات فكل من مات ودفن في الأرض يعلم الله مستقرهم وأحوالهم، ومن جميع المخلوقات الهالكة التي تعود إلىٰ الأرض، وكذلك سبحانه يعلم ما تخفي الأرض من حشرات وهوام، يعلم الله مستقرها ومستودعها في خفايا الأرض.

وفي قوله: ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾؛ أي: الأرض كالنبات الذي يخرج من الأرض، كذلك المعادن التي تخرج من جوف الأرض، ومن غير ذلك الكثير.

وفي قوله: ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: من الوحي والملائكة والمطر وغير ذلك.

وقوله: ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾؛ أي: السماء من الملائكة والأرواح والعمل الصالح، قال تعالىٰ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، قال: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ [الأنعام: ٥٩]، أي: الخزائن، فالله عنده الخزائن ويملك مفاتيحها فهو يعلم ما في الخزائن، الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فسر لنا مفاتح الغيب فقال: «**مَفَاتِحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ: أنّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ**»، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: ٣٤].

**فمفتاح الساعة** هو: علم الله لقيام الساعة، فالساعة هي مفتاح الآخرة وما فيها، فالله سبحانه تفرد بهذا العلم.

**وينزل الغيث**: نزول الغيث مفتاح حياة الأرض وما يحصل من نبات وما يدب عليها من إنسان وحيوان، ومفتاح الأرزاق أيضا لهذه المخلوقات.

**ويعلم ما في الأرحام**: وهذا مفتاح حياة الدنيا.

**وما تدري نفس ماذا تكسب غدًا**: هذا مفتاح الأعمال التي من أرزاق العباد ولجميع المخلوقات، وكذلك أعمال العباد التي يحاسبون عليها لهم وعليهم، وهذه أمرها عظيم وعليها مصير العباد يوم البعث والنشور.

**وما تدري نفس بأي أرض تموت**: وهذه مفتاح الحياة الأخروية وحياة البرزخ

التي فيها العباد ينعمون أو يعذبون، وهذه حياتها سرمدية.

هذه كلها اختص الله بعلمها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا إشكال فيما يعلمه الإنسان مثلًا في هذه الأزمنة لما في أرحام الحوامل من بنين أو بنات، وهذا لا يتعارض مع ما تتضمنه هذه الآية، فعلم غيب الجنين عند الله قبل أن يكون في الرحم فالله يعلمه قبل ذلك.

فهذه مرحلة لا يعلم حال المولود لا إنس، ولا ملك ولا جن، لا يعلم أحد غير الله هل هو: ذكر أم أنثي، رزقه، شقي هو أم سعيد، عمره وأجله في الدنيا، مصيره يوم البعث، وأما ما قد يعلمه البشر أو الملائكة بعد تخلقه لا يعلمونه إلا بإعلام الله لهم، فالله يُعلم الملائكة ثم يُعلم البشر بعد علمه الذي تفرد به أولًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

كذلك يُقال فيما يذكر من علم الإنسان بالمراصد وأحوال الجو والطقس والأمطار وهبوب الرياح وغير ذلك؛ كل ذلك يعلمها الله قبل نشوئها أزلًا، وقد يشاء الله إعلام بعض مخلوقاته بعد إنشائها بما يقدره من العلوم والسنن الكونية، وكل ذلك من علوم الله لعباده ومخلوقاته، ثم هم فيما يقولون قد يصيبون في أقوالهم وقد يخطئون.

• ثم قال سبحانه: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ٥٩﴾، ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾: فيه بيان علم الله الشامل لكل ما حوت هذه الأرض برها وبحرها، فانظر يا رعاك الله إلىٰ سعة هذه البحار وما حوت من مخلوقات وكائنات كثيرة لا تعد ولا تحصىٰ عند البشر، الله يعلم هذه الكائنات قبل أن توجد وبعد وجودها وإلىٰ مدىٰ انتهائها، فعلم الله سبحانه قد أحاط بذلك بعلمه العظيم، وفي قوله: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾، فتأمل يا رعاك الله كم من شجر في الأرض وفي السماء، ففي السماء أشجار، منها سدرة المنتهىٰ، كل هذه الأشجار يعلمها الله

ويعلم عدد ورقِها، فما تسقط من ورقة من شجر في الأرض في البر والبحر، ولا شجرة في السماء إلا والله سبحانه قد أحاط علمًا بهذه الورقة وسقوطها وأين تقع بعد سقوطها وما تسقط عليه ومن تسقط عليه ومن يتناولها ومن يأكلها من الدواب والناس، هذا علم الله دق ولطف، وهو علم عظيم، قال: ﴿وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ﴾: وهذا أيضًا من علم الله الواسع الشامل للمخلوقات، فما من حبة في الأرض من كل ما يقال له حبة إلا يعلمها الله، ويعلم موضعها، سواء فوق الأرض أو في جوف الأرض، وإن كانت في ظلمات الليل أو ظلمة الخفاء في جوف الأرض؛ فإنها لا تخفىٰ عن علم الله، فالله يعلمها ويعلم مستقرها ومستودعها، ثم ذكر العلم التام بكل ما خلق من رطب أو يابس، ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾، فكل ما يوصف بالرطوبة أو اليبوسة في الأرض عليها أو في جوفها إلا ويعلمه الله وقد أحاط به علمًا.

وهذا التفصيل في ذكر صفات علم الله وسعته، والتفصيل فيه والإكثار من ذكره هو من باب كمالات الصفات لله، وكمالات الصفات لله القاعدة فيها: **التفصيل والتنويع في ذكر مظاهر الصفة**، وهكذا جميع الصفات الثابتة لله والتي يُتمدح بذكرها لله تعالىٰ لبيان عظمة الله، فالله فصل كثير من صفات الكمال له سبحانه في آيات كثيرة في كتابه العزيز، بخلاف صفات التنزيه فإنه يجمل فيها ويقصد بها ذكر كمال الضد منها كما ذكرنا فيما تقدّم.

وختم هذه الآية بقوله: ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾: بيَّن سبحانه بأن الله أحاط بهذه الخلائق علمًا، وأنها مكتوبة في اللوح المحفوظ.

ثم ذكر الآية الأخرىٰ: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾: فهذا بيان علم الله بما تحمل الإناث، وهذا عام في كل الإناث من المخلوقات من الجن والإنس والطيور والحيوانات والحشرات، فوق الأرض وفي جوف الأرض، كل هذه

المخلوقات في أرحام هذه الإناث يعلمها الله حين وضعت في هذه الأرحام وحين تخلقها وما يكون من أحوالها حتىٰ تضعها هذه الأرحام وتخرجها في هذه الدنيا لتحيا أو لتموت، ويعلم آجالها وأعمارها وأرزاقها ومنتهىٰ أمرها ومستقرها علىٰ حياتها وبعد موتها، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٦﴾ [هود: ٦].

ثم ذكر شيخ الإسلام في تمام الآيات في ذكر صفة علم الله قوله تعالىٰ: ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ۝١٢﴾ [الطلاق: ١٢].

• ثم قال: «وقد دخل في هذه الجملة: ما وصف به نفسه في سورة الإخلاص» وذكر بعد ذلك آيات الصفات والأسماء إلىٰ أن قال: «وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات: ٥٨]» فهذه الآية جاءت بعد قول الله تعالىٰ في سورة الذاريات: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٧]، وهي في ذكر أعظم ما خُلق له الجن والإنس في هذه الدنيا، وهو توحيد الله وعبادته بما شرع، وأنه ينبغي ألا يشغلهم شاغل عن هذا الأمر العظيم، مهما ظنوا في أهمية ذلك الشاغل، وأكثر ما يتشاغل به الإنسان ويقصر بعد ذلك في عبادة الله هو جلب الأرزاق، بالضرب في الأرض ابتغاء ضمان الرزق، هنا بين الله تعالىٰ في هذه الآية أن أمر الرزق قد تكفل الله به لعباده وضمن لهم ذلك بأقل الضرب في الحياة مع التوكل علىٰ الله وعمل الأسباب المشروعة، فلا ينبغي إضاعة جُل وقت المخلوق في الاستزادة من طلب الرزق حتىٰ يكون ذلك فيه الانشغال وترك العبودية الحقة لله، فإن الله قد ضمن بأقل الجهد رزق العباد، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾؛ أي: إن الله هو الضامن لك أيها العبد: رزقك، وقوتك، وقوام حياتك، فلا تشتغل كدحًا وهمًّا بأمر هذا الرزق، فإن الله ميسر أمره بأدنىٰ الجهد؛ لأن الله هو

الرزاق، وهذه صيغة مبالغة من الرزق وهو: العطاء من الله لحاجة المخلوق؛ لأن الله خلق العباد جنهم وإنسهم، ومسلمهم وكافرهم، وضمن لهم قوام استمرار حياتهم ومنافعهم البدنية والروحية من الأقوات والطعوم والشراب والملابس وغير ذلك، وهذه قوام الأجساد وكذلك هيّأ لهم قوام أرواحهم بالعبودية والتذلل والتدين لله، فهذا غذاء الروح وهو أعظم من غذاء الأجساد، فلا تضيع حياتك في الاشتغال والاعتناء بمطالب الأجساد؛ فإن الله يسرها لك وذللها للجميع، وإنما اجعل همك الأعظم في غذاء الروح بالعبودية الكاملة لله، واعلم أن الله رزاق كثير العطاء، ولذلك قال: **(رزاق)** لكثرة رزقه وكثرة من يرزقهم من الجن والإنس والحيوانات والطيور والدواب بشتىٰ أنواعها فقال سبحانه: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝٦﴾ [هود: ٦]، فما علىٰ هذه الدواب إلا السعي لطلب الرزق عملًا بالأسباب، ومسبب الأسباب هو الله قد أمرك بالضرب في الأرض وضمن لك بهذا الضرب العيش الرغيد، قال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ﴾ [الملك: ١٥]، فاسعَ يا عبد الله وفق ما شرع الله، وكُلْ من رزق الله الذي رزقك إياه، ثم اطمئن فإنه هو الرزاق القوي المتين، قال: ﴿ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ۝٥٨﴾ أي: الشديد في قوته وعزته وجبروته سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

وتضمنت هذه الآية إثبات اسمين من أسماء الله هما: الرزاق، والمتين.

كما تضمنت ثلاث صفات لله وهي: الرزق، والقوة، وما تضمنه معنىٰ المتين أي: الشديد، ولا نسمي الله **بالشديد** بل نسميه **المتين**؛ لأنه سمىٰ نفسه **بالمتين**، ولكن نخبر عن الله إخبارًا بأنه شديد لإخباره عن نفسه بذلك.



## ٤- إثبات السمع والبصر لله سبحانه

• ثم قال: «وَفِي قَوْلِهِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورىٰ: ١١]، وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٥٨﴾ [النساء: ٥٨]».

سبق معنا أن هذه الآية هي الميزان عند أهل السنة والجماعة، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾: وهي رد علىٰ الممثلة لصفات الله بصفات المخلوقات، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾: فيها رد علىٰ المعطلة، فالناس انقسموا إلىٰ ثلاثة أقسام: منهم من بالغ في الصفات فغلَوْا وهم: المشبهة، ومنهم من بالغ في النفي وهم: المعطلة، وهدىٰ الله أهل السنة إلىٰ الحق في صفات الله، فمذهبهم إثبات من دون تمثيل، وتنزيه من غير تعطيل، يثبتون الصفات لكن دون تمثيل؛ لأنه سبحانه ليس كمثله شيء، فالإثبات هو الأصل وقد يشبه التمثيل، ولذلك قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾، ثم قال: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾؛ أي: سميع بسمع يدرك الأصوات، قال تعالىٰ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١]، وجاء السمع مع التأييد في موضع آخر، كقوله لموسىٰ وأخيه: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾ [طه: ٤٦]، وجاء السمع مع التهديد في موضع آخر كقوله: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝١٨١﴾ [آل عمران: ١٨١]، هذا فيه التهديد مع إدراك الصوت، ثم أثبت لنفسه البصر فقال: ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾؛ أي: الذي له البصر، والله سبحانه يوصف بالبصر، والبصر هنا ليس معناه إثبات العين ولا يلزم منه إثبات العين، إثبات العين جاء في نص آخر في قوله: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾

[القمر: ١٤]، ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ٣٩﴾ [طه: ٣٩]، فنثبت لله السمع ولا نقول: (**الأذن**) ونقول: الله أعلم، ونتوقف في هذا لا نثبت ولا ننفي؛ لأن الله سلَّم نفسه من كل عيب ووصف نفسه **بالقدوس** أي: السالم من كل عيب ونقص، فما كان نقص في كل حال يُنزَّه منه الله، وما كان ليس نقصًا في كل حال هذا نتوقف فيه فلا نثبته ولا ننفيه بل نقول: الله أعلم، نقول السمع ونسكت، ولا نقول بأذن ولا ننفيه، فالبصير هنا؛ أي: الذي يبصر ولديه البصر، أي: لا يغيب عنه شيء فبصر الله سبحانه لا يحول دونه شيء بخلاف بصر المخلوق الذي يحول بينه وبين المرئي الحوائل، أما بصر الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ محيط بالمرئي ولا يحول بينه وبين المرئيات شيء البتة.

ثم قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ﴾ نعما: أصلها أدغمت الميم في الميم فصارت نعمَّا، والأصل هي: أن الله نعمىٰ يعظكم به أن الله كان سميعًا بصيرًا، فأثبت لله السمع والبصر علىٰ وجه الدوام، ولا عبرة لـ«**كان**» الفعل الماضي الناقص هنا، بل يقال: إنها مسلوبة الزمن وهي للدلالة علىٰ الوصف فقط، فالله سميع بصير في كل حين وزمان.

وهاتان الصفتان من أكثر الصفات الواردة في القرآن مع صفة العلم أيضًا؛ لأن هذه من أعظم الصفات: العلم، السمع، البصر، القدرة فهذه تتكرر كثيرًا في ختام الآيات، أن الله العزيز الحكيم، العليم البصير، هذه كثيرًا ما تختم بها الآيات لأنها من أعظم الصفات لله.

ومن شدة مبالغة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه قرأ هاتين الصفتين وهو علىٰ المنبر وأشار إليهما، والمراد بذلك تحقيق الصفة فرد التمثيل ردًّا قاطعًا؛ لأنه لا يعني إثبات الأذن به، بل يثبت سمعًا حقيقيًا؛ لأن المعطلة يقولون: إن السمع يراد به العلم وهذا خطأ، العلم غير السمع فيمكن أن تعلم بالصوت بطريقة أو بأخرىٰ بدون السمع،

تعلم أن هناك صوت شديد كأن ترىٰ أن الناس وضعوا أيديهم علىٰ آذانهم أو انزعجوا أو غير ذلك، فالأصم مثلًا يعلم أن هناك أصوات وهو لا يسمع، فالعلم غير السمع، فالرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حقق السمع والبصر تحقيقًا بالغًا(١) فكأنه أبطل التعطيل قبل أن يوجد، ومع ذلك يوجد من يخالف نسأل الله العافية.

**وهنا نقول: هل يجوز لأحد أن يشير بأصبُعيه إذا ذكر صفة السمع والبصر أو يشير بيده حين يذكر صفة القبض كما فعل الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في إثبات القبض؟**

نقول: هذا فيه خلاف بين أهل العلم منهم من قال: لا يفعل؛ لأن العامة قد يظنونه يثبت الأذن وبصرًا كبصر المخلوق!

وبعضهم قال: لا مانع أن نفعل كما فعل الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، ولو كان هذا لا يجوز لَمَا فعله رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فكيف لا نفعل ما فعله.

ومن العلماء من فصّل في الأمر فقال: لكل مقام مقال، إن كان الأمر بين طلبة علم يفهمون ولا يقع في أنفسهم تمثيلًا فلا بأس في فعل ذلك، وإن كان بين عوام وإن مثل بين الناس يحصل من ذلك الفتنة فإننا نكف عن هذا، وكما جاء عن علي وابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُه عُقُولهُم إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِم فِتْنَة»(٢)، وقال عليّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُرِيدُونَ أَن يُكَذَّب اللهُ وَرَسُولُهُ»(٣).

---

(١) عن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يقول علىٰ المنبر: «**إن الله سميع بصير،** وأشار إلىٰ عينيه» أخرجه الطبراني في «الكبير» وذكره ابن حجر في «الفتح» وحسن إسناده (١٣ /٣٨٥).

(٢) «صحيح مسلم» (٥).

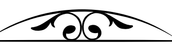
(٣) «صحيح البخاري» (١٢٧).

وهذا القول بالتفصيل لا شك أنه هو الأحسن الذي ينبغي أن يُصار إليه؛ والله أعلم.

ونقول كما أسلفنا أن في الآية إثبات **السمع والبصر** كما يليق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كما أن فيها إثبات اسمين لله تعالىٰ هما: السميع، والبصير.

وفي الآية إثبات الصفات وهي: صفة السّمع، والبصر، والأمر، والموعظة.





## ٥- إثبات المشيئة والإرادة لله سبحانه

● ثم قال شيخ الإسلام: وقوله: «﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩]، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة: ٢٥٣]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾﴾ [المائدة: ١]، ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾ [الأنعام: ١٢٥]»

هذه الآيات في إثبات صفتي: المشيئة، والإرادة.

والإرادة تنقسم إلىٰ قسمين:

**إرادة كونية**: وهي بمعنىٰ المشيئة، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، أي: ما أراد كونًا وقع وما لم يرده كونًا لم يقع.

**إرادة شرعية**: وهذه قد يلزم منها الوقوع وقد لا يلزم.

وهنا نقول: إن الإرادة الكونية لا يلزم منها محبة الله لها، فمن أفعال العباد ما قد يحبه الله وما قد لا يحبه وكلها من أقدار الله، فإذا أراد الله مثلًا أن يكفر الكافر فلا بد أن يكفر، ولكن هذا الكفر غير محبوب عند الله تعالىٰ، ولكن إيمان المؤمن الذي قدره الله أيضًا هذا محبوب إلىٰ الله تعالىٰ.

أما الإرادة الشرعية فهي محبوبة لله، فالله لا يريد شرعًا علىٰ العباد إلا ما هو محبوب عنده سبحانه، ومع ذلك قد تقع وقد لا تقع، مثل إيمان المؤمن، فالله أراده

شرعًا، فإذا حصل إيمان المؤمن فالله يحب ذلك، وإن لم يقع فإن الله لا يحب ذلك ولكن قد قدره كونًا، وإيمان الكافر يحبه الله ولكنه لم يقع، وقد قدره الله كونًا لعلم الله أزلًا أنه لن يؤمن وسيختار الكفر، **فهذا هو الفرق بين الإرادتين.**

والآيات التي ذكرها تتضمن الإرادتين، يبينها السياق، ويبين هل هي إرادة كونية أم إرادة شرعية.

فالمؤلف بدأ بذكر آيات المشيئة التي ترادف الإرادة الكونية، قال: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾ [الكهف: ٣٩]، فذكر في قصة صاحبي الجنتين، قول المؤمن لصاحب الجنة الآخر: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف: ٣٩]، **(ما)** هنا يمكن أن تفسر بأنها موصولة أو تفسر بأنها شرطية.

فإذا جعلناها موصولة تكون خبرًا لمبتدأ محذوف، أي: هذا الذي شاءه الله، فرد الأمر إلىٰ الله وعدم الإعجاب بما في النفس، وإذا جعلناها شرطية تكون جواب الشرط تقديره **(كان)**؛ **أي**: ما شاء الله كان بمعنىٰ قد شاءها الله فكانت بمشيئة الله.

فبِكلا التقديرين يُرد الأمر إلىٰ الله وتُنسب النعمة إلىٰ الله فيشكر الله ويتبرأ من حوله هو وقوته، فيكون ذلك سببًا لدوام هذه النعمة، قال: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩]، والله نسب القوة في آية أخرىٰ: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ۝٢٦﴾ [القصص: ٢٦]، فهنا نسب القوة إلىٰ العبد، ولا تعارض مع نفيها في هذه الآية، قال: ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾؛ أي: إن قوة العبد لا تكون إلا من عند الله فأي قوة عند أحد فهي من عند سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

إذًا: «**لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**» هذه كلمة عظيمة أخبر بها رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فقال كما في الصحيحين من حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ**» وفي لفظ: «**بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ**»، قال: «**قُلْ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا**

**بِاللهِ»**[(١)] فإذا قالها العبد برأ من حوله وقوته أي: لا تحول من حال إلىٰ حال ولا من مكان إلىٰ مكان إلا بالله، ولا قوة لأحد علىٰ أي فعل مهما كان إلا بالله تعالىٰ، فمن قالها معتقدًا بمعناها برأ من حوله وقوته ونسب ذلك إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذا حري أن يعينه الله، ولذلك إذا سمعها المسلم حين ينادىٰ إلىٰ الصلاة رددها مستعينًا بالله في أداء الصلاة وفي نفسه موقنًا أنه لا تحول له ولا قوة له بفعل هذه الصلاة إلا بعون الله له مقرًّا بذلك معترفًا، فيعينه الله علىٰ هذه العبادة العظيمة ويوفقه لها.

ثم قال: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم﴾: فالله يخبر في هذه الآية أن الاقتتال حصل بمشيئته هو سبحانه، ولو شاء الله ما حصل الاقتتال، ولكنه سبحانه شاء هذا الاقتتال فحصل ووقع هذا لحكمة بالغة، لحصول الابتلاء والامتحان وليتبين المؤمن من الكافر فيبتلي الله المؤمن بالكافر، والكافر بالمؤمن، ليعظم أجر المؤمن فترتفع درجته ويعظم شر الكافر فيزيد عذابه.

فهذا الأمر وقع بمشيئة الله، ولا يقع في هذا الكون شيءٌ إلا بمشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سواء كان يحبه الله أو لا يحبه؛ لكنه قد يشاء ما لا يحب لأنه سبحانه يحبه من وجه آخر، فكفر الكافر ليس محبوبًا لله، لكنه محبوب من جهة أنه يكون بوجود الكافر الجهاد الذي يحبه الله، كذلك يوجد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو محبوب أيضًا عند الله، إذا كفر الكافر تكون فيه محبة الله لما يترتب عليه من الأعمال الكثيرة المحبوبة لله تعالىٰ.

**وهذا فيه الجواب علىٰ السؤال الأول: كيف يقدر الله أمرًا لا يحبه الله شرعًا؟**

**الجواب:** لأن الله هو الملك المتصرف في أمر هذا الكون، لا يقع في هذا الكون

(١) «صحيح البخاري» (٤٢٠٥).

شيء إلا بمشيئته، وهكذا لو نظرنا في وجود إبليس وكفره هذا لا شك مبغوض إلىٰ الله، ولكن الله أوجده وقدر عليه الكفر: **أولًا**: بعلمه في الأزل أنه سيختار الكفر، **ثانيًا**: من أجل وجود الابتلاء والامتحان ليتبين الإيمان ويتمحص المؤمنين بالابتلاء والوسوسة والشهوات، فإذا انتصر المؤمن وثبت إيمانه استحق دخول الجنة.

إلىٰ أن قال في الآية: ﴿وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُواْ﴾، وهنا كرر ذكر الاقتتال، وفي هذا معنىٰ آخر زائد وهو في ذكر الاقتتال الأول: ﴿مَا ٱقْتَتَلُواْ﴾ أي: ما اختلفوا، أي: صاروا جميعًا علىٰ الإيمان كما قال: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الشورىٰ: ٨]، ثم ذكر أنهم اختلفوا فقال: ﴿وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُواْ﴾ أي: فيما بعد، ومع ذلك لو شاء الله لم يحصل هذا الاختلاف ولكنه حصل لأن الله يفعل ما يريد، إلىٰ أن قال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وهنا الإرادة المراد بها **الكونية** أي: إن الله أراد ذلك كونًا.

ثم قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ۝١﴾: فالإرادة هنا يمكن أن نجعلها كونية أو شرعية فالله يحكم قدرًا ما يريده كونًا، ويصلح أن نقول: إن الله يحكم شرعًا أي: يحلل ويحرم شرعًا، ويأمر وينهي بما يريد أي: ما يحب بغض النظر عن أن يقع أو لا يقع.

* فإن جعلناها كونية فلا بد أن تقع.
* وإن جعلناها شرعية فإنها قد تقع وقد لا تقع.

ثم قال: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[الأنعام:١٢٥]، الإرادة هنا المقصود بها الإرادة الكونية، أي: إن الله إذا أراد كونًا أن يهدي العبد يوفقه للمشيئة الشرعية، فيعمل بها ويوافقها فيثبت علىٰ الإيمان، وهنا نقول: إن هذه الإرادة يكون

لها أسبابًا يعمل بها العبد فيدرك بها المقدر كونًا وقد قدره الله له.

والأسباب جاء ذكرها في آيات أخرىٰ منها قوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝﴾ [الليل: ٥ – ٧]، فهذه أسباب شرعية يحبها الله، تعاطاها العبد فحصلت له الهداية، ثم هي مقدرة من الله كونًا فوافقت الشرعية الكونية، وهذا فعل العبد للأسباب حتىٰ لا يتعلق العبد بالقدر فيقول: الله لم يهدنِ ثم يسترسل في الذنوب والمعاصي، فالله يهدي من يريد، وقد بين أسباب الهداية فمن فعلها هداه الله ومن امتنع أضله الله.

وهذه واضحة في الرزق، فالله جعل أسبابًا للرزق من أخذ بها رزق في الغالب ومن تركها وأهمل قد ينقص رزقه، مع أن ترتب الهداية علىٰ أسبابها أعظم من ترتب الرزق علىٰ أسبابه؛ لأن العبد قد يكدح ويجتهد ومع ذلك لا يُرزق ابتلاء من الله وامتحانًا له، وليس في هذا ظلم؛ لأن هذه أمور دنيوية، قد يكون خيرًا للعبد ألا يرزق أو ألا يُبسط له في الرزق فيصلحه الفقر، أما بالنسبة للهداية فهي خير محض علىٰ كل الأحوال، نعمة الهداية في الدين كلها خير إذا تعاطىٰ العبد أسبابها وفقه الله دائمًا ولا يخذله، وقد قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ۝﴾ [محمد: ١٧]، وقال: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]، وقال: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٦٠]، وفي قول الله تعالىٰ: ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ هذه آية من آيات الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أو ما يقال: إنها معجزة، والأصح أن تقول آية من آيات الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.



## ٦- إثبات محبة الله ومودته لأوليائه على ما يليق بجلاله

• ثم قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال تعالىٰ «﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾ [البقرة: ١٩٥]، ﴿وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٩﴾ [الحجرات: ٩]، ﴿فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ٧﴾ [التوبة: ٧]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢﴾ [البقرة: ٢٢٢]، ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ﴾ [آل عمران: ٣١]، ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ٤﴾ [الصف: ٤]، ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ١٤﴾ [البروج: ١٤]».

هذه الآيات كلها فيها ذكرٌ لصفات عظيمة لله، منها صفة المحبة التي ذُكرت في هذه الآيات، وهي صفة عظيمة لله تعالىٰ، وهي ثابتة لله تعالىٰ في كتابه العزيز والسنة الصحيحة، وجاء ذكرها هنا في هذه الآيات بعد ذكر صفة الإرادة والمشيئة، وهي محبة حقيقية، محبة تليق بجلاله.

وفي هذا رد علىٰ من يُسوِّي بين المشيئة والمحبة ويقول: إن المشيئة والمحبة متلازمان، فكل ما شاء الله فقد أحبه، وقد تم تفصيل هذا وبيانه بأن الله قد يشاء ما لا يحب ككفر الكافر، ومعصية العاصي، وقد يشاء ما يحب كالإيمان وسائر الطاعات، فالله كما ذكر في هذه الآيات يحب المحسنين، ويحب التوابين ويحب المقسطين والمتطهرين والمتقين والمؤمنين، كما أن محبة الله للناس تتفاضل، فقد تكون محبته

لبعض الناس أعظم من محبته لآخرين، كمحبته للأنبياء، فالله أحبَّ إبراهيم نبي الله، وكذلك مُحمد عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ، ومحبته لهما أعظم من سائر الأنبياء والرسل، ومحبة الله لها درجات: فمنها **المحبة**، ومنها **الخُلة** وهي أعلىٰ أنواع المحبة، ولذا كانت الخلة لنبي الله إبراهيم ومُحمد عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ، ومعناها أعظم المحبة.

ومن أنواع المحبة صفة **المودّة**، وهذه جميعها ثابتة لله، وهناك أنواع من المحبة لا نثبتها لله: **كالعشق، والتتيم، والهوىٰ، والصبابة**، وإنما نثبت لله ما جاء بالنص من الكتاب أو السنة الصحيحة فنقول: إن المدار في هذا والمعول عليه هو النص، وصفة المحبة ثابتة لله عند أهل السنة، وأنكرها أهل الضلال من المبتدعة، فهم ينكرون جميع الصفات كالجهمية والمعتزلة، والأشاعرة يثبتون سبع صفات فقط، ويتأولون المحبة ويقولون: المحبة هي إرادة الثواب، ومنهم من يقول: إن المحبة هي الإرادة ذاتها وإنما هي الثواب ذاته وكل أقوالهم باطلة، وهؤلاء ينكرون المحبة أصلًا، وأول بدعة في الصفات هي إنكار صفة المحبة، فأنكر **الجعد بن درهم** اتخاذ الله إبراهيم خليلًا، كما أنكر تكليم الله لموسىٰ، وهكذا أخذ ذلك عنه **الجهم بن صفوان**، وهكذا فشت في أهل الضلال من المعتزلة والأشاعرة، فالمعتزلة يقولون: إن الله لا يُحِب ولا يُحَب، ويفسرون ذكر محبة الله لعباده بالإكرام والإنعام، ومحبة عباده له بالطاعة والعمل بأوامره، وفي هذه الآيات أيضًا إثبات صفة **الإحسان والتوبة** لله، فالله هو المحسن وهو التوّاب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والمحسن والتواب اسمان من أسمائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ثم أورد شيخ الإسلام ابن تيمية هنا في هذه الآيات معاني عظيمة مرتبطة تدل علىٰ محبة الله تعالىٰ لعباده وحبهم له، فقال: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾، ففي قوله تعالىٰ: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْ﴾: أمرٌ بالإحسان، **والإحسان هو**: الإتيان بالعمل علىٰ

أحسن أحواله، وهذا أمر عام بالإحسان، ومن أوجه الإحسان وأعظمها:

**إحسان العمل مع الله**، وقد فسرها النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في حديث جبريل: «**مَا الإِحْسَانُ؟ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ**»(١)، وهذا كمال في الإحسان مع الله، وهو أكمل من الذي بعده في قوله: «**فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»، والذي يعبد الله بهذا فإن عبادته تتضمن: المراقبة، والخوف، والرهبة، وهذه من دواعي إتقان العبادة لله.

**وهناك إحسان من الخلق إلىٰ الخلق**، قال تعالىٰ: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، وأعظم البر والإحسان إليهما ما يكون زمن الشيخوخة: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝٢٣ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٣ – ٢٤]، بل تحسن إليهما وإن كانا كافرين، فأسماء بنت أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: «قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ، فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ إِذ عَاهَدَهُم، فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ رَاغِبَةٌ، أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: **نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ**»(٢).

ومن أوجه الإحسان: **الإحسان إلىٰ البهيمة**: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا القِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُم فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُم شَفْرَتَهُ وَلْيُرِحِ ذَبِيحَتَهُ**»(٣).

ثم قال في الآية التي تليها: ﴿وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩﴾، ومعنىٰ **اقسطوا**؛ أي: اعدلوا، وهذا الأمر يشمل العدل مع الله وهو أن تقوم بشكره، وكذلك هو اتباع الحق الذي بيّنه لك، وفي الأمر بالعدل أن تعدل بين جميع المخلوقات

---

(١) «صحيح مسلم» (٨).

(٢) «صحيح البخاري» (٢٦٢٠)، «صحيح مسلم» (١٠٠٣).

(٣) «صحيح مسلم» (١٩٥٥).

وأقرب الناس في أن تعدل بينهم هم زوجاتك وأولادك، وأن تعدل بين الناس إذا حكمتَ، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾ [النساء: ٥٨].

ثم ذكر في الآية التي تليها ممن يحبهم الله، **وهم المتقون**، فقال: ﴿فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ٧﴾ [التوبة: ٧]، **والمُتّقون**: هم الذين جعلوا بينهم وبين عذاب الله وقاية بفعل أوامره واجتناب نواهيه، فالتقوىٰ كلمة جامعة لفعل المأمورات وترك المنهيات، كما أن في الآية فضل التقوىٰ والحث عليها.

ثم ذكر في الآية التي تليها فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢﴾ [البقرة: ٢٢٢]، **والتوّابون**: هم كثيرو التوبة، ولذلك جاءت بصيغة المبالغة، **والتوبة هي**: رجوع العبد عن ذنوبه ومعاصيه، أي: كلما أذنب تاب إلىٰ الله ورجع نادمًا إلىٰ الله مستكملًا شروط التوبة وأعظمها: الندم، وعدم العود، وإرجاع الحقوق والمظالم إلىٰ أهلها، والتوبة واجبة من جميع الذنوب، قال تعالىٰ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [النور: ٣١].

ثم قال: ﴿وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢﴾: فيها محبة الله عَزَّوَجَلَّ لأهل الطهارة، **والطهارة هي**: النزاهة والنظافة من الأقذار الحسيّة والمعنوية، والمتطهرون هم الذين يتطهرون من الأحداث ومن الأنجاس في أبدانهم وما يجب تطهيره، وهذا المتطهر كثير الطهارة يحبه الله، وفي صحيح مسلم: «**الطَّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ**»(١).

ثم قال في الآية التي تليها: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ

---

(١) «صحيح مسلم» (٢٢٣).

﴿لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]، تضمنت هذه الآية أيضًا ذكر محبة الله، وهذه الآية يسميها علماء السلف: **آية المحنة**، أي: الامتحان، وقد ذكر ابن كثير في سبب نزولها عن الحسن البصري وغيره من السلف: أن أقوامًا -وذكر الطبري أنهم: نصارىٰ نجران- زعموا أنهم يحبون الله، فابتلاهم الله بهذه الآية[(١)]، وما تضمنت من وجوب اتباع النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لبيان صدق هذه المحبة، فمن أحب الله وجب عليه اتباع ما جاء به رسول الله ظاهرًا وباطنًا، فيقال له: إن كنت صادقًا في محبة الله فاتبع الرسول ودع الإحداث في دين الله، فمن أحدث في دين رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ما ليس منه؛ ثم ادعىٰ محبة الله ورسوله فهذا كاذب في دعواه، ولذلك علق صدق محبتهم لله باتباع ما جاء به رسول الله، ثم وعدهم الله بمحبتهم إذا حصل منهم الاتباع فقال: ﴿يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، فيحصل لهم أعظم مما فعلوا وهي محبة الله لهم، وهذه أعظم لهم من الأولىٰ، بل ووعدهم بأن يغفر لهم ما حصل من الذنب قبل ذلك فقال: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

وفي عظم منزلة محبة الله لعباده، قال بعض العلماء: «الشَّأْنُ كلَّ الشأن أنْ يُحبَّك الله، لا أَنَّك تُحِبّ الله»[(٢)]، فإن محبة الله لك تجعلك محبوبًا عند كثير من خلق الله، فيحبك جبريل وتحبك الملائكة في السماء ثم يوضع لك القبول في الأرض، فيحبك أهل الأرض، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم: ٩٦]، وهذه المحبة من الله لمن يحبه من عباده منزلة عظيمة، ألف فيها شيخ الإسلام كتابًا سماه: «قاعدة في المحبة»، ولابن القيم كتاب مثله سماه: «روضة المحبين».

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٢٩).

(٢) «مدارج السالكين» (٣/ ٣٧)، «تفسير ابن كثير» (٢/ ٢٩).

ودليل محبة الله طاعة الله وتقواه واتباع ما شرع من الدّين وبلغه رسول الله، ثم يعمل بالأسباب التي تحصل بها محبة الله، ومن أعظمها الدعاء، وكان من دعاء النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه كان يقول في دعاء طويل قال في آخره: «**وَأَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ كُلِّ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَىٰ حُبِّكَ**. قال رسولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: **إِنَّهَا حَقٌّ فَادْرُسُوهَا ثُمَّ تَعَلَّمُوهَا**»(١)، «**أَسْأَلُكَ حُبَّكَ**»: تشمل أن تحبني وأن أُحبك أنا، فهذه مصدر تشمل الأمرين، وأيضًا من أسباب محبة الله النظر في أسماء الله وتدبر معانيها وما تتضمن، وكذلك إحصاءها والعمل بمقتضاها، وقد جاء في الأحاديث: «**إِنَّ للهِ تِسْعًا وَتِسْعِينَ اسْمًا؛ مَائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**»(٢)، والإحصاء يشمل: الجمع، والحفظ، والفهم، والتدبّر، والعمل بها وبمقتضاها، وبهذا يعلم أن الله له صفات الكمال فيتعلق بها.

كذلك من أسباب محبة الله النظر في نعم الله التي لا تُعد ولا تحصىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، والإنسان مفطور علىٰ محبة من أحسن إليه، كذلك من أسباب محبة الله كثرة الذكر، ومن أكثر في ذكر شيء تعلق به، ومن أعظم الذكر الصلاة، قال تعالىٰ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾ [طه: ١٤].

وكذلك: قراءة القرآن، والتسبيح، والتحميد، والدعاء، فنسأل الله من فضله وأن يجعلنا ممن يحبون الله فيحبهم عَزَّوَجَلَّ، فالسعادة كل السعادة في الدنيا والآخرة أن تكون ممن أحبهم الله.

ثم قال: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ [البينة: ٨]، هذه الآية في إثبات صفة الرضىٰ لله تعالىٰ، والرضىٰ هنا عن العمل، فإذا رضي الله عن العمل رضي عن العامل، قال

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٢٣٥)، انظر تخريج «الظلال» (٣٨٨) للألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
(٢) «صحيح البخاري» (٢٧٣٦).

تعالىٰ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣]، هذا الرضىٰ عن العمل، وكما قال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلَاثًا: أَنْ تُوَحِّدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا، وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللهُ أَمْرَكُمْ**»[(١)]، والحديث أصله في الصحيحين والزيادة عند أحمد، فهذه فيها الرضىٰ عن العمل، والرضىٰ الآخر عن العامل كما في هذه الآية، أي رضي عن السابقين الأولين من الصحابة فقد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ.

فهذه الآية فيها إثبات **الرضىٰ**، وأن الله يرضىٰ عن بعض الأعمال، ويكره بعض الأعمال، قال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةَ الْمَالِ**»، وكذلك يرضىٰ عن بعض الأشخاص ويغضب علىٰ بعضهم، فهذه من الصفات الفعلية، وأهل البدع ينكرون الصفات الفعلية لله، ومنهم من ينكر الصفات الذاتية والفعلية أيضًا، ولا يثبت شيئًا كالجهمية، ومنهم من يثبت سبع صفات كالأشاعرة.

وهذه الصفة صفة الرضىٰ؛ ينكرها أهل البدع ويقولون: لا يقبلها العقل! فنقول: هذه صفة كمال لله أثبتها لنفسه سبحانه، فالله تعالىٰ يرضىٰ عن الأعمال الطيبة وعن الصالحين ويكره الأفعال السيئة ويكره الكفرة والمجرمين، فهذه صفة كمال لله تعالىٰ وليس فيها محظور، وقد ذكرها الله في كتابه وذكرت في سنة رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ.

ثم قال في الآية التي تليها: ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾، وهذه الآية جواب شرط في سياق ما جاء قبلها في قوله: ﴿مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ﴾ [المائدة: ٥٤]، **والردة هي**: الرجوع إلىٰ الكفر بعد الإسلام، والله لا يعبأ بمن ارتد؛ لأنه تعالىٰ غني

(١) «صحيح مسلم» (١٧١٥).

عنه، بل إن الله يزيل ذلك المرتد ويأتي بخير منه، ولذلك قال: ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ﴾ أي: بدلًا منهم، ثم وصف الذين سيأتي بهم بأوصاف عظيمة وهي محبتهم لله، فقال: ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾: فهم لمحبتهم لله يطيعونه، فذكر لهم في سياق الآيات بعدها صفات عظيمة منها: خضوعهم لإخوانهم من المؤمنين، أما مع الكفار هم أعزة أقوياء لا يُظهرون الذلّ أمامهم، بل يجاهدون في سبيل الله ومرضاته من ارتد عن دينه أو كفر وألحد، ثم هم ثابتون علىٰ الحق، وهذا الفضل من الله عليهم وحبه لهم جزاءً وفاقًا لحبهم لله، قال تعالىٰ: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤﴾ [المائدة: ٥٤].

ثم قال في الآية التي تليها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ٤﴾، وفي هذه الآية صفات عظيمة لقوم يحبهم الله، منها أنهم يجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، والجهاد ذروة سنام الإسلام، وفي حال الجهاد هم حصن منيع متراصون، لا يدعون فرجة للعدو ليتخللهم أو يمزقهم.

ثم أورد في آخر آيات المحبة، ذكر نوع من المحبة وهو **الوُد** فقال: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ١٤﴾ [البروج: ١٤]، وفي هذه الآية اسمان لله هما: **الغفور، والودود**، وصفتان لله هما: **المغفرة، والوُد**.

**والغفور** من الغفران، **والمغفرة** أي: ستر الذنوب وتجاوز الله عنها بالعفو، **والودود**: مأخوذ من الود وهو: خالص المحبة، وفيها وادد ومَودُود أي: مفعول وهما بمعنىٰ مُحب ومَحبُوب.



## ٧- إثبات اتصافه بالرحمة والمغفرة سبحانه

• ثم قال شيخ الإسلام ابن تيمية في ذكر آيات أخرىٰ في إثبات أسماء وصفات الله:

«قوله: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١﴾ [الفاتحة: ١]، ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا﴾ [غافر: ٧]، ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ٤٣﴾ [الأحزاب: ٤٣]، ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]، ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٨﴾ [الأحقاف: ٨]، ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٦٤﴾ [يوسف: ٦٤]».

هذه الآيات فيها إثبات صفة الرحمة لله تعالىٰ، فالله رحيم يرحم كل مخلوقاته من الإنس والجن والدواب وكل ما خَلَق، بل هو أرحم الراحمين، لو جُمعت رحمات الخلق كلهم، لكانت رحمة الله أشد وأعظم، وصفة الرحمة عند **أهل السنة والجماعة من صفات الله الذاتية**، يوصف بها الله علىٰ الوجه اللائق بجلاله وعظمته؛ فيجب أن يوصف بها كما وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ خلافًا لما عليه أهل الضلال والبدع الذين نفوا هذه الصفة بتأويلاتهم؛ وقولهم هي: الإنعام وإرادة الإنعام، وهذا قول مردود فاسد، فالرحمة صفة ذاتية لله، قائمة بذات الله، أي: إنها غير قائمة ببعض خلقه، بل هي صفه لله لم يزل سبحانه متصفًا بها وهي لا تنفك عن الموصوف وهو الله، فأهل السنة يثبتونها لله من غير تأويل، ولا تكييف، ولا تحريف، ولا تعطيل، والرحمة أيضًا صفة فعلية لله باعتبار أنها تصل إلىٰ المخلوقات، فالله هو الرحمن والرحيم، **والرحمن**: اسم خاص بالله تعالىٰ لا يسمىٰ به غيره، ومعناه: الذي تشمل وتسع رحمته جميع خلقه، والرحيم يوصف به الله وغير الله من خلقه ويقال: رجل رحيم، وهذه قاعدة عند أهل السنة أنهم يقولون: **القول في الصفات كالقول في الذات**، بمعنىٰ أن لله ذاتًا تليق به، ولغير الله من المخلوقين ذواتًا تليق

بذواتهم، وكذلك لله صفات تليق به سبحانه.

**ونُفصل الكلام في هذه الآيات فنقول:**

قال في الآية الأولىٰ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ وهذه آية علىٰ رأس كل سورة عدا سورة **براءة**، وهي أيضًا جزء من آية في سورة النمل، وفيها صفة الرحمن، وهي صيغة مبالغة من رحِم يرحَم أي: من اتصف بالرحمة.

**والرحيم**؛ أي: المتعدية رحمته إلىٰ مخلوقاته، قال تعالىٰ: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤٣]، ورحمته للمؤمنين رحمة في الدنيا ورحمة في الآخرة، وهناك رحمة لله أخرىٰ لجميع الخلق وهي تعُم جميع المخلوقات، وبذلك قال: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]، وقال: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]، وقال أيضًا: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وتشمل رحمته بخلقه تيسير سبل معاشهم، من مدِّهم بالغذاء والشراب، وما فيه قوام حياتهم من ضروريات وتسخير كل شيء لهم، وقال في الآية الأخرىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس: ١٠٧]، وفي هذين الاسمين العظيمين لله معنىٰ سقوط العقوبة والذنوب، ثم حصول الفوز بالمطلوب.

**والغفور**: صيغة مبالغة من الستر مع الوقاية، فالله يستر ذنوب العباد ويقيهم آثامها فيعفو عنهم، يقول الله لعباده يوم القيامة، كما في الصحيحين من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: سمِعْتُ رسولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يقولُ: «**إِنَّ اللهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ؛ أَي رَبِّ، حَتَّىٰ إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَىٰ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ**»(١).

(١) «صحيح البخاري» (٢٤٤١).

أما **الرحيم**: فهو ذو الرحمة الشاملة، وفيه تعلق بالمرحوم، أي: يرحم خلقه برحمته سبحانه.

ثم قال في الآية الأخرىٰ: ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٦٤﴾ [يوسف: ٦٤]، وفي هذه الآية إثبات صفة الرحمة لله، وكذلك إثبات صفة الرحمة للمخلوق بقوله: ﴿وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾، فالراحمون هنا صفة للمخلوقات، ثم بين أن رحمة الله أعظم من رحمة المخلوقين فقال: ﴿وَهُوَ أَرۡحَمُ﴾، فذكر ضمير الشأن المتعلق هنا بالله، ثم ذكر أن رحمته أعظم وأوسع وأشمل، فهي رحمة تليق بجلاله وعظمته.

وفي الآية بيان اشتراك الرحمة بين الخالق والمخلوق، وهذا إنما هو اشتراك في بعض المعنىٰ أو في بعض المسمىٰ.

وفي قوله: ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ﴾، بمعنىٰ أن خير من يحفظ هو الله، ولهذا من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ **الحفيظ** بصيغة المبالغة لكثرة من يحفظ، فالله يحفظ أعمال العباد ويحفظ ما في ملكه، ويحفظ أولياءه من المؤمنين مما يكرهون في الدنيا والآخرة، كذلك حفظه لعباده يتفاوت، فمن حَفِظَ الله فيما أَمَر كان حفظ الله له أعظم، وفي الحديث قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كنتُ خلفَ رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يومًا فقال: **يَا غُلَامُ؛ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَو اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**»[(١)].

---

(١) «سنن الترمذي» (٢٥١٦)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢/ ٦١٠)، والوادعي في «صحيح المسند» (٦٩٩).

## ٨- ذكر رضا الله وغضبه وسخطه وكراهيته واتصافه بها

• ثم قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ عطفًا على ما مضى من آيات الأسماء والصفات:

«**وقوله**: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ [النساء: ٩٣]، **وقوله**: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٢٨﴾ [محمد: ٢٨]، **وقوله**: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾ [الزخرف: ٥٥]، **وقوله**: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ﴾ [التوبة: ٤٦]، **وقوله**: ﴿كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٣﴾ [الصف: ٣]».

في هذه الآيات ذكر خمس صفات لله، وهي: الغضب، والسخط، والكراهية، والبغض، والمقت، ففي الآية الأولى، قال تعالى: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ [النساء: ٩٣]، ذكر في هذه الآية صفة الغضب لله تعالى، وغضب الله في الآية جاء في معرض عدد من العقوبات؛ فيمن تجرأ بقتل المؤمن بالله ورسوله من أهل الإسلام متعمدًا في قتله غير مخطئ ولا معذور بحال كالمجنون وغيره، فإن هذا القاتل ما لم يحصل له القصاص وعفو أصحاب الحقوق من أولياء الدم فيما دون القصاص؛ وعفو المقتول عنه يوم القيامة فإن الله قد توعده بعقوبات عظيمة، وهي كما في الآية الأولى: ﴿خَٰلِدٗا فِيهَا﴾

أي: مُقيمًا، والخلود هو المكث الطويل وهذا في حق من مات علىٰ الإيمان، وأما الخلود السرمدي فهذا للكافر الملّي والمنافق، ولذلك تأتي: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ﴾ [البينة: ٨]، والعقوبة الثانية: هي غضب الله عليه وسخطه يوم القيامة، والثالثة: هي اللعنة والإبعاد والطرد من رحمة الله، والرابعة: في قوله: ﴿وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ٩٣﴾ [النساء: ٩٣]، ففي هذه الآية من صفات الله الغضب واللعن وإعداد العذاب.

وفي الآية الثانية في قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ﴾ [محمد: ٢٨]، فذكر في هذه الآية من الصفات صفة **السخط** وهو بمعنىٰ الكراهية والغضب، وفي هذه بيان الضرب والقبض لأرواح أهل الكفر وأعداء الرسل، وفيها شدة عذابهم بسبب اتباعهم ما فيه سخط وغضب الله؛ وبسبب كراهتهم ما رضي الله من الإيمان والعمل الصالح.

وقال في الآية الثالثة: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾ [الزخرف: ٥٥]، وفي قوله: ﴿ءَاسَفُونَا﴾ أي: حين أغضبوا الله وأسخطوه، وتأتي هذه الكلمة أحيانًا بمعنىٰ الأسف أي: الحزن كقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٤]، في حال يعقوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وبهذا المعنىٰ نقول: إنه لا يوصف بالحزن، فالمعنىٰ الأول للأسف أي: بمعنىٰ الانتقام مثبت لله؛ لأنه وصف به نفسه، وأما بالمعنىٰ الثاني أي: الحزن فممتنع بالنسبة لله عَزَّوَجَلَّ، فقال بعدها: ﴿ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾ أي: عاقبهم الله بالغرق والانتقام أشد العقوبة وأبلغها، **والمنتقم ليس من أسماء** الله الحسنىٰ علىٰ التحقيق كما ذكر ابن تيمية؛ وإنما جاء في القرآن مقيدًا، كقوله: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ٢٢﴾ [السجدة: ٢٢]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ٩٥﴾ [المائدة: ٩٥].

وفي هذه الآية من صفات الله: الغضب، والانتقام، وأن الانتقام غير الغضب، وهما صفتان تليقان بالله سبحانه، خلافًا لأهل البدع والضلال الذين يفسرون السخط

والغضب بالانتقام، أو إرادة الانتقام، فلا يثبتون الغضب والسخط صفة لله علىٰ وجه الحقيقة التي تليق بالله سبحانه، وأهل السنة والجماعة يقولون: إن الغضب والسخط غير الانتقام، وإنما الانتقام نتيجة للغضب والسخط، فإن الله إذا سخط علىٰ قوم وغضب عليهم انتقم منهم، وهذا كحال التوبة والتواب الذي هو نتيجة الرضىٰ.

ثم قال في الآية الرابعة: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ﴾ [التوبة: ٤٦]، ومعنىٰ كره؛ أي: إن الله أبغض خروج أهل النفاق مع المؤمنين في الغزو والجهاد في سبيل الله، ثم ذكر أنه ثبطهم عن الجهاد وجعل هممهُم فاترة وساكنة، فلا رغبة لهم في الجهاد في سبيل الله، والله بالغ أمره سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وفي هذه الآية إثبات أن الله يكره، وأن الكراهية من صفات الله ثابتة في الكتاب والسنة، قال تعالىٰ في سورة الإسراء: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، إلىٰ قوله: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا ٣٨﴾ [الإسراء: ٣٨]، وفي الصحيحين من حديث المغيرة بن شعبة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ في قول رسول الله: «**إِنَّ اللهَ كَرِهَ لَكُم قِيلَ وَقَالَ**»، والكراهة والبغض من الله تكون أحيانًا للعمل كما في هذه الأدلة من الآيات، وأحيانًا تكون للعامل كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ مرفوعًا: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ إِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا، نَادَىٰ جِبْرِيلَ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا، فَأَبْغِضهُ**»(١).

ثم في الآية الخامسة قال تعالىٰ: ﴿كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٣﴾ [الصف: ٣]، ومعنىٰ **كَبُرَ**؛ أي: عظُم، **ومقتًا**؛ أي: بغضًا، والمقت أشدُّ البغض، وأشدُّ البغض عند الله أن يقول المرء الشيء ثم لا يفعله، فهو في ذلك بين أمرين:

**الأول**: أن يكون كاذبًا فيما يقول، وهذا من كبائر الذنوب.

(١) «صحيح مسلم» (٢٦٣٧).

**والثاني**: أن يكون مُتكبرًا يأمر الناس بالفعل فيفعلونه وهو لا يفعله.

وفي مثل هذين الصنفين نزلت هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف: ٢ – ٣].

وخلاصة القول في هذا: إن صفة الغضب ثابتة لله سبحانه علىٰ قاعدة أهل السنة والجماعة علىٰ الوجه اللائق بالله، وهي من صفاته الفعلية، ونقول في هذه الصفات ما يقال في غيرها من الصفات، أن هذه الصفات الواردة في هذه الآيات من الغضب والسخط وغيرها؛ نقول: إنها قائمة بذات الله تعالىٰ، وذلك بأنها قائمة بمشيئته وقدرته؛ أي: إن الله غضب علىٰ المعين بعد أن لم يكن غاضبًا عليه، ويبين ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ۝٨١﴾ [طه: ٨١]، فدلت الآية علىٰ حلول الغضب قبل أن لم يكن حالًّا، ويشهد لذلك أيضًا ما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ أن الأنبياء: آدم ونوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ؛ يقولون يوم القيامة حين يَطلب أهل المحشر منهم أن يشفعوا عند الله في الإذن بالحساب، يقول كل منهم في سياق ذلك المقام: «**إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ**»(١).

وفي هذا دلالة علىٰ ما قرره أهل السنة والجماعة من أن صفات الله الذاتية والفعلية، اللازمة منها والاختيارية اعتقاد ثبوت هذه الصفات كما أثبتها الله لنفسه في كتابه أو سنة رسوله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بما يليق بجلال الله وعزته، خلافًا لأهل الضلال والبدع من الجهمية والمعتزلة وغيرهم ممن يقولون: إن هذه الصفات مخلوقة منفصلة، وهذا قول باطل! المراد منه نفي هذه الصفات لله تعالىٰ.

---

(١) «صحيح البخاري» (٤٧١٢)، «صحيح مسلم» (١٩٤).

ثم إنهم لما قرروا هذه الأصول الباطلة ذهبوا يتأولون هذه الصفات، فقالوا: الغضب هو إرادة الانتقام، والرضا هو إرادة الإنعام، وعللوا هذه القواعد الباطلة بقولهم: إن الغضب هو ثوران دم القلب، وأن هذا يقتضي الجسمية لله، وهذا غير لائق بالله**!** فطريق أهل البدع والضلال واحد، توارثوه جيلًا بعد جيلٍ من **الجهم بن صفوان** الذي أخذه من **الجعد بن درهم** قبحهم الله جميعًا، وعاملهم بما يستحقون.

والصواب هو ما عليه أهل الحق، أهل القرآن والسنة واتِّباع السلف، وهم مُجمِعون علىٰ ما ذكرنا في أمر هذه الصفات.



## ٩- ذكرُ مجيء الله لفصْل القضاء بين عباده بما يليق بجلاله

وقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [البقرة: ٢١٠]، **وقوله**: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢١ - ٢٢]، ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ [الفرقان: ٢٥]».

في هذه الآيات الأربع شاهد ودليل علىٰ صفة المجيء والإتيان لله تعالىٰ كما يليق بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وعلىٰ قاعدة السلف الصالح.

في الآية الأولىٰ قال تعالىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ﴾، **ينظرون**: بمعنىٰ ينتظرون، أي: هل ينتظر المكذبون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام، وذلك الإتيان يوم القيامة، فنُثبت لله الإتيان يوم القيامة لفصل القضاء في غمام وظلل عظيمة من السحاب الأبيض الذي يجعل الجو مستنيرًا لمجيء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كما أن الملائكة يأتون ويشهدون ذلك الموقف العظيم ويحيطون بالناس في المحشر، وفي المشهد تحذير لهؤلاء المكذبين لذلك اليوم.

فالإتيان وهو المجيء ثابت لله في هذه الآية وهو إتيان يليق بجلال الله وعظمته ليس كإتيان المخلوق، وفي قوله في الآية: ﴿فِى ظُلَلٍ﴾ (في): هنا للمصاحبة وليست للظرفية؛ لأن الله تعالىٰ لا يحيط به شيء.

وقال في الآية الثانية: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، فالملائكة يأتون لقبض الأرواح، والله يأتي للقضاء يوم القيامة، وإتيان بعض الآيات فسرها النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كطلوع الشمس من مغربها وغيرها من علامات الساعة، وكل هذا إذا حصل لم تقبل التوبة، فالشاهد هنا في هذه الآية قوله: ﴿يَأْتِىَ﴾ فأثبت الإتيان وهو مجيء يليق بجلال الله عَزَّوَجَلَّ.

وفي الآية الثالثة قال: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢]، وهذا المجيء أيضًا يوم القيامة، والمَلَك مصطفون لهذا المشهد العظيم ومعنىٰ: ﴿دَكًّا دَكًّا﴾ أي: دكا بعد دكٍّ، **والدكُّ** هو: التسوية والتمهيد للأرض، وهذا مشهد من مشاهد يوم القيامة يأتي الله للفصل بين عباده في المحشر حيث ينصب عرش الرحمن والملائكة من حوله، ومجيء الله ثابت بما يليق بجلاله، ومجيء الملائكة أيضًا بما يليق بخلق الله لها، وهو إتيان ومجيء علىٰ الحقيقة وليس مجازًا.

وفي الآية الرابعة قال: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ [الفرقان: ٢٥]، **تشقق** أي: تنشق السماء فيخرج من بينها السحاب كالدخان، وكل هذا يحصل يوم القيامة، وفي الآية إشارة أيضًا إلىٰ مجيء الله؛ لأن هذا التشقق ونزول الملائكة لا يكون إلا لمجيء الله سبحانه بدليل الآيات السابقة، وذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ فائدة للرد علىٰ أهل الباطل: إنه لو أن المراد هو مجيء رحمة الله كما يدعي المبتدعة لقيّده بمفعول به فقال: أتىٰ الله برحمته كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ﴾ [الأعراف: ٥٢]، وهنا ﴿بِكِتَٰبٍ﴾ متعدي بحرف الجر مفعول به، ومثال آخر كقوله تعالىٰ: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ [النحل: ٢٦].

قال: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ هذا لازم وليس متعدي، فأراد بمجيء الله أنه من باب الصفات وإثبات الإتيان والمجيء لله، وكلام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيه توضيح لهذه

المسألة وكشف تلبيس أهل الضلال وجهلهم، وفي هذه الآية إثبات صفة المجيء لله تعالىٰ، وإثبات هذه الصفة لله تعالىٰ علىٰ قاعدة أهل السنة والجماعة **أنه مجيء يليق بالله تعالىٰ، دون تمثيل، أو تحريف، أو تعطيل، أو تكييف.**

ومن أباطيل أهل الضلال تحريفهم وتأويلهم المجيء: بمجيء الرحمة ونزول وحصول أمر الله، ولم يقل بهذا أحد من السلف.

ثم نقول: أن صفة المجيء والإتيان هي أيضًا من الصفات الفعلية لله تعالىٰ، فهي متعلقة بالمشيئة بمعنىٰ أن الله يفعلها متىٰ شاء، فالله يأتي متىٰ شاء ويجيء متىٰ شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.





## ١٠- إثبات الوجه لله سبحانه

ثم انتقل شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ذلك إلىٰ آيات أخرىٰ بعد هذه مما تشتمل علىٰ صفة لله خبرية وهي **صفة الوجه**، فقال: «﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٧]، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]».

الآية الأولىٰ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ معطوفة علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾، ولذلك ذكر بعض السلف أنه ينبغي الوصل في قراءة هاتين الآيتين لبيان التقابل لأنه أمر عظيم وهو نقص حياة المخلوقين بالفناء وهو الموت، وكمال الخالق سبحانه وذلك لبيان التقابل فالمخلوق يفنىٰ: **كل شيء فان**، والخالق يبقي ولا يفنىٰ علىٰ الدوام سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ وجل شأنه، فصفة الوجه لله صفة خبرية ثابتة، والوجه معلوم والكيف غير معقول.

ونثبت ما جاء في هاتين الآيتين إذ الشاهد منهما إثبات الوجه لله تعالىٰ صفة ذاتية خبرية كما تليق بجلال الله سبحانه.

فأهل السنة والجماعة يثبتون لله الوجه بدليل هذه الآيات، وبأحاديث ثابتة عن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، خلافًا لأهل الضلال والبدع، فنحن نؤمن بأن لله وجهًا موصوفًا بالجلال والإكرام، وموصوفًا بالبهاء والعظمة والنور العظيم، قال رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**»[1]، وبصر الله ينتهي إلىٰ كل شيء.

---

(١) «صحيح مسلم» (١٧٩).

﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ﴾؛ أي: العظمة، وإعراب «**ذو**» هنا صفة للوجه ولذلك كانت مرفوعة، وليست هنا صفة للرب بدليل أن الرب في الآية مضاف إليه مجرور، وقد وصف الله نفسه أيضًا بوصف الجلال والاكرام في آية أخرىٰ فقال: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ [الرحمن: ٧٨]، والله كريم ومن أسمائه **الكريم** وهو مكرَّم يكرمه العباد، ومكرِّم يكرم عباده بالمن والعطاء والنعم التي لا تعد ولا تحصىٰ.

وفي الآية الأخرىٰ قال: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ وهي في معنىٰ الآية الأولىٰ، أي: كل مخلوق يفنىٰ وينتهي بأمر الله إلا ذات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وعبر بالوجه هنا عن الذات وليس الوجه هو الذات، ولذلك ورد في بعض الآثار ذكر الذات لله مع ذكر الوجه ففي الحديث: «**إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ قَالَ: أَعُوذُ بِاللهِ الْعَظِيمِ وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ**»، فذكر الوجه وذكر الذات، والكريم اسم من أسماء الله كما أسلفنا.

وفي الآية إثبات فناء جميع المخلوقات من أهل الأرض وأهل السماء وأنهم سيموتون ويذهبون إلا من شاء الله، كالجنة وما فيها من الحور والولدان وغير ذلك، وهم قابلون للفناء وبعد فناء الكل يبقىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لجلاله وعظمته.

فالشاهد في هذه الآيات كغيرها من أدلة الكتاب والسنة كما أسلفنا إثبات صفة الوجه لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أنه وجه حقيقي لا مجازًا، ولا تحريفًا خلافًا للمبتدعة من الجهمية وأشباههم ممن نفىٰ الوجه وعطله وزعم أنه مجاز عن الذات أو الثواب أو الجهة أو غير ذلك وكل ذلك باطل لا دليل عليه لا من كتاب ولا من السنة ولا من عقل ونظر سليم علىٰ الفطرة والله المستعان.



## ١١- إثبات اليدين لله سبحانه

• ثم قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«**وقوله:** ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص: ٧٥]، **وقوله:** ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾ [المائدة: ٦٤]».

في الآيتين إثبات اليدين لله تعالىٰ حقيقة لا مجازًا، بل يدان تليقان بذات الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورىٰ: ١١]، سبحانه كما قال عن نفسه.

وإثباتنا لهذه الصفة خلافًا لقول أهل الضلال أن اليدين هما النعمة والقدرة، وهذه الصفة الذاتية الخبرية لله **اليدان**، وردت في آيات وأحاديث كثيرة وأجمع السلف عليها، يقول أهل السنة: لله يدان، وكلتَا يديه يمين سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ وله صفة الكمال في ذلك، وذلك لما جاء في الحديث عند الحاكم وقال: صحيح علىٰ شرط مسلم، وهو عند الترمذي من حديث أبي هريرة مرفوعًا، قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِۦ وَسَلَّمَ: «**اخْتَرْتُ يَمِينَ رَبِّي، وَكِلْتَا يَدَي رَبِّي يَمِينٌ مُبَارَكَة**»[١].

والرد علىٰ قول المؤوّلة بأنها النعمة، مستدلين بلغة العرب وبعض كلام العرب في ذلك، وهذا وارد والشواهد فيه صحيحة؛ لكن رد عليهم أهل السنة والجماعة

---

(١) «سنن الترمذي» (٣٣٦٨)، والبزار (٨٤٧٨) وغيرهما، وصححه الألباني في: «صحيح الترمذي» (٣/ ٣٨٠)، والوادعي في: «صحيح المسند» (٢/ ٣٩٣).

بتفصيل القول وهو أن اليد قد تأتي بمعنىٰ النعمة لكن دون إضافتها، أما إذا أُضيفت إلىٰ الذات فإنه يراد بها الذات المتصفة باليد فقط.

وكذلك رد أهل السنة علىٰ شبهة المتأوِّلة حين احتجوا بقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۝٤٧﴾ [الذاريات: ٤٧]، فرد أهل السنة أن **الأيد** هنا ليس المقصود بها **الأيادي الجوارح** وإنما هي: القوة في لغة العرب الفصيحة، وإنما ضل أهل الباطل لعجمتهم وجهلهم بلغة العرب، **فالأيد** هنا معناها **القوة**، وليس ثمَّ علاقة بين الأيد واليد، وأن الهمزة في: **أيد**، أصلية فنقول: أد يئيد أيدًا، والهمزة هنا ليست للجمع كما ظنوا، ولكنها همزة أصلية في الكلمة، ومعناها القوة، ولها شاهد من القرآن في آية أخرىٰ في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝١٧﴾ [ص: ١٧]، وصفه هنا **بذي الأيد**، أي: ذي القوة، وليس معناه أن له يدان، فكل إنسان له يدان؛ لكن هنا وصفه الله بما ليس في غيره، وهو أنه ذو القوة التي خصه الله بها.

والشاهد الآخر في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ﴾ أي: بقوة، ولا يضل بعد هذا إلا من زاغ قلبه وأعماه الهوىٰ وأصمه والله المستعان.



## ١٢- إثبات العينين لله سبحانه

• ثم قال شيخ الإسلام بعد ذلك رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«**وقوله**: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾ [الطور: ٤٨]، **وقوله**: ﴿وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ١٣ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ١٤﴾ [القمر: ١٣ - ١٤]، **وقوله**: ﴿وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ٣٩﴾ [طه: ٣٩]».

الشاهد في هذه الآيات إثبات **صفة العينين** لله تعالىٰ، وجاء ذكر العينين من صفات الله الذاتية في هذه الآيات مرة بالإفراد: **عيني**، قال: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾، وجاء في السنة إثبات العينين لله في الصحيحين من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وجمع من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ مرفوعًا: «**مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَ قَوْمَهُ الْأَعْوَرَ الكَذَّابَ، إِنَّهُ أَعْوَر، وَإِنَّ رَبَّكُم لَيْسَ بِأَعْوَرَ**»[(١)]، وجاء ذكر العين لله في الآية الأخرىٰ بقوله: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾، فأثبت في الآية عينين لله ولا يشكل إيرادها بصيغة الجمع لأن المفسر لها هو الآيات الأخرىٰ، وكذلك الأحاديث السابقة، فهنا قال: أعين، وهناك قال: عينان، والسنة مفسرة للقرآن ومبينة له، وبهذا أثبتنا صفة العينين لله عَزَّوَجَلَّ.

ومعنىٰ قوله: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ بمعنىٰ أنك بمرأىٰ منا وبصر، وعناية ورعاية، وحفظ وكلاءة، وهذا جميعه من كلام السلف وتفسيرهم، ومعنىٰ هذا أن النبي ليس بعين الله التي هي صفته، وإنما هو في عين الله الذي هو أثر اتصاف الله، وهذا ليس من باب التأويل كما يقول أهل الباطل والمبتدعة، وإنما عند علماء الأصول واللغة من

---

(١) «صحيح البخاري» (٧١٣١)، «صحيح مسلم» (٢٩٣٣).

باب التضمين وهو أحد دلالات اللفظ، ودلالات اللفظ ثلاث: **دلالة المطابقة، ودلالة التضمين، ودلالة اللزوم**، وهذا يجهله أكثر أهل الضلال.

وتضمنت الآية الأمر للنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بالصبر علىٰ البلاغ والدعوة إلىٰ الله، فقال: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ أي: القدري والشرعي، واصبر علىٰ المعاناة والأقدار المؤلمة، وأيضًا بالصبر علىٰ الطاعات والصبر عن المعاصي، فاصبر علىٰ كل ذلك فإنك يا رسول الله في الدوام بمرأىٰ منا وببصرنا ورعايتنا وحفظنا.

وقال في الآية الأخرىٰ: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ٣٩﴾ المعنىٰ علىٰ كلاءة مني ورعاية وحفظ، فلا فرق بين الباء في: **بأعيننا**، ولا بين علىٰ في: **علىٰ عيني**.

وفي الآية الأخرىٰ قال: ﴿وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ١٣ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ١٤﴾، والمعنىٰ: أن سفينة نوح عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ تجري بحفظ الله وكلاءته ورعايته، ولا يقول عاقل أن السفينة تجري في عين الله، فالله جعل السفينة تجري بنوح ومن معه من المسلمين، والله هو الحافظ لهذه السفينة ومن عليها وهم نوح ومن نجا معه بإذن الله.

ومعنىٰ قوله: ﴿عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ﴾، أي: السفينة المصنوعة من الألواح، والدسر: هي المسامير التي تربط بها الألواح، فهذه الآيات من آيات الصفات المثبتة لصفة العينين لله تعالىٰ علىٰ ما يليق بذاته سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ؛ بلا تمثيل ولا تعطيل ولا تحريف ولا تكييف.

معنىٰ العينين من لغة العرب معلوم، والكيف غير معقول، ومن سأل عن الكيف مُبتدع ضال، وقبول ما جاء عن الله ورسوله واجب وديانة وسنة وعقيدة.



## ١٣- إثبات السمع والبصر لله سبحانه

• ثم قال شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«**وقوله:** ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ١﴾ [المجادلة: ١]، **وقوله:** ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران: ١٨١]، **وقوله:** ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ٨٠﴾ [الزخرف: ٨٠]، **وقوله:** ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦﴾ [طه: ٤٦]».

هذه أربع آيات فيها إثبات الأسماء والصفات لله تعالىٰ أوردها المؤلف في هذا الموضع، والشاهد منها هو إثبات صفة السمع لله تعالىٰ والبصر كما في الآية الرابعة، وسيأتي مزيد آيات أخرىٰ بعد ذلك في صفة البصر، وهذه الصفات ثابتة لله علىٰ ما يليق بذات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

الآية الأولىٰ في قوله تعالىٰ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ١﴾، وهذه الآية كان سبب نزولها مجادلة المرأة مع النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في أمر زوجها، وهي **خولة بنت ثعلبة** وزوجها **أوس بن الصامت**، وذلك حين ظاهر منها زوجها وقال لها: «أنت عليَّ كظهر أمي»، فأتت النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فقال: «**قَدْ حَرُمَت عَلَيْهِ**، فقالت: إنَّ لي صِبْيَة صِغَارًا إنْ ضَمَمْتهم إلَيّ جَاعُوا، وَإِنْ ضَمَمْتُهم إِلَيْهِ ضاعُوا، فقال: **قَدْ حَرُمَتْ عَلَيْهِ**، فقالت: أَشْكُو إِلَىٰ اللهِ فَاقَتِي وَجَهْدِي، وَكُلَّما قال: **حَرُمَتْ عَلَيْهِ**، جَعَلت تَهْتِفُ وَتَشْكُو

وَتَشْتَكِي -أي: تظهر ما بها من المكروه-، ﴿وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ﴾؛ أي: مراجعتها الكلام معك»[(١)].

وفي هذه الآية إثبات صفة السمع لله تعالىٰ، والله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ له سمع يليق بجلاله وعظمته لا يماثل سمع المخلوقين، وسمعه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قد أحاط بجميع الأصوات، ولا يخفىٰ عليه شيء جَلَّ وَعَلَا، كما قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا: «تَبَارَكَ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الأَصْوَاتَ، إِنِّي لَفِي نَاحِيَةِ البَيْتِ، وَإِنِّي لَيَخْفَىٰ عَلَيَّ بَعْضُ حَدِيثِهَا»[(٢)]، أي: إن الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ سمع صوت المجادلة، قال تعالىٰ: ﴿أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ﴾[الزخرف:٨٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ۝٧﴾ [طه: ٧]، **وللسماع معاني:**

**فمنها** إدراك الأصوات علىٰ الظاهر، أي: يسمع الاصوات ومنها أية المجادلة: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا﴾ [المجادلة: ١]، فهذا فيه معنىٰ إدراك الأصوات.

ويأتي السمع بمعانٍ أخرىٰ زائدة: فيأتي بمعنىٰ التأييد، ويأتي بمعنىٰ التهديد، فقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾، هذا بمعنىٰ سماع التأييد ففيه زيادة عن سماع الصوت التأييد لموسىٰ وأخيه عَلَيۡهِمَا ٱلسَّلَامُ.

ويأتي السماع أيضًا بمعنىٰ التهديد كقوله تعالىٰ: ﴿أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ ۝٨٠﴾، ففي هذه الآية التخويف للإنسان أن يأخذ حذره وهو يتكلم، بألا يقول ما يغضب الله، فإن الإنسان لو تلفظ بأي لفظ أو كلام وبأي لغة فإن الله يسمعه فإن كان ما سمعه الله منه خيرًا أثابه عليه، وإن كان شرًّا عاقبه

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٤١)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (٢٢١٤).

(٢) صحيح: أخرجه ابن ماجه (١٦٩١)، انظر: «الإرواء» (٧/ ١٧٥).

عليه، وفي هذا حث على الخير وتخويف للبشر، فالمؤمن يعلم جازمًا أن الله يسمع كلامه مهما أخفاه هذا المتكلم، بل إن الله يعلم ما في نفس العبد قبل أن يتكلم، فإذا أراد المسلم أن يتكلم وهو يستشعر هذا المعنى فإنه يحرص على ألا يقول إلا ما يرضي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالمؤمن كلما تدبر آيات الصفات لله تعالى ازداد إيمانه وتقواه لله، وهذه ثمرة تعلم ومعرفة آيات الأسماء والصفات للعلم بها والعمل واستشعار أثرها في حياة المؤمن.

والآية الأخرى قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران: ١٨١]، فالذين قالوا هذا القول هم اليهود قاتلهم الله، قالوا قولًا قبيحًا حينما وصفوا الله بالعيب فقالوا: إن الله فقير، والله سمع ذلك منهم، فنزلت هذه الآية لبيان وكشف أقوالهم الباطلة.

والآية الثالثة أيضًا تضمنت صفة السمع لله بقوله: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ۝٨٠﴾ [الزخرف: ٨٠]، فتضمنت الآية سماع الله، **السّر** وهو: ما يسره الإنسان في قوله إلى صاحبه ومن بجواره، وكذلك تضمنت **النجوى** وهو: ما يناجي به صاحبه ويخاطبه، والنجوى كلام أعلى من السر، **والنداء**: ما يرفع به الصوت، وكل هذه الحالات من: **السّر، والنجوى، والنداء**، يسمعها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ولا تخفى عليه، قال بعد ذلك: ﴿بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ۝٨٠﴾، قوله: ﴿بَلَىٰ﴾ هذا حرف إيجاب، أي: إن الله يسمع كل ذلك، وزاد على سمعه سبحانه أن له رسلًا وملائكة يكونون عند المتكلمين يكتبون كل لفظ تكلموا به حال السر والنجوى، والمقصود هنا بالملائكة: الموكلون بكتابة أعمال بني آدم، فالآية إذا فيها إثبات أن الله تعالى يسمع السر والنجوى.

ثم جاء في الآية الرابعة في قوله: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾، الخطاب هنا

لموسىٰ وهارون عَلَيۡهِمَاٱلسَّلَامُ، يقول الله لهما: إني أسمع ما تقولان وأسمع ما يقال لكما، وزاد وأراكما وأرىٰ من أرسلتما إليه وأرىٰ فعلكما وفعل من أرسلتما إليه، والله يجازي من أساء إليهما بقول أو فعل فهو يسمع القول ويرىٰ الفعل.

والآية فيها إثبات السمع لله وكذلك البصر كما سبق معنا علىٰ قاعدة أهل السنة والجماعة في ذلك.

**والخلاصة**: إن هذه الآيات فيها إثبات صفة السمع لله، وكذلك فيها إثبات اسم السميع لله وهو من أسماء الله بدليل هذه الآية وغيرها، وصفة السمع يجب الإيمان بها كما وردت في الآيات وبمدلولاتها وأنه سمع حقيقي، وأن الله يسمع الأصوات والكلمات سواء ارتفعت أو انخفضت أو تلفظ بها همسًا، كل ذلك ثابت لله علىٰ وجه الكمال، وهذه قاعدة السلف في إثبات هذه الصفة لله خلافًا لأهل البدع والضلال ممن ينفون هذه الصفة ويتأولونها بمعاني لا دليل عليها وكل تأويلاتهم باطلة مخالفة لدليل الكتاب والسنة وهما المرجع عند السلف في إثبات أسماء الله وصفاته سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

● ثم قال رَحِمَهُٱللَّهُ: «**وقوله**: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ١٤﴾ [العلق: ١٤]، **وقوله**: ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ٢١٩ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٢٢٠﴾ [الشعراء: ٢١٨ - ٢٢٠]، **وقوله**: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ﴾ [التوبة: ١٠٥]».

تضمنت هذه الآيات إثبات البصر والرؤية لله تعالىٰ علىٰ ما يليق بجلال الله عَزَّوَجَلَّ، والشاهد في الآية الأولىٰ أطلق أن لله الرؤية فقال: ﴿يَرَىٰ﴾ أي: في كل زمان ومكان، والرؤية تكون هنا علىٰ ظاهرها بصرية، وقد تكون بمعنىٰ العلم لقرينة دالة علىٰ ذلك.

وفي هذه الآية نقول في تفسيرها: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَم﴾؛ أي:أما علم هذا الناهي عن الهدىٰ

والمسيء بأقواله وأفعاله إلىٰ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وقال بعض المفسرين: إن المقصود به أبو جهل: ألم يعلم أن الله يراه ويسمع كلامه، وفي هذا وعيد علىٰ أن الله سيعاقبه، فأطلق الرؤية هنا فهو يرىٰ هذا المسيء رؤية بصرية لمعين، وأثبت فيها الرؤية لله لكل المخلوقات.

وفي الآية الثانية أثبت رؤية الله **لمعين** وهو النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهي رؤية بصرية، ولا تصح أن تكون بمعنىٰ: يعلم؛ لأن الله قد علم بحاله حال قيامه وقبل ذلك، والمقصود هنا قيامه للصلاة وحال تقلبه في الساجدين من قيام ورفع وقعود وسجود وغير ذلك، وفيها إثبات صفة السمع والبصر لله، وكذلك إثبات علم الله المحيط بكل شيء.

وفي الآية الثالثة أثبت الرؤية لله الشاملة للرؤية البصرية والرؤية العلمية، وفي تفسير هذه الآية ذكر المفسرون أن في الآية وعيدًا للمخالفين لأوامر الله، وبأن أعمالهم ستُعرض علىٰ الله يوم القيامة، وسيطلع عليها أيضًا من البشر المرسلون والمؤمنون، وقد يُظهر الله بعض أعمال المخالفين في الدنيا.

وفي إثبات الرؤية والسمع لله تعالىٰ فائدة إيمانية بأن المؤمن بذلك سيتحصل عنده بهذا العلم الخوف من الله والحذر من عقابه، فيتجنب المعاصي ويتقرب بالرجاء إلىٰ الله في حسن السلوك والاستقامة في حياته، فيتجنب مساخط الله في أقواله وأفعاله، ويتقرب بما يرضي الله من الأقوال والأعمال.

**والخلاصة** فيما ذُكر من الآيات أن أهل السنة والجماعة يثبتون لله ما أثبت لنفسه من الصفات والأسماء، ويعتقدون ما جاء في هذه الصفات بأقوالهم وأفعالهم، ويقوم في قلوبهم أثر تلك الصفات، وفي هذه الآيات الأخيرة وصف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ برؤيته لخلقه وجميع عباده، كما ثبت السمع لله، كل هذا من **أصول عقيدة أهل السنة**

خلافًا لأهل الضلال ممن أنكروا السمع والبصر، وأنكروا رؤيته بالعين وقد أثبتنا فيما سبق أن لله عينين، والعينان بهما تكون الرؤية وبهما يكون البصر، فأنكر أهل الضلال الرؤية لله بالعين وقالوا: إنها رؤية غير بصرية وإنما هي رؤية إبصار وعلم، وقالوا: إنما هي رؤية وسمع وبصر بإدراك الأشياء عن طريق العلم، وهذا قول الأشاعرة والماتريدية، أما المعتزلة فإنهم ينفون وينكرون كل ذلك ولا يثبتون رؤيةً ولا بصرًا ولا سمعًا بل حتىٰ لا يثبتون العلم فيقولون: هو عليم بلا علم، تعالىٰ الله عما يقول الظالمون والمبطلون علوًّا كبيرًا.



## ١٤- إثبات المكر والكيد لله سبحانه على ما يليق بجلاله

• ثم قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وقوله**: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾ [الرعد: ١٣]، **وقوله**: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [آل عمران: ٥٤]، **وقوله**: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النمل: ٥٠]، **وقوله**: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾ [الطارق: ١٥ - ١٦]، **وقال تعالىٰ**: ﴿وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾ [البقرة: ١٤ - ١٥]، **وقال تعالىٰ**: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]».

تضمنت هذه الآيات صفة **المكر والكيد، والمحال والاستهزاء والخداع** لله تعالىٰ، وسنبين ذلك علىٰ قاعدة أهل السنة والجماعة:

قال تعالىٰ في الآية الأولىٰ: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾ ذكر أهل العلم أن **المحال** هو: المكر وأنه شدة المكر، وقيل: إنه مأخوذ من الحيلة، أي: بالحيلة يوقع خصمه ويغلبه، فتحصل معنىً أن المحال: **شدة الأخذ بالعقوبة**.

**والمكر في كلام العلماء هو**: التوصّل بالأسباب الخفية في مغالبة الخصم والإيقاع به من حيث لا يدري هو مع علمك وتدبيرك ذلك.

والمكر إذا كان علىٰ المقابلة والمشاكلة فهو محمود؛ لأنه رد مكر الماكر من قوي محق علىٰ ماكر مبطل متعدي، أما إن كان خلاف ذلك فهو مذموم وخيانة لا تجوز،

**ولهذا لا يوصف الله بالمكر إلا علىٰ سبيل المقابلة بالماكرين**، ولذلك قال تعالىٰ في الآية الثانية: ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٥٠﴾ [النمل: ٥٠].

وقال: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾[الأنفال:٣٠]، وقال: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ۝٥٤﴾[النمل:٥٠]، في هذه الآيات المتضمنة ذكر بعض صفات الله تعالىٰ التي تأتي علىٰ وجه المشاكلة والمقابلة، فلا يوصف الله بهذه الصفات إلا علىٰ سبيل المشاكلة والمقابلة، وهي أربع صفات معدودة، هي: المكر، والكيد، والاستهزاء، والخداع، ومعنىٰ هذه القاعدة عند أهل السنة والجماعة: إن من غالب الله في أمر فإن الله يمكر به ويكيد له بالمماحلة، وهي: القوة، فيغلبه لأن الله شديد المكر بمن يمكر بالله.

وتأتي صفة المكر والكيد في القرآن؛ وكذلك الاستهزاء والخداع علىٰ وجه المقابلة أيضًا، فتكون صفة كمال لله تعالىٰ علىٰ هذا الوجه فقط؛ لأن من مكر بمن لم يمكر به صار هذا من الغدر، وهذه صفة مذمومة، ولكنها صفة كمال إذا جاءت علىٰ وجه المقابلة، فيكون المكر محمودًا إذا كان بالماكر، وكذلك يكون الكيد محمودًا إذا كان بالكائد، وهكذا الاستهزاء والخداع، قال تعالىٰ: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ۝٣٠﴾ [الأنفال: ٣٠]، وقد يأتي المكر علىٰ وجه المشاكلة بقوله: ﴿خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ۝٣٠﴾ [الأنفال: ٣٠].

وفي الآية الرابعة قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ۝١٧﴾ [الطارق: ١٥- ١٧]، هذه الآية جاءت في كفار مكة الذين كادوا لرسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، يصدون الناس عن دعوة الرسول إلىٰ دين الله الإسلام، وينفرون الناس عن دعوة الحق، فكاد الله بهم كيدًا أعظم من كيدهم وأشد، والله غالب علىٰ أمره سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، فكان مكر الله أعظم من مكرهم وردًّا لكيدهم، وأنجىٰ الله رسوله من الكفرة، فهاجر عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من مكة إلىٰ المدينة،

وهكذا يكيد الله عَزَّوَجَلَّ لكل أنبيائه ورسله، ومن سار علىٰ دربهم مؤيدًا وناصرًا لدينه.

**وخلاصة هذه الصفات لله تعالىٰ** أنه يتوصل بها إلىٰ إيقاع الخصم بالأسباب الخفية، وهي صفات كمال لله تعالىٰ، فيكون المكر والكيد والمحال من صفات الله الفعلية التي يوصف بها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علىٰ وجه المقابلة فتكون صفات كمال مطلق لله تعالىٰ، كذلك من هذا الباب صفة الاستهزاء والخداع ترد علىٰ هذا الوجه بالمقابلة.

فأهل السنة والجماعة يثبتون هذه الصفات والمعاني علىٰ سبيل الحقيقة، خلافًا لأهل التحريف والبدع، فإنهم ينفون هذه الصفات كما نفوا صفات الكمال الظاهرة كصفة: الوجه، واليدين، والعينين، وغيرها كما مر معنا آنفًا.

ثم هم يفسرون هذه الصفات التي علىٰ وجه المقابلة بالمجازات، فيقولون في قوله: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ يعني: جازاهم الله علىٰ مكرهم، وهكذا يقولون في قوله: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦﴾ [الطارق: ١٥- ١٦]، يعني: أجازيهم الجزاء الأعظم علىٰ كيدهم، وأعاقبهم العقوبة الشديدة علىٰ كيدهم، ويقولون في قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ۝١٣﴾ [الرعد: ١٣] يعني: هو شديد العقوبة علىٰ المكر والكيد، وكل هذا من التأويل والتحريف الفاسد ولا دليل عليه من أثر ولا قول للسلف.

ولا يشتق من صفات المقابلة والمشاكلة اسم لله تعالىٰ، فلا يقال الله: الماكر، أو الكائد، أو المخادع، أو المستهزئ، تعالىٰ الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، وصفات المقابلة تدل علىٰ علو الله وتمام قدرته وكمالها وأن الله غالب علىٰ أمره.

وفي هذه الصفات التحذير من مخادعة الله، أو الكيد والمكر، أو الاستهزاء بالله وأولياء الله، ولذلك ينبغي الحذر من مكر الله؛ فإن الله أنزل بالماكرين العذاب الأليم، كما في قصة اليهود الذين اصطادوا يوم السبت بعدما حُرم عليهم.

## ١٥- وصف الله بالعفو والمغفرة والرحمة والعزة والقدرة

وقوله: «﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ [النساء: ١٤٩]، وقوله: ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور: ٢٢]».

تضمنت الآيات: صفة العفو، والمغفرة، والرحمة، والقدرة لله تعالىٰ.

في الآية الأولىٰ قال: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾: يقول تعالىٰ: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا﴾؛ أي: تظهروه، ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾؛ أي: تعملوه سرًّا، أي: لا يعلمه أحد إلا الله، وهذا يشمل كل خير من قول أو فعل ظاهرًا أو باطنًا، ثم قال: ﴿أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ﴾؛ أي: تتجاوزوا عمن أساء إليكم، ويشمل كل إساءة: في المال، أو في الحال، وهذا يشمل العفو عن الذنب أو التنازل عن الحقوق وترك المطالبة به، إذا حصل كل ذلك منكم فإن الله عفوٌّ؛ أي: ذو العفو والمغفرة، والعفو أبلغ من المغفرة؛ **لأن العفو** إزالة أثر الذنب، **والمغفرة** ستر الذنب، فالعفو أبلغ، ثم ختم بقوله: ﴿قَدِيرًا﴾؛ أي: إن الله قادر علىٰ كل شيء سبحانه، لا يخرج شيء من مخلوقاته عن قدرته، حتىٰ أفعالهم وأقواله؛ لأن الله خلقهم وخلق أفعالهم، قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: ٩٦]، فأثبت في هذه الآية صفة العفو لله تعالىٰ وكذلك القدرة.

وفي الآية الثانية قال: ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾، فأمر

بالعفو أولًا وهو: الستر والتجاوز، ثم أمر بالصفح وهو: الإعراض، وهذا أبلغ من العفو؛ لأن فيه التجاوز عن عقاب المذنب بل حتىٰ ترك لومه ومعاتبته.

وهذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حين حلف علىٰ ألا ينفق علىٰ مسطح ابن خالته رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لخوضه في أمر عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا في حادثة الإفك، وكان مسطح رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بدريًّا مهاجرًا، فلما تلا النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ علىٰ أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «بَلَىٰ وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لِي»(١)، ورد علىٰ مسطح نفقته.

ثم ختم الله الآية بقوله: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ أي: إن الله كثير المغفرة، وفي هذا دليل علىٰ أن الجزاء من جنس العمل، وفي الآية صفتين عظيمتين لله تعالىٰ هما: الغفران، والرحمة، وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مدارج السالكين» قوله: «في الآية صفتان عظيمتان لله تعالىٰ هما: الغفران والرحمة، وفيه إشارة إلىٰ أن كل اسم يناسب ما ذكر معه واقترن به من فعله وأمره سبحانه، وفيها أن أسماء الرب مشتقة من أوصاف ومعاني قامت به سبحانه، فهي أسماء وهي أوصاف بذلك كانت حسنىٰ، إذ لو كانت ألفاظًا لا معاني لها لم تكن حسنىٰ ولا كانت دالة علىٰ المدح ولا علىٰ الكمال»ا.هـ، وكثيرًا ما يأتي هذان الاسمان كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾﴾ [الأحقاف: ٨]، في ختام آيات كثيرة في القرآن لأنهما دالان علىٰ معنىٰ متشابه، ففي المغفرة: زوال المكروب وآثار الذنب، وفي الرحمة: حصول المطلوب للعبد، وهو عظيم التجاوز والمنة من الله تعالىٰ.

- ثم قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

---

(١) «صحيح البخاري» (٢٦٦١).

«**وقوله**: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ﴾ [المنافقون: ٨]، **وقوله عن إبليس**: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢﴾ [ص: ٨٢]».

تضمنت هذه الآيات صفة العزة لله تعالىٰ، ويشتق منها **اسم الله العزيز، والعزة هي**: السدة، والقوة، والغلبة، والقدرة، وذكر أهل العلم أن العزة لله تنقسم إلىٰ ثلاثة أقسام:

١- عزة القدرة؛ أي: إن الله ذو قدرة عزيز لا نظير له.

٢- عزة القهر؛ أي: عزة الغلبة، أن الله غالب كل شيء، وقاهر كل شيء.

٣- عزة الامتناع؛ أي: إن الله يمتنع أن يناله سوء أو نقص.

وكل هذه الأنواع تدل علىٰ كمال قهره وسلطانه وكمال تنزهه عن العيب والنقص، وتدل علىٰ كمال صفات الله في عزة القدرة.

وفي الآية إثبات العزة المطلقة لله تعالىٰ، وإثبات العزة للرسول عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وللمؤمنين، وهي امتناع الجانب من أن يصل إليهم الضرر من المشركين؛ لأن الله قد أعزهم بالإسلام والله غالب علىٰ أمره، ومع إثبات العزة للرسول وللمؤمنين إلا أنها ليست كعزة الله، فعزة الله ذاتية، وعزة الرسول والمؤمنين مكتسبة من عزة الله، ويستفاد من هذا أنه لا يلزم من اتفاق الاسمين أو الصفتين تماثلهما في الاسم أو الصفة.

وفي الآية الأخرىٰ في قول الله تعالىٰ: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢﴾: **الباء للقسم**، وفي هذا دليل جواز الحلف بعزة الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وكذا غيرها من صفات الله، وفي هذا دليل علىٰ أن صفات الله غير مخلوقة، والعزة المضافة لله سبحانه تنقسم إلىٰ قسمين:

**الأول**: يُضاف إلىٰ الله من باب إضافة المخلوق إلىٰ خالقه وهي: العزة

المخلوقة التي يعز الله بها الأنبياء والصالحين من عباده.

**الثاني**: العزة المضافة إلىٰ الله من باب إضافة الصفة إلىٰ الموصوف كما في هذه الآية: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ﴾: وكما في الحديث: «**أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِر**»[١].

وفي الآية كذلك يقسم إبليس بعزة الله التي لا تغلب أنه سيغوي بني آدم، ويخرجهم من الرشد إلىٰ الضلال والغي، ويستثني من هذا عباد الله المخلصين فإنه لا يستطيع أن يغويهم، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢]، وفي الآية إثبات إقرار الشيطان بصفات الله مع العجب من إنكار بعض بني آدام صفات الله كلها أو بعضها، وهذا من ضلالهم وغوايتهم العظمىٰ.



(١) «صحيح مسلم» (٢٢٠٢).

## ١٦- إثبات الاسم لله ونفي المثل عنه

وقوله: «﴿تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٧٨﴾ [الرحمن: ٧٨]، ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَـٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥﴾ [مريم: ٦٥]، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ٤]، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢﴾ [البقرة: ٢٢]، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ﴾ [البقرة: ١٦٥]».

في هذه الآية إثبات الاسم لله تعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ﴾؛ أي: تعاظم وتعالىٰ وحلت البركة، أي: إن البركة تكون باسم الله، فكلما صاحبه اسم الله صارت فيه البركة.

وفي الحديث الذي يحسنه بعض أهل العلم: «**كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِاسْمِ اللهِ فَهُوَ أَبْتَر**»(١) أي: ناقص البركة، ولذا شرع ذكر اسم الله والبدء به في عبادات كثيرة منها: الذبح الذي يحرم أكله إذا لم يذكَّ بذكر اسم الله عليه حين يُذبح، وشرع ذكر اسم الله حال الطهارة والوضوء، كما شرع حال البدء بأكل الطعام وأن من لم يذكر اسم الله أكل معه الشيطان، كما شرعت البسملة عند الجماع، وأن من ذكر اسم الله حال الجماع جُنّب ما يرزق من الولد ضرر الشيطان، فكلما صاحبه ذكر اسم الله حلت به البركة، وأن ذكر اسم الله سببًا للبركة إذا صاحب شيئًا.

وقوله في الآية: ﴿ذِى ٱلْجَلَـٰلِ﴾: فذي: بمعنىٰ صاحب وهي صفة للرب، و﴿ٱلْجَلَـٰلِ﴾: هو العظمة، ﴿وَٱلْإِكْرَامِ﴾؛ أي: التكريم وهو الإكرام من الله لمن

(١) ضعيف: انظر: «الإرواء» (١/ ٣٠).

أطاعه، وقال أهل العلم: الجلال هو عظمة الله في نفسه، والإكرام عظمة الله في قلوب المؤمنين فيكرمونه ويكرمهم.

والآيات التي بعدها في بيان صفات السلب والنفي لله الدالة علىٰ كمال الله، وبيان الكمال لا يتم إلا بذكر النفي والإثبات، والأصل عند أهل السنة والجماعة هو الإثبات ويأتي مفصلًا، وينفون نفيًا مجملًا، وإنما يأتي النفي مفصلًا أحيانًا لرد شبهة أو تنقص حصل كنفي الولد والصاحبة ودفع التوهم، وكذلك يأتي نفي النوم والسِّنة بالنفي المفصل ليثبت كمال الضد.

ففي الآية الأولىٰ: «﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾ [مريم: ٦٥]»، فاعبده؛ أي: أفرده بالعبادة ولا تعبد معه غيره، وهذا يتضمن النهي عن الشرك، والعبادة شرعًا يعرفها شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: «العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، كالصلاة وغيرها مع المحبة والخضوع لله تعالىٰ»، ومن أعظم شروطها الإخلاص لله والمتابعة لرسول الله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وقوله: «﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾» أي: مساميًا ومشابهًا ومماثلًا من المخلوقين، والاستفهام هنا بمعنىٰ النفي، وهذا مشرب بمعنىٰ التحدي يعني إن كنت صادقًا، فنفىٰ الله عن نفسه النظير والسميّ، أي لا أحد يدعي أنه يتسمّىٰ بما سمّىٰ الله به نفسه، وهذا النفي من الصفات السلبية، والصفات السلبية تتضمن الثبوت وهو: كمال الله المطلق الذي لا يساميه أحد فيه، فإذا كان كذلك فالواجب أن تفرده بالعبادة وأن تصبر علىٰ ذلك صبرًا يدوم حتىٰ تفارق الحياة.

وقال في الآية الثانية: «﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾»، في هذه الآية نفي الكفء لله وذلك لكمال صفاته، فلا أحد يكافئ الله لا في علمه، ولا سمعه، ولا بصره

ولا قدرته، ولا عزته ولا حكمته، ولا غير ذلك من صفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وفي الآية الثالثة في قوله: «﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾»، وهذا موجه لقوم عبدوا مع الله في ألوهيته آلهة أخرىٰ ولم يجعلوا له أندادًا في الربوبية، فقال: لا تجعلوا لله أندادًا في الألوهية أيضًا فوحدوه في الألوهية وأقروا له بذلك كما تقرون أن ليس له أندادٌ في الربوبية.

**والند هو**: المكافئ والمشابه والمماثل والنظير، فأنكر عليهم عباداتهم لغير الله ومساواتهم لهؤلاء المعبودين بالله في المحبة والتعظيم، وهذا باطل إذ لا ند لله، بمعنىٰ لا مثيل لله في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ولا في عبادته، ثم بين أنهم ما فعلوا ذلك إلا لجهلهم بشأن الله وعظمة الله وجلاله سبحانه فوصفهم بالجهل فقال: ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ أي: تجهلون.

وفي هذه الآية رد علىٰ كل فرق الضلال: كالمشبه لله بخلقه، وكعبدة الأوثان، والرد علىٰ القدرية الذين يزعمون أن العبد يخلق فعل نفسه، وكذلك الرد علىٰ المعطلة الذين نفوا صفات الله، وكذلك المشبهة وغيرهم.

وفي الآية الرابعة في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾، وهؤلاء هم عبدة الأصنام الذين يعبدون هذه الأصنام ويحبونها كمحبة الله، وهذا هو شرك المحبة.

ثم بين محبة الموحدين لله وأن حبهم لله أشد أنواع المحبة، فهم أشد حبًّا لله من محبة أهل الأنداد لمن عبدوا؛ لأن محبة المؤمنين خالصة لله لا يشوبها شرك، وأما محبة الأنداد محبة شرك والمحبة الخالصة أشد وأعظم من المحبة المنازع فيها الشريك.

وفي هذه الآية دليل أن من أشرك مع الله غيره في المحبة فقد اتخذه ندًّا لله وأن

ذلك من الشرك الأكبر، وينطبق هذا علىٰ من أحب رسول الله كحب الله وإنما محبة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ تبعًا لمحبة الله عَزَّوَجَلَّ فكيف بمن يحبون رسول الله أكثر مما يحبون الله؟

والخلاصة يجب إفراد الله بالألوهية كإفراده بالربوبية والخلوص من اتخاذ الند لله، فالله هو الواحد الأحد، الفرد الصمد الذي لا شريك له، ولا ند له ولا مكافئ، وعلىٰ هذا أهل الإيمان والتوحيد الخالص جعلنا الله منهم.

فالقاعدة عند أهل السنة والجماعة كما ذكرنا آنفا من أن القاعدة في الصفات النفي المجمل والإثبات المفصل، وأما المبتدعة فالأصل عندهم أن النفي يكون مفصلًا والإثبات يكون مجملًا، فيقولون في صفة الله عَزَّوَجَلَّ: إن الله ليس بجسم، ولا بشيء، ولا بصورة، ولا بذي أعضاء، ولا بذي جوارح، ولا فوق ولا تحت، ولا عن يمين ولا عن شمال، ولا أمام ولا خلف، وليس بذي دم، ولا هو خارج عن العالم، ولا هو داخل فيه، إلىٰ آخر تصنيفهم للمنفيات، وهم بهذا يصفون العدم المحض، وإذا أرادوا الإثبات جعلوه مجملًا، فصار نفيهم وإثباتهم خلاف ما قرره الله تعالىٰ في كتابه العزيز بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ: ١١]، هكذا يتقرر في القرآن نفي مجمل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ ثم إثبات مفصل: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾.

فتدبر أيها السلفي هذه القواعد العظيمة أرشدك الله إلىٰ كل خير.



## ١٧- نفي الشرك عن الله تعالى

قال: «وَمِنَ الآيَاتِ الْمُشْتَمِلَةِ لِأَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ قَوْلُه تَعَالَىٰ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء: ١١١]».

تتضمن هذه الآية كذلك النفي للصفات السلبية لله تعالىٰ حيث قال: ﴿لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾، وهذا لكمال صفات الله وغناه سبحانه عن غيره، إذ حاجة الأولاد إنما تكون في المخلوقات القاصرة لحاجتها إلىٰ المعين من جنسها، أما ذات الله فلها صفة الكمال المطلق فالله لا مثيل له، فلو اتخذ ولدًا لكان الولد مثيلًا له ولكان له شبَهٌ من خلقه فهو ناقص، تعالىٰ الله عن هذا وتعاظم شأنه.

وقد ضل اليهود والنصارىٰ والمشركون حين ادعوا أن لله ولدًا، فقالت اليهود: عزير ابن الله، وقالت النصارىٰ: المسيح ابن الله، وقال المشركون الملائكة بنات الله، وكل هذا من جهلهم بالله وخبث معتقدهم، تعالىٰ الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

كما تضمنت الآية نفي الشريك لله، قال: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾، والله ليس له شريك في الملك ولا في الخلق ولا في التدبير، وكل ما في الكون مخلوق لله مملوك له، يدبره كما شاء سبحانه ولا يشارك الله في ذلك أحد، قال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [سبأ: ٢٢].

ثم قال في الآية الأخرىٰ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ [الإسراء: ١١١]، فنفىٰ عن

نفسه الذل؛ فليس الله بذليل فيحتاج إلىٰ أن يكون له ولي أو وزير أو مشير؛ لأن الله سبحانه عزيز لا يفتقر إلىٰ ولي يحميه ويمنعه من الذل، فنفىٰ الله كل ذلك لأنه دال علىٰ النقص ثم أثبت ولم ينف الولاية علىٰ وجه المحبة والكرامة لمن شاء من عباده، فلِلَّه أولياء من خلقه، لهم الأمن الكامل من الخوف والحزن، وهذه رحمة من الله وإحسان وكرامة لهم، قال تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢﴾ [يونس: ٦٢]، وفي الحديث القدسي، قال تعالىٰ: «**مَن عَادَىٰ لِي وَلِيًّا، فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ**»[(١)]، إذًا الولي المنفي في الآية هو الولي من الذل؛ لأن الله له العزة جميعًا، فلا يلحقه الذل بوجه من الوجوه؛ لكمال عزته سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

ثم ختم الآية بقوله: ﴿وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ۝١١١﴾؛ أي: عظمه عما يقول الظالمون المخالفون لرسل الله الكرام أعظم أولياء الرحمن.

- ثم قال شيخ الإسلام في آية أخرىٰ:

«﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝١﴾ [التغابن: ١]».

تضمنت هذه الآية صفة سلبية لله تعالىٰ في قوله: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾ أي: ينزهه عما لا يليق بجلال الله وعظمته من صفة نقص أو عيب، وجاء هذا التنزيه في الآية بعد ذكر صفات الكمال الثبوتية لله في قوله: ﴿لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝١﴾، فذكر الذين يسبحون الله بلسان المقال من المخلوقات من الأحياء والجمادات، والله قادر علىٰ خلق الإدراك في الجمادات وإنطاقها كما ذكر الله في آية أخرىٰ إنطاق الجلود علىٰ أصحابها؛ لتشهد عليهم كما في قوله: ﴿قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ

---

(١) «صحيح البخاري» (٦٥٠٢)

شَيۡءٖ﴾ [فصلت: ٢١]، وقد ثبت عن النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه قال: «**إِنَّ بِمَكَّةَ حَجَرًا كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ لَيَالِي بُعِثتُ، إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الآنَ**»(١)، وفي حديث أن النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لما فارق الجذع الذي كان يخطب عليه حنَّ ذلك الجذع لفراقه له عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ(٢)، ومصداق كل ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ﴾ [الإسراء: ٤٤].

● ثم قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«**وقوله**: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ١ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ٢﴾ [الفرقان: ١ - ٢]».

قوله تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ﴾؛ أي: تعالىٰ وتعاظم سبحانه.

﴿ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ﴾؛ أي: القرآن، وسمي بالفرقان لأنه يفرق بين الحق والباطل، نزله علىٰ عبده هو مُحمد عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ومدح الله نبيه حين وصفه بالعبودية وجاء هذا الوصف من الله لرسوله في آيات كثيرة.

ثم قال: ﴿لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾؛ أي: منذرًا لهم، **والإنذار** هو الإعلام، فهو عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يخوفهم ليطيعوا الله فيكونوا في أمان منه، والرسول عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنذر العالمين وهم الجن والإنس، فأقام عليهم الحجة والتكليف بعبادة الله وحده، والحذر من الشرك بكل صوره فالعبودية والألوهية لله وحده لا شريك له.

ثم ذكر في الآية أن الله هو المتصرف في السماوات والأرض ومن فيهن، والجميع خلقه وعبيده، ثم نزه الله نفسه عن الولد لكمال غناه وافتقار جميع مخلوقاته

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٦٢٤)، «صحيح الترمذي» (٣/ ٤٨٩).

(٢) «صحيح الترمذي» (٣/ ٤٨٩)، وابن ماجه (١٤١٥).

إليه، بل خلق العباد وأفعالهم سبحانه وقدر لهم جميعًا أرزاقهم وآجالهم وحياتهم ومماتهم، فقدر كل ذلك تقديرًا في قدره وقضائه الأزلي.

وفي الآية موضع الشاهد وهو: النفي المفصل في تقريره أن الله لم يتخذ ولدًا سبحانه لكمال قدرته وعزته وغناه عن كل أحد.

ثم قال: «**وقوله تعالىٰ:** ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [المؤمنون: ٩١ – ٩٢]».

في هذه الآية كذلك بيان للنفي المفصل في صفات الله، فنفىٰ وفصل أن الله لم يتخذ من ولد، و(**من**) هنا تفيد التوكيد، فالله تنزه عن المثل والشبيه والنظير والولد، فالله لم يتخذ ولدًا لكمال صمديته وغناه، وكمال ملكه وتعبد كل شيء له، كما نفىٰ الله أن يكون له شريك في الألوهية لتفرده بالربوبية والألوهية وتوحده بكمال الصفات التي لا يوصف بها غيره سبحانه، وكل هذا النفي المفصل يراد به إثبات كمال الضد لله؛ لأن السلب المحض ليس مدحًا ولا ثناءً.

ثم قرر سبحانه في الآية أنه لو كان هناك إله آخر يساويه، لكان له ملك خاص ولله ملك خاص، وهنا سيسعىٰ كل منهما للتفرد بما خلق، وحينئذ سيسعىٰ كل إله أن يسيطر علىٰ الآخر كحال ملوك الدنيا، فيسيطر أحدهما علىٰ الآخر بالمغالبة، وهنا إما أن يتمانعا، فيعجز كل واحد منهما عن الآخر، وإذا عجز كل واحد منهما عن الآخر؛ ما صح أن يكون إلهًا؛ لأن الإله لا يكون عاجزًا، وهنا إما أن يعلو أحدهما علىٰ الآخر، فالعالي هو الإله.

فترجع المسألة إلىٰ أنه لا بد أن يكون للعالم إله واحد، ولا يمكن أن يكون للكون إلهين أبدًا، وكذلك الأمر من وجه آخر في التدبير للكون علويه وسفليه، فلا بد

أن يصدر عن إله واحد، وإلا لكان فيه التناقض، فأحد الإلهين يقول: أريد الشمس تخرج من جهة المغرب، والثاني يقول: أريدها أن تطلع من جهة المشرق، واتفاق الإرادتين مُحال، لا سيما في مقام التسلط فكل واحد يريد أن يقيم ويفرض سلطته، وفي هذه الآية البيان من الله بالدليل العقلي أنه لا يمكن تعدد الإله.

ثم ختم الله الآية بقوله: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾؛ أي: تنزيها لله عن وصف الملحدين والمشركين الذين يقولون في الله سبحانه ما لا يليق.

ثم قال: ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أي: هو الله المختص بعلم ما غاب عن العباد وعلم ما يشاهدونه، وأما غيره فهو وإن علم شيئًا مما يشاهده فإنه لا يعلم الغيب، قال: ﴿فَتَعَٰلَىٰ﴾ أي: تنزه الله وتقدس، ﴿عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٩٢﴾ يشركون به، فهو سبحانه متعال عن أن يكون له شريك في الملك.

ثم قال: «**وقوله تعالىٰ**: ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٧٤﴾ [النحل: ٧٤]».

قول الله تعالىٰ في هذه الآية لا تضربوا لله الأمثال؛ أي: لا تجعلوا لله الأمثال والأشباه، فتشبهون الله بخلقه فتجعلون لله شريكًا في العبادة والألوهية وتجعلون له شريكًا ومثيلًا وندًّا، فلله المثل الأعلىٰ، فلا يجوز أن يشرك الله واحدًا من مخلوقاته في قياس تمثيل ولا في قياس شمول تستوي أفراده، بل يستعمل في حق الله المثل الأعلىٰ، أي: إن كل ما اتصف به مخلوق من كمال فالله أولىٰ بذلك الكمال، وكل ما يتنزه عنه المخلوق من نقص فالله أولىٰ بالتنزيه منه، ولذلك قال في آخر الآية: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ﴾ [الزمر: ٩]، فالعالم أكمل ممن لا يعلم، وإذا علمنا ذلك علمنا أن علم الله المطلق الشامل لا مثيل له، فله المثل الأعلىٰ في كل ذلك.

ثم ختم الآية بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٧٤﴾ [النحل: ٧٤]، أي:

إن الله يعلم بأنه ليس له مثيل، وقد أخبر بأنه لا مثيل له في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى: ١١]، وإذا ثبت العلم الكامل المطلق لله فأين المماثل له سبحانه، فمن هو دون الله من المخلوقات لا يعلم ما يفعله غدًا ولا بعد غدٍ، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًاۖ﴾ [لقمان: ٣٤]، فكيف بهذا قاصر العلم يشرك بالله ويجعل له من الأنداد والأشباه ثم يشبهها بالله، تعالىٰ الله عن ذلك.

ثم قال في الآية الأخرىٰ ضمن الآيات التي تتضمن صفات النفي لله تعالىٰ: «﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٣﴾ [الأعراف: ٣٣]».

هذه الآية من سورة الأعراف تضمنت كالتي قبلها ذكر بعض الصفات السلبية لله تعالىٰ، وموضع الشاهد في الآية للصفات السلبية قوله تعالىٰ: ﴿وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾، هذا الشاهد الأول لصفة سلبية، والشاهد الثاني في قوله: ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

وتفسير هذه الآية باختصار: ﴿قُلْ﴾: الخطاب هنا للنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ليبلغ أمته، وقوله: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ﴾؛ أي: لم يحرم الله من أفعال العباد في الأخلاق إلا الفواحش أي: ما استفحش من الذنوب كالزنىٰ واللواط، فكل الفواحش حرام وخص بالزيادة: ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾؛ أي: ما أعلنه الناس وأظهروه بينهم، وما أبطنوه بالإخفاء أيضًا، كما حرم الله أيضًا: ﴿وَٱلْإِثْمَ﴾: وهو كل معصية تجر إلىٰ الإثم، وقيل: المقصود بها الخمر لأنها أم الخبائث، وحرم: ﴿وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾؛ أي: التجاوز والتعدي بالظلم علىٰ الناس، ثم قال: ﴿وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾؛ أي: تجعلوا لله شريكًا في العبادة، فهذا أمر لم ينزل به حجة، وفي قوله: ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ صفة كاشفة وقيد؛ لأن كل من أشرك بالله، فليس له سلطان بشركه.

ثم قال: ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٣٣﴾ أي: حرام أن تقول علىٰ الله بجهل ودون علم في ذات الله، أو أسمائه، أو صفاته، أو أحكامه، فهذه أربعة أمور محرمة متعلقة بباب الأسماء والصفات لله.

ثم ذكر موضع الشاهد في الآية: ﴿وَأَن تُشۡرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٣٣﴾، فنفىٰ في الشاهد الأول: الشرك مع الله قال: ﴿وَأَن تُشۡرِكُوا۟﴾: يعني لا تجعلوا لله شريكًا لكماله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، ونفىٰ في الشاهد الثاني أن يقولوا علىٰ الله ما لا يعلمون، لكمال علم الله وتمام سلطانه فلا يقل أحد علىٰ الله ما لا يعلم.



## ١٨- إثبات استواء اللهٰ على عرشه

ثم استطرد شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، في ذكر آيات أخرىٰ متعلقة بأسماء الله وصفاته، فشرع في ذكر إثبات صفة استواء الله علىٰ عرشه، واستدل علىٰ ذلك بسبع آيات من كتاب الله: «**فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ:** ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، **وَفِي سُورَةِ يُونُسَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يونس: ٣]، **وَقَالَ فِي سُورَةِ الرَّعْدِ:** ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الرعد: ٢]، **وَقَالَ فِي سُورَةِ طَهَ:** ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، **وَقَالَ فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ:** ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الفرقان: ٥٩]، **وَقَالَ فِي سُورَةِ الم السَّجْدَةِ:** ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [السجدة: ٤]، **وَقَالَ فِي سُورَةِ الحَدِيدِ:** ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤]».

وفي معنىٰ الآيات الأولىٰ والثانية قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: هو خالقكم ومربيكم بنعمه والذي يجب عليكم عبادته وتوحيده وحده، قال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ أي: خلق العالم كله في ﴿سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ هي: الأحد، والاثنين، والثلاثاء، والأربعاء، والخميس، والجمعة، وفي الجمعة اجتمع الخلق كله وفيه خلق آدم أبو البشر عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، قال: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ أي: علا وارتفع علىٰ

العرش كما يليق بجلاله، **والعرش** وهو: سرير الملك له قوائم تحمله الملائكة وهو كالقبة علىٰ العالم، وهو سقف المخلوقات.

وفي الآية الثالثة قال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي: رفعها عن الأرض، ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾، فهي قائمة بغير عمدان وسواري تعتمد عليها، بل بقدرة الله سبحانه وقوله: ﴿تَرَوْنَهَا﴾ تأكيد نفي العمد، ثم قال: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، وهذا هو محل الشاهد في جميع هذه الآيات، إثبات استواء الله علىٰ عرشه كما يليق بجلاله، وسيأتي معنا معنىٰ الاستواء عند أهل السنة والجماعة خلافًا لقول أهل الضلال والتعطيل الذين يفسرون الاستواء بالاستيلاء، والقهر علىٰ الملك، وهذا قول باطل كما سنبين ذلك.

فعلمنا بأن هذه الآيات تتضمن إثبات استواء الله علىٰ عرشه وأن الاستواء صفة فعلية ثابتة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذه الصفة هي من أعظم الفواصل بين أهل السنة والجماعة وفرق الضلال من الأشاعرة والماتريدية وغيرهم، فأهل السنة يثبتون استواء الله علىٰ عرشه، استواء يليق بجلاله وعظمته، والاستواء معلوم في لغة العرب وله أربعة معان: **علا، وارتفع، وصعد، واستقر**، وعلىٰ هذه المعاني الأربعة تدور تفاسير السلف في تفسير الآيات الدالة علىٰ الاستواء، وقد أثبت الله تعالىٰ الاستواء لبعض خلقه في كتابه العزيز بهذا المعنىٰ، قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ [المؤمنون: ٢٨]، أي: علوت وارتفعت: ﴿فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٨﴾ [المؤمنون: ٢٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ۝١٢ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ [الزخرف: ١٢ – ١٣]، فتحصل من هذا أن معنىٰ الاستواء لله علىٰ عرشه معلوم، والكيف غير معقول أي: لا تدركه عقول البشر، والإيمان به واجب إقرارًا لما جاء في الآثار من كتاب الله وسنة

رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، والسؤال عن كيفية الاستواء بدعة، إذ لا يعلم كيفية استوائه علىٰ عرشه إلا هو سبحانه؛ لأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، وكما نعلم أن لله ذاتًا تليق بجلاله فكذلك يجب أن نثبت لله صفات تليق بجلاله، ولذلك فإثباتنا لاستواء الله استواء وجود لا إثبات تكييف وتمثيل، وهذه قاعدة أهل السنة في جميع صفات الله تعالىٰ، كالمجيء والنزول والإتيان والوجه واليد ونحو ذلك.

وإثبات الاستواء لله بالقاعدة التي ذكرنا منقول عن السلف، عن أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وعن ربيعة شيخ الإمام مالك، وعن مالك أيضًا، وقد سئل الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ عن الاستواء فقال: «الاستواء غير مجهول: -أي غير مجهول المعنىٰ في اللغة-، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعًا».

والخلاصة أن أهل السنة والجماعة يؤمنون بأن الله تعالىٰ مستو علىٰ عرشه، استواء يليق بجلاله ولا يماثل استواء المخلوقين، وأما أهل البدع وأهل التعطيل يفسرون لفظ الاستواء في نصوص الشرع بأن المراد بها الاستيلاء، فقالوا: معنىٰ ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ يعني: استولىٰ عليه، واستدلوا علىٰ أقوالهم من حيث اللغة بقول الشاعر النصراني وهو: الأخطل؛ في قوله:

**قَدِ استوىٰ بِشرٌ علَىٰ العراقِ ... مِنْ غيرِ سيفٍ أو دمٍ مهراقِ**

يَعنَوْنَ أن **بشر بن مروان** استوىٰ يعني: استولىٰ علىٰ العراق، وقالوا هذا بيت من الشعر عن شاعر عربي، وقالوا: لا يمكن أن يكون استوىٰ علىٰ العراق يعني علا وارتفع علىٰ العراق.

**فنقول**: قولهم هذا باطل مردود، كذلك استدلوا أيضًا بقول سلبي ينفي المعنىٰ،

فقالوا: لو أثبتنا أن الله مستوٍ علىٰ عرشه بمعنىٰ العلو والاستقرار للزم من ذلك أن يكون محتاجًا إلىٰ العرش، يعني أنه جسم ولزم أن يكون محدودًا.

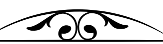
**فرد عليهم أهل السنة والجماعة بأمور:**

**الأول**: أن تفسيركم هذا مخالف لتفسير السلف الذي أجمعوا عليه، فلم ينقل عنهم تفسير الاستواء بالاستيلاء، ولو أُثر عنهم ذلك لنُقل إلينا.

**الثاني**: أنه يلزم علىٰ قولكم بمعنىٰ الاستيلاء أن الله حين خلق السماوات والأرض ليس مستوليًا علىٰ عرشه، والله تعالىٰ يقول: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [السجدة: ٤]، و(**ثُم**): تفيد الترتيب، فيلزم أن يكون العرش قبل تمام خلق السماوات والأرض لغير الله.

وهناك ردود أخرىٰ مُفحمة من أهل السنة والجماعة ردًّا علىٰ تلبيسات وتحريفات أهل البدع والضلال يُرجع إليها في مظانها في كتب علماء أهل السنة والجماعة.





## ١٩- إثبات علو الله على مخلوقاته

ثم قال: «**فِي قَوْلِهِ**: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، **وَقَوْله**: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾ [النساء: ١٥٨]، **وَقَوْله**: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ [فاطر: ١٠]، **وَقَوْله**: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ۝٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ﴾ [غافر: ٣٦ - ٣٧]، **وَقَوْله**: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ۝١٧﴾ [الملك: ١٦ - ١٧]».

في هذه الآيات دليل الذين أثبتوا لله الاستواء علىٰ العرش وهم أهل السنة والجماعة، وكذلك علو الله علىٰ خلقه، **والفرق بين الاستواء والعلو** هو أن العلو من صفات الذات، والاستواء من صفات الأفعال، فعلو الله وصف لازم لذاته، والاستواء فعل من أفعال الله سبحانه يفعله بمشيئته وقدرته إذا شاء، ولذلك ذكر في قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾: وذلك بعد خلقه السماوات والأرض، كما أن **هناك فرق آخر بين العلو والاستواء** وهو: أن العلو من الصفات الثابتة بالعقل والنقل، أما الاستواء فثابت بالنقل فقط لا بالعقل، ولذلك حين ذكرنا قاعدة أهل السنة في الاستواء قلنا: إن الاستواء معلوم والكيف غير معقول أي: لا تدركه العقول، أما العلو فإن العقول تدركه.

فجاء في الآيات التي أوردها شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا أدلة أهل السنة والجماعة علىٰ إثبات صفة العلو لله، فأهل السنة يثبتون علو الله بذاته علىٰ جميع

مخلوقاته، كما يثبتون علو الله المعنوي عن مخلوقاته، وفي الإثبات المعنوي يوافقهم أيضًا أهل الضلال والبدع فلا ينفون العلو المعنوي بل ينفون العلو الذاتي لله، وهذا من ضلالهم وجهلهم في فهم نصوص الشرع والتسليم لظاهرها.

فمن أدلة إثبات علو الله الذاتي عند أهل السنة قوله في الآية الأولىٰ: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾؛ أي: إن الله قابض عيسىٰ دون الموت ورافعه إلىٰ السماء وهو حي، والشاهد هو أن المرفوع إليه هنا وهو الله في علو، وهذا يدل علىٰ علو الله الذاتي عَزَّوَجَلَّ، ورفع عيسىٰ هنا رفع جسدي وليس رفع معنوي، ولذلك عدي الرفع بحرف (**إلىٰ**) الدال علىٰ الرفع إلىٰ علو.

والدليل أيضًا في الآية الثانية قال الله: ﴿إِلَيْهِ﴾؛ أي: إلىٰ الله يصعد؛ أي: يرتفع، وقوله: ﴿ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ أي: الذكر وتلاوة القرآن والدعاء وقوله: ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ﴾ كل عمل صالح من الأقوال والأفعال ترفع إلىٰ الله لأنها مما يحبها الله.

ففي الآية دليل صريح في صعود أقوال وأعمال العباد إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، يصعد بهذه الأعمال البررة الكرام الكاتبون كل يوم عقب صلاة العصر، وعقب صلاة الفجر، كما في صحيح البخاري، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعونَ فِي صَلَاةِ الْعَصْرِ وَصَلَاةِ الفَجْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُم، فَيَسْأَلُهُم رَبُّهُم، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِم، كَيْفَ تَرَكْتُم عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُم وَهُم يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُم وَهُم يُصلُّونَ**»(١).

كذلك ما جاء في الآية الثالثة في قوله سبحانه حكاية عن فرعون: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝٣٦ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى

---

(١) «صحيح البخاري» (٧٤٨٦)، «صحيح مسلم» (٦٣٢).

لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ﴾ [غافر: ٣٦ - ٣٧]، في الآية دليل علىٰ أن موسىٰ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أخبر فرعون الطاغية بأن إلهه في السماء، فأراد فرعون أن يلتمس الأسباب للوصول إليه تمويهًا علىٰ قومه، فأمر وزيره هامان أن يبني له الصرح أي: قصرًا منيفًا عاليًا، ثم عقب علىٰ ذلك بقوله: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ﴾ أي: موسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ﴿كَٰذِبٗا﴾: فيما أخبر من كون إلهه في السماء فأبطل علو الله.

وهكذا حال الذين عطلوا علو الله ولم يقروا به هم أشبه بفرعون المكذب لموسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في كون إلهه في السماء.

وفي الآية الأخيرة: ﴿ءَأَمِنتُم﴾ أي: من الخوف، ﴿مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: هل أمنتم عقاب الله فعصيتموه، فالحرف (في) هنا بمعنىٰ: علىٰ، بمعنىٰ هل تأمنون أن يخسف الله بكم كما خسف بقارون فيجعل الأرض تمور بكم أي: تضطرب وتتحرك، ﴿أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ﴾ أي: ريح شديدة ترمي عليكم الحصباء، إلىٰ أن قال: ﴿فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ١٧﴾ أي: إذا رأيتم ذلك علمتم كيف إنذار الله وصدقه في ذلك يوم لا ينفعكم العلم، ففي الآية التحذير من الأمن من مكر الله، وفيها دلالة واضحة علىٰ علو الله سبحانه علىٰ خلقه.

وأدلة أهل السنة في علو الله الذاتي في آيات كثيرة، منها ما ورد بلفظ العلو كقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٤﴾ [الشورىٰ: ٤]، وقوله: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١﴾ [الأعلىٰ: ١]، وتارة يأتي بلفظ الفوقية كقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٨]، وقوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ۩ ٥٠﴾ [النحل: ٥٠]، وثبت علو الله بذكر نزول الأشياء من الله كقوله تعالىٰ: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ [السجدة: ٥]، وقوله: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ [الحجر: ٩]، كما ثبت علو الله بذكر صعود الأشياء إليه، كقوله تعالىٰ: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ

﴿ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، وكقوله: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾ [المعارج: ٤]، وكذلك ثبت علو الله بذكر أنه في السماء في بعض الآيات، كقوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦﴾ [الملك: ١٦]، أي: تضطرب. ﴿أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا﴾ [الملك: ١٧]، أي: عذابًا من فوقكم كما نزل بقوم لوط وأصحاب الفيل، وهنا نقول: إن الحرف (في) ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ للظرفية، وإنما يراد بالسماء هنا العلو، وهذا يأتي في القرآن كثيرًا كقوله تعالىٰ: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد: ١٧]، وقوله: ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [البقرة: ١٦٤]، فيكون بهذا معنىٰ: من في السماء، أي: في العلو.

كذلك إثبات علو الله الذاتي علىٰ خلقه جاءت به أدلة أخرىٰ غير الواردة في القرآن:

ففي السنة من ذلك ما جاء في صحيح مسلم من حديث حذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنهُ في صفة الصلاة، فجاء ذكر العلو والفوقية في قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «**سُبحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَىٰ**»[1]، وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنهُ، قال: «**أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ**»[2]، وفي حجة الوداع خطب عَلَيهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ وقال: «**أَلَا هَل بَلَّغْت؟**، قالوا: نعم. **أَلَا هَلْ بَلَّغْت؟**، قالوا: نَعَم، وكان يقول: **اللَّهُمَّ اشْهَد** يُشير إلىٰ السماء بأصبعه وينكتها إلىٰ الناس»[3]، وفي صحيح مسلم من حديث معاوية بن الحكم رَضِيَٱللَّهُعَنهُ: «أَنَّه أَتَىٰ بِجَارِيَة يُرِيدُ أَن يَعْتِقَهَا، فقال لها رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: **أَيْنَ الله؟** قالت: فِي السَّمَاء، فَقَالَ: **مَنْ أَنَا؟** قَالَت: رسولُ الله،

---

(١) صحيح: أخرجه النسائي (١٠٦٨)، وأبو داود (٨٧٤)، انظر: «الإرواء» (٣٣٣).

(٢) «صحيح البخاري» (٤٣٥١)، «صحيح مسلم» (١٠٦٤).

(٣) «صحيح مسلم» (١٢١٨).

قال: **اعْتِقْهَا؛ فَإِنَّهَا مُؤْمِنَة**»[(١)]، فهذه جارية يغلب عليها الجهل، تعلم أن ربها في السماء، وضُلال بني آدم من أهل البدع مع ادعائهم العلم والتقدم الفكري كما زعموا، ينكرون أن الله في السماء، ويقولون: أما أن الله لا فوق العالم ولا تحته ولا يمين ولا شمال، ويقولون: هو في كل مكان، قبح الله أهل البدع والضلال، وقد أجمع السلف من عهد رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إلىٰ يومنا هذا علىٰ أن الله تعالىٰ بذاته في السماء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، واستدلوا بما مضىٰ معنا من الأدلة النقلية في القرآن والسنة، كما استدلوا بالأدلة العقلية التي لا شك فيها عند كل ذي عقل سليم بأنه لا شك أن الله عَزَّوَجَلَّ إما أن يكون في العلو أو في السفل، وكونه في السفل مستحيل؛ لأنه نقص يستلزم أن يكون فوقه شيء من مخلوقاته، فلا يكون له العلو التام، فإذا كان السفل مستحيلًا؛ كان العلو واجبًا، وصفة العلو صفة كمال باتفاق العقلاء، ولذا وجب أن تكون ثابتة لله تعالىٰ؛ لأن الله له صفات الكمال المطلقة.

كما أن السلف استدلوا علىٰ علو الله بالفطرة السليمة، فإنه ما من أحد من البشر يرفع يديه -بل حتىٰ من المخلوقات العجماء- ما من أحد من هؤلاء يجأر إلىٰ الله بالدعاء وطلب الحاجة أو الاستغاثة وطلب السقيا إلا وجد من نفسه ضرورة بأن يرفع يديه إلىٰ السماء، وفي الأثر المشهور يروىٰ أن سليمان بن داود عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ، خرج يستسقي ذات يوم بالناس، فلما خرج رأىٰ نملة مستلقية علىٰ ظهرها، رافعة قوائمها نحو السماء، تقول: «**اللَّهُمَّ إِنَّا خلقٌ مِنْ خَلْقِكَ، لَيْسَ بِنَا غِنىٰ عَنْ سُقْيَاكَ، فَقَالَ** عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: **ارْجِعُوا؛ فَقَدْ سُقِيتُم بِدَعْوَةِ غَيْرِكُم**»[(٢)]، وهذا إلهام فطري.

ومن أقوال أهل الضلال المبتدعة الذين ينكرون علو الله الذاتي أنهم يقولون: إن

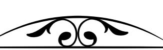
---

(١) صحيح: «سنن أبي داود» (٣٢٨٤).

(٢) صححه الحاكم ووافقه الذهبي وضعفه الألباني في «الإرواء» (٦٧٠).

العلو لله يستلزم أن يكون محدودًا وجسمًا، فرد عليهم السلف بردود كثيرة منها: إن كان الله أثبت لنفسه العلو ورسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أثبت لله العلو، وكذلك السلف الصالح من الصحابة ومن تبعهم، والقرون المفضلة وكل ذي عقل سليم وفطرة صحيحة أثبتوا لله علو الذات، فنقول أنه لا يلزمنا كلامكم الخالي من أدلة النقل والعقل والفطرة، ويقال لهم: إن كلام الله ورسوله حق، إذ إن الله تعالىٰ يعلم ما يلزم من كلامه، فلو كانت نصوص العلو تستلزم معنىٰ فاسدًا؛ لبينه الله ولكنها لا تستلزم معنىٰ فاسدًا فوجب القول بها والمصير إليها واعتقادها والجزم بذلك.





## ٢٠- إثبات معية الله لخلقه

ثم أورد شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ آيات أخر تتضمن أسماء وأفعال وصفات لله تعالىٰ، فقال: «وَفِي قَوْلِهِ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد: ٤]، وَقَوْلِهِ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة: ٧]، وَقَوْلِهِ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ﴾ [التوبة: ٤٠]، وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه: ٤٦]، وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٨]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال: ٤٦]، وَقَوْلِهِ: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ [البقرة: ٢٤٩]».

هذه سبع آيات من كتاب الله تضمنت ذكر صفة المعية لله مع خلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وقد جاء ذكر المعية هنا بعد ذكر العلو، وفي هذا دليل علىٰ أنه لا تعارض بين الوصفين لله.

في الآية الأولىٰ تقدم معنا معنىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ﴾، ثم قال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ﴾ أي: إن الله معكم بعلمه رقيب عليكم يشهد علىٰ أعمالكم حيث كنتم، وأين كنتم في الجو أو في البر أو البحر أو تحت الأرض، جميع خلقه في علمه علىٰ السواء وتحت سمعه وبصره، يسمع

كلامهم ويرىٰ مكانهم ولا تخفىٰ عليه خافية من أحوالهم، وهذا هو موضع الشاهد في هذه الآية، ففيها إثبات المعية العامة الشاملة لله مع خلقه، وأكد ذلك في آخر الآية بقوله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٤﴾ فلا يخفىٰ عليه شيء سبحانه لكمال علمه واطلاعه، وهذه معية علم واطلاع وسمع وبصر وإحاطة، وليست معية ظرف واختلاط.

وقال في الآية الثانية: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾ أي: مسارة وتناجي في السر بينهم، ﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ﴾: ولما كان الله سبحانه ليس من جنس خلقه قال: هو رابعهم ولم يقل: ثالثهم، والعرب تقول: رابع أربعة وخامس خمسة إذا كان من جنسهم، أما إذا كان من غير جنسهم، قالوا: رابع ثلاثة وسادس خمسة ونحو ذلك، قال: ﴿وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ﴾؛ أي: لا أقل من هذا العدد ولا أكثر منه، قال: ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ﴾ وهذا محل الشاهد، أي: مطلع عليهم يسمع كلامهم ويعلم سرهم ونجواهم، قد أحاط بهم سبحانه.

ثم قال: ﴿أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ﴾ أي: في أي موضع وحال هم فيه، فالله معهم بعلمه وسمعه وبصره وإحاطته لا تخفىٰ عليه من حالهم خافية، ثم إن رسل الله حاضرون يكتبون ما يتناجىٰ العباد به، قال تعالىٰ: ﴿أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ ٨٠﴾ [الزخرف: ٨٠]، ثم أخبر سبحانه أنه ينبئهم بما عملوا يوم القيامة أي: يحاسبهم علىٰ ذلك، قال تعالىٰ: ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ٤٩﴾ [الكهف: ٤٩]، ثم ختم الآية بقوله: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٣١﴾ [البقرة: ٢٣١] أي: لا يخفىٰ عليه شيء سبحانه، قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «افتتح الآية بالعلم واختتمها بالعلم».

فالمستفاد من الآية إثبات معية الله لخلقه التي مقتضاها الإحاطة والعلم بجميع

أعمال العباد، قال أبو عمر بن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أجمع العلماء من الصحابة والتابعين ممن عُرِف عنهم التفسير أن آيات المعية تدل علىٰ علم الله، وهو مستوٍ علىٰ عرشه عالم بأحوال خلقه بكل مكان وما خالفهم في ذلك إلا من لا يحتج بقوله».

وفي الآية الثالثة قال تعالىٰ: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، هذه الآية كانت علىٰ زمن هجرة الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حين خرج ومعه أبو بكر الصديق في رحلة هجرتهم بأمر الله من مكة إلىٰ المدينة؛ فرارًا من قريش الذين خرجوا ليلحقوا بالرسول في طريق الهجرة، فحينما دنوا من الغار والرسول فيه وأبو بكر معه، خاف أبو بكر علىٰ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فجعل النبي يسكّنه ويثبته ويقول له: «**مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا**»(١).

﴿لَا تَحْزَنْ﴾؛ أي: دع الحزن، «يَا أبا بكر إنّ الله معنا» بنصره وحفظه وكلاءته، ومن كان الله معه فلا خوف عليه، وهذه معية خاصة بل هي خاصة الخاصة؛ لأنها مقيدة بالشخص، خلافًا للتي تأتي مقيدة بالوصف كما سيأتي معنا في الأدلة، فالآية فيها إثبات معية الله الخاصة بالمؤمنين التي مقتضاها التأييد والنصر والحفظ.

وفي الآية الرابعة قال تعالىٰ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾ [طه: ٤٦]، وهذه في قول الله لموسىٰ وهارون ألا يخافا من فرعون؛ لأن الله معهما بالنصر والتأييد والمعونة علىٰ فرعون، فالله يسمع كلامهم ويرىٰ مكانهم لا يخفىٰ من أمر أوليائه ولا أعدائه شيء، في الآية أيضًا معية الله الخاصة بل خاصة الخاصة بأوليائه، ينصرهم ويؤيدهم وينجيهم من عدوهم، وفي الآية إثبات السمع والبصر لله وقد تقدم معنا الكلام في هذا فيما مضىٰ.

---

(١) «صحيح البخاري» (٣٦٥٣)، «صحيح مسلم» (٢٣٨١).

وفي الآية الخامسة قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾، فالله مع الذين استقاموا وتركوا المحرمات والمعاصي بكل أنواعها خوفًا من الله وطاعة له، ثم أحسنوا بفعل الطاعات والقيام بأمر الله مما أوجب واستحب عليهم، فهؤلاء هم أولياء الله لهم من الله المعية الخاصة بالنصر والتأييد والمعونة، وهذا محلّ الشاهد في الآية، وهذه المعية الخاصة المقيدة بالوصف كالتقوىٰ والصلاح، وهي دون الأولىٰ المقيدة بالأشخاص كالأنبياء كما سبق معنا، فتلك المعية لخاصة الخاصة.

وفي الآية السادسة قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾، في الآية أمر بالصبر وفيها دليل علىٰ وجوب الصبر بكل أنواعه:

**صبر علىٰ الطاعات** وهذه مما يقدر عليها العبد ولذلك كانت أعظم أنواع الصبر، فأمر العبد بالاستدامة علىٰ فعلها.

**وصبر عن المعاصي** وهي أيضًا مما يقدر عليها العبد، فوجب عليه الصبر بالاستدامة علىٰ توقي المعاصي واجتنابها.

**وصبر علىٰ أقدار الله** التي لا بد من وقوعها، فعليك يا عبد الله بصبر الكرام حتىٰ تلقىٰ الله العزيز السلام، وقد كان رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قدوة في الصبر والشكر، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا**»[1]، في الآية الشاهد من إيرادها معية الله الخاصة وهي معيته مع الصابرين من عباده، يمدهم بالمدد العظيم ويثبتهم علىٰ الصبر لقاء مرضاته تعالىٰ.

وفي الآية السابعة، قال تعالىٰ: ﴿كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ

---

(١) «صحيح البخاري» (٤٨٣٦)، «صحيح مسلم» (٢٨١٩).

﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾، **(كم)** هنا تفيد التكثير، و**(فئة)** أي: جماعات كثيرة مؤمنة صابرة علىٰ إيمانها، أمدها الله بعونه وقضىٰ بمشيئته لهم أن يغلبوا في جهادهم الأعداء وينتصروا علىٰ عدوهم الذي عدد جنده أضعاف تلك الفئة كثرة وقوة، لكن النصر والغلبة كانت لأهل الإيمان والصبر علىٰ أعدائهم؛ لأن الله مع أوليائه بالتأييد والنصر والعون والمدد بالصبر والغلبة، وخير مثال لهذه الفئة المنصورة بتأييد الله، أصحاب طالوت الذين غلبوا عدوهم وكان أعداؤهم كثيرين، وأيضًا أصحاب محمد صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يوم بدر غلبوا قريشًا مع كثرة عدد الأعداء في تلك الغزوة، ولكن الله غالب علىٰ أمره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

**وخلاصة القول** في هذه الآيات وما كان في معناها أن فيها إثبات المعية لله عَزَّوَجَلَّ لخلقه، وأن هذه المعية تنقسم إلىٰ قسمين:

**الأول:** معيه عامة: وهي المعية التي دلت عليها الآيات الأولىٰ وما في معناها والتي لم يخص الله عَزَّوَجَلَّ بها طائفة دون طائفة، فالله عَزَّوَجَلَّ مع كل أحد من خلقه بهذه المعية العامة، وهذه المعية فسرها السلف من الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام من بعدهم وأجمعوا عليها كما نقل ذلك ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره، وهي أنها: معية العلم، والإحاطة، والاطلاع، والبصر، والسمع، ونحو ذلك.

وأظهر أدلتها من القرآن قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾، وهذه المعية تقتضي الإحاطة، لقوله تعالىٰ: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ﴾ [النساء: ١٠٨]، فالله معهم بعلمه وسمعه وبصره، يسمع ما يقولون ويبصر أفعالهم، قال تعالىٰ: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف: ٨٠]، والسلف فسروا هذه المعية بالعلم؛ لأجل ما قام بالاضطرار من أن الله ليس مع خلقه

بذاته، فهو عَزَّوَجَلَّ ليس حالًّا في كل مكان، وليس بذاته مع الخلق في كل مكان، وإنما هو مستوٍ علىٰ عرشه، بائن من خلقه موصوف بعلو الذات، فهذه معية لا تنافي الاستواء علىٰ العرش ولا تنافي علو الذات، وكل هذه المعاني جاءت في كتاب الله، فينبغي فهمها بما دل عليه كل نص عن نص آخر، ولا نضرب بعض القرآن ببعض، ولا السنة بالسنة، ولا السنة بالقرآن، ولا القرآن بالسنة، بل كلها أتت من عند الله عَزَّوَجَلَّ بعضها يصدق بعضًا ويدل علىٰ بعض، لهذا نقول: إن معية الله المعية العامة لجميع خلقه تفسر بمعية العلم والإحاطة والقرب، فالله قريب من عباده فهو الباطن وليس دونه شيء.

الثاني: المعية الخاصة: وهي التي جاءت في قوله تعالىٰ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ [التوبة: ٤٠]، وما كان في معناها، فهذه معية تفسر بالنصر والتأييد والتوفيق، وكذلك بالكلاءة والرعاية والعناية، كل هذا لمن خصهم الله من رسله وأوليائه وصالحي عباده، وكل هذا دلت عليه الآيات آنفة الذكر، مع العلم بأن هذه المعية الخاصة عند أهل السنة والجماعة تتفاضل كل ذلك بقدر حفظهم لحدود الله، كما أن هذه المعية الخاصة هي من جنس محبة الله ومودته لمن أحب من عباده، ولذلك فإن باب الولاية وكرامات الأولياء هي من فروع الإيمان بالمعية الخاصة، فالله يحب أولياءه وهم يحبونه، وفي الحديث القدسي يقول الله تعالىٰ: «**وَمَا زَالَ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ**» أي: أوفقه وأسدده في سمعه، «**وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ**» أي: أوفقه في بصره، «**وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا**»(١) أي: كنت معه، فإذا بطش فلا يبطش إلا ما يحب الله ويرضىٰ.

---

(١) «صحيح البخاري» (٦٥٠٢).

هذا خلاصة ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة في صفة المعيه لله مع خلقه، أما أهل البدع في هذه المسألة تخبطوا وقالوا: إن معية الله التي دلت عليها هذه النصوص هي معية ذات بحلول الله عَزَّوَجَلَّ في كل مكان، فعندهم أن الله في كل مكان، وليس فوق العرش رب، وليس الله بعال علىٰ خلقه بذاته، بل هو حال في كل مكان وهذا هو مذهب الحلولية، وهذا هو اعتقاد أهل البدع من الأشاعرة وغيرهم، وسبب مذهبهم هذا أنهم فهموا من قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، أن الله مختلط بالخلق وقالوا: إن (مع) معناها معية الذات، وبهذا القول الباطل أبطلوا الاستواء كما أبطلوا علو الذات، فرد عليهم أهل السنة والجماعة فأبطلوا هذه القاعدة المبتدعة بل هي تخالف كذلك المعنىٰ اللغوي في لغة العرب، فإن (مع) في لغة العرب تأتي بمعاني كثيرة، منها: أنها تدل علىٰ المخالطة في موضع، وتدل علىٰ المصاحبة في موضع آخر، وموضع ثالث لا تقتضي المخالطة ولا المصاحبة، ونضرب مثالًا لهذا، فبالمثال يتبين المقال:

**الأول:** مثال المخالطة قول القائل: «اسقنِ لبنًا مع العسل» ف «مع» هنا تدل علىٰ المخالطة.

**والثاني:** مثال المصاحبة قول القائل: ذهبت مع أبي إلىٰ المسجد وهذه تدل علىٰ المصاحبة.

**والثالث:** مثال للمعية التي لا تقتضي الاختلاط ولا المصاحبة في المكان، قول القائل: سهرنا البارحة والقمر معنا، ويقال: فلان لا زال مع زوجته أي: لا زالت في عقد الزوجية.

ثم يُرد علىٰ أهل البدع بأن قولهم بالوجود في كل مكان وأن الله معهم في كل مكان: يلزم منه أنهم إذا دخلوا الكنف كان الله معهم! وهذا من أعظم التنقّص لذات

الله تعالىٰ، تعالىٰ الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا، كما يلزم من قولهم أيضًا أن الله متجزئ، كل جزء منه في مكان.

والصحيح أن هذا قول أصحاب وحدة الوجود الضلال، **ومقتضىٰ هذا القول عند علماء أهل السنة والجماعة أنه كفر**، يستتاب قائله ويبين له الحق من كلام السلف فإن رجع وإلا وجب علىٰ ولي الأمر قتله.

وأخيرًا نقول: إن من معتقد أهل السنة والجماعة أنه لا منافاة ولا تناقض بين معية الله لخلقه وبين علوه سبحانه واستوائه علىٰ عرشه؛ لأن الله جمع بين الاستواء والمعية فيما وصف به نفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كما ورد معنا في آية سورة الحديد آنفًا، ولذلك سيرِد معنا بإذن الله في فصل الأدلة من السنة كلامًا نفيسًا يقرره شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أنه لا منافاة بين العلو والمعية؛ لأن الله ليس كمثله شيء في جميع صفاته؛ فهو عليٌّ في دنوّه، قريبٌ في علوّه، وقد ضرب شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ لذلك مثلًا بالقمر؛ قال: «إنه يقال: ما زلنا نسير والقمر معنا، وهو عال في السماء، وهو من أصغر المخلوقات، فكيف لا يكون الخالق مع الخلق، الذي الخلق بالنسبة إليه ليسوا بشيء وهو فوق سماواته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ».



## ٢١- إثبات الكلام لله تعالى

«وَقَوْله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ۝٨٧﴾ [النساء: ٨٧]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ۝١٢٢﴾ [النساء: ١٢٢]، وَقَوْله: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١١٠]، وَقَوْله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]، وَقَوْله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ۝١٦٤﴾ [النساء: ١٦٤]، وَقَوْله: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وَقَوْله: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وَقَوْله: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ۝٥٢﴾ [مريم: ٥٢]، وَقَوْله: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠﴾ [الشعراء: ١٠]، وَقَوْله: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف: ٢٢]، وَقَوْله؛ ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦٥﴾ [القصص: ٦٥]».

هنا شرع شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ بذكر الآيات التي تتضمن إثبات صفة الكلام لله تعالىٰ، فالله تعالىٰ موصوف بأنه يتكلم كلامًا حقيقيًّا بصوت وحرف، يتكلم كيف شاء متىٰ شاء بما شاء، هذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة، وقولنا بحرف وصوت ذكر الصوت هنا للتأكيد، وإلا فالكلام لا بد فيه من الصوت، ولكن في ذكر الصوت رد علىٰ المعتزلة والأشاعرة وأهل البدع ممن قالوا إن كلام الله قائم بالنفس، والآيات تدل علىٰ صحة عقيدة أهل السنة بأن الله يتكلم كلامًا حقيقيًّا بحرف وصوت بما شاء ومتىٰ شاء وكيف شاء والآيات فيها تفصيل ذلك.

قال تعالىٰ في الآية الأولىٰ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ۝٨٧﴾: في هذه الآية إثبات كلام الله من وجهين:

**الأول:** قوله: أصدق، والكلام هو الذي يوصف بالصدق أو الكذب.

**الثاني:** التصريح بالحديث، والحديث هو الكلام، نقول: حَدَّث فلانًا أي: كلمه.

قال: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ۝٨٧﴾، فالله يمدح نفسه بأنه لا أحد أصدق منه كلامًا جَلَّ وَعَلَا، والعبارة في الآية جاءت بصيغة الاستفهام: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ۝٨٧﴾، وهذا يقال له استفهام بمعنىٰ النفي، ومعناه: لا أصدق من الله حديثًا، ويقول العلماء: إذا جاء الاستفهام بصيغة النفي كان أقوىٰ من النفي المجرد؛ لأنه مشرب بمعنىٰ التحدي، أي بمعنىٰ: من زعم أن هناك من هو أصدق حديثًا من الله فليأت به.

ثم ذكر في الآية الثانية قوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ۝١٢٢﴾، وهذه الآية معناها كالتي قبلها، و**القيل** هو: القول والكلام، ففي الآيتين يمدح الله نفسه بأنه يتكلم ولا أحد أصدق كلامًا من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

في الآية الثالثة قال تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١١٠]، وهذه الآية فيها دلالة علىٰ أن الله خاطب وكلّم عيسىٰ بكلام مسموع سبقه حرف نداء فقال: ﴿يَٰعِيسَىٰ﴾: فسمعه عيسىٰ، إذًا فكلام الله مسموع، ولو لم يكن كلام الله مسموعًا لما كان هناك فائدة في كلامه عَزَّوَجَلَّ.

في الآية الرابعة قال تعالىٰ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾، في هذه الآية إثبات الكلام لله بقوله: ﴿كَلِمَتُ﴾، وفي القراءة الأخرىٰ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَات﴾، والقراءتان بمعنىٰ واحد؛ لأن القراءة الأولىٰ فيها مفرد مضاف وهذا يعم أي: بمعنىٰ كلمات.

ومعنىٰ الآية: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾، صدقًا في الأخبار، وعدلًا في الأحكام.

في الآية الخامسة قال تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾، هذه الآية فيها تأكيد الكلام بالمصدر: ﴿تَكۡلِيمٗا﴾، وإذا جاء المصدر في الكلام وأكد الفعل بالمصدر فإنه ينفي المجاز، ففي هذه الآية تحقيق الكلام لله، وأنه سبحانه يتكلم بصوت وحرف بما شاء ومتىٰ شاء وكيف شاء، ومن أهل البدع من حرف هذه الآية، فنصب لفظ الجلالة فجعله مفعولًا ورفع اسم موسىٰ ليكون فاعلًا، فيكون الكلام من موسىٰ إلىٰ الله، ولا شك أن هذا تحريف لكلام الله وهو القرآن، ولكن الآية التي بعدها أظهرت هذا التحريف الباطل، فقال تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وهذه آية صريحة لا مجال لأهل البدع في تحريفها، ثم هذا التحريف مردود؛ لأن القرآن ثابت بالتلقي من رسول الله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بألفاظه وحروفه وحركاته، فلا يمكن لأحد تحريفه أو تبديل حركة فيه بحركة إلا بسند عن النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهذا التحريف لا أصل له عند القرّاء والحفّاظ، ولكن هذه حيلة أهل البدع وإملاء الشياطين لهم، وهذا يدل علىٰ قلة العلم والعقل والدين عند المبتدعة الضلال.

ومن عقيدة أهل السنة إثبات صفة الكلام لله، وهذه صفة كمال لله تعالىٰ، بل هي من أعظم صفات الكمال بأن الله يوصف بأنه يتكلم، وكلامه بصوت وحرف، **فما هو دليل الصوت؟**

نقول: يأتي الدليل في الآية الثامنة معنا في قول الله تعالىٰ: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ٥٢﴾ [مريم: ٥٢]، ففي الآية دليل علىٰ إثبات الكلام وفيها إثبات النداء، قال: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ﴾، والنداء لا يكون إلا بصوت؛ لأن النداء يكون من بعيد، والمناجاة تكون من قريب، والكلام أصلًا لا يكون إلا بصوت لكن جاء التأكيد بقوله: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ﴾ بما يدل علىٰ الصوت صريحًا.

أيضًا ما ورد في السنة، ففي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**يَقُولُ اللهُ: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَخْرِجِ بَعْثَ النَّارِ...**»(١)، في الحديث التصريح بذكر الصوت، وفي هذا رد صريح وواضح من رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ علىٰ قول الأشاعرة المحرفة الذين يقولون: إن الكلام هو المعنىٰ القائم في النفس، كذلك جاء في الآيتين: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠﴾ [الشعراء: ١٠]، وقوله: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف: ٢٢]، فالله نادىٰ موسىٰ بالمجيء إلىٰ فرعون وقومه، كما نادىٰ الله آدم وحواء حين كلمهما ونهاهما عن الأكل من الشجرة، وهذا كما ذكرنا فيه إثبات الكلام والصوت كما تقرر ذلك عند أهل السنة والجماعة.

وفي الآية الأخيرة في قوله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦٥﴾ أي: ينادي الله الكفرة الذين كفروا برسل الله يناديهم الله، وفيه توبيخ لهم علىٰ كفرهم وعدم قبول ما جاء به عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وفي الآية أيضًا إثبات النداء لله تعالىٰ وهو بصوت وحرف.

ثم انتقل شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بعد أن ذكر الأدلة من القرآن أن من صفات الله الكلام وأنه يتكلّم، انتقل إلىٰ ذكر آيات أُخر في كتاب الله تعالىٰ تثبت أن القرآن الكريم المنزل علىٰ محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بواسطة جبريل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هو كلام الله تعالىٰ وصفة من صفاته وأن القرآن ليس بمخلوق كما يزعم أهل البدع والضلال فقال:

---

(١) «صحيح البخاري» (٦٥٣٠)، مسلم (٢٢٢).

«**وقوله**: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، **وَقَوْله**: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [البقرة: ٧٥]، **وَقَوْله**: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ﴾ [الفتح: ١٥]، **وَقَوْله**: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ﴾ [الكهف: ٢٧]، **وَقَوْله**: ﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [النمل: ٧٦]».

في هذه الآيات الأدلة علىٰ اعتقاد أهل السنة والجماعة في القرآن: بأنه كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، ودليل أن القرآن كلام الله في الآية الأولىٰ في قوله: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾، ودليل أن القرآن منزل من الله، قول الله تعالىٰ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾﴾ [القدر: ١]، ودليل أن القرآن غير مخلوق قول الله تعالىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فجعل الخلق شيئًا، والأمر شيئًا آخر؛ لأن العطف في الآية يقتضي المغايرة، والقرآن من الأمر، أي: من أوامر الله لعباده لهدايتهم، قال تعالىٰ: ﴿وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ﴾ [الشورىٰ: ٥٢]، ولو كان القرآن مخلوقًا ما صح التقسيم بين الخلق والأمر، فالأمر قسيم الخلق، أي: عندنا خلق بمعنىٰ أمور مخلوقة، وعندنا أوامر من الله إلىٰ عباده يكلمهم ويأمرهم بها، فالأمر صفة لله[(١)] وهي كلام من الله، والكلام صفة للمتكلم، وكلام الله كما مر معنا من صفات الله الذاتية الخبرية وليس بمخلوق.

وقولنا: «منه بدأ»؛ أي: إن الله هو الذي ابتدأ فتكلم به أولًا، ولذلك هنا ننسب

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٦/ ١٧).

القرآن إلىٰ قائله أولًا وهو الله، قال تعالىٰ: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾، ثم إن جبريل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ سمع ذلك الكلام وهو القرآن من الله فنزل به إلىٰ مُحمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولذلك يُنسب القرآن تارة إلىٰ جبريل المرسل به إلىٰ النبي مُحمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فيقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠﴾ [التكوير: ١٩ – ٢٠].

ثم إن مُحمدًا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ المنزل عليه القرآن ليبلغه إلىٰ العالمين سمعه من جبريل بلاغًا من الله، لا ابتداءً من جبريل ولا ابتداءً من مُحمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وإنما الابتداء كان من الله تعالىٰ فينسب القرآن في آيات الله أحيانًا إليه لأنه يبلغه للعالمين، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ۝٤١﴾ [الحاقة: ٤٠ – ٤١].

ودليل قولنا: «وإليه يعود»: فهو أن القرآن يُسرىٰ إليه في ليلة، فيصبح الناس بين أيديهم لا قرءان يتلىٰ، ولا في صدورهم محفوظ ولا في مصاحفهم مزبور، فالله يرفعه إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وفي هذا جاء دليل من السنة الصحيحة عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ [(١)].

أما أهل الضلال ومنهم المعتزلة فيقولون: إن القرآن مخلوق، ويستدلون لذلك بأقوال منها، قول الله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ۝٦٢﴾ [الزمر: ٦٢]، فيقولون: إن القرآن شيء، وداخل في عموم قوله: ﴿كُلِّ شَىْءٍ﴾، ثم يقولون: إنه ما ثَمَّ إلا خالق ومخلوق فقط فالله هو الخالق، وما سواه مخلوق، والرد عليهم من وجوه:

---

(١) عن حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «... **ويُسرَّىٰ علىٰ كتاب الله في ليلة فلا يبقىٰ في الأرض منهُ آية**» «صحيح ابن ماجه» (٤٠٤٩).

**الوجه الأول:** أن القرآن كلام الله تكلم به سبحانه بحرف وصوت، والله يتكلم متىٰ شاء وبما شاء وكيف شاء، إذا علمنا ذلك وآمنا بذلك عقيدة وديانة بما عرفنا من الأدلة من الكتاب والسنة وبفهم السلف الصالح إجماعًا، عرفنا أن الكلام صفة من صفات الله تعالىٰ وصفات الله الخالق غير مخلوقة، ولا ينكر ذلك إلا مجادل معاند قليل علم وعقل.

**الوجه الثاني:** أن هذه الآية من المتشابهات والتي يتتبعها أهل الضلال، قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ﴾ [آل عمران: ٧]، فهذه طريقة أهل البدع.

ثم نقول: إن التعبير بعبارة: ﴿كُلِّ شَيۡءٖ﴾ لمن عرف كلام العرب، والقرآن لسان عربي مبين، يعلم أن هذه العبارة تأتي علىٰ معاني وأوجه كثيرة، وليست علىٰ وجه واحد علىٰ الإطلاق، من ذلك أنها تأتي ويراد بها معنىٰ خاص مثل قول الله تعالىٰ عن الريح التي دمرت قوم عاد: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ﴾ [الأحقاف: ٢٥]، فهذه الريح هل دمرت جميع ما علىٰ الأرض؟ هل دمرت البحار والأشجار والجبال؟ هل دمرت السماوات؟ لا؛ مع أنه في الآية لم يستثنَ إلا مساكنهم ومع ذلك لم تدمر كل شيء، إذًا نقول: إن ما في هذه الآية عام بمعنىٰ الخصوص، بمعنىٰ الريح أُمرت بتدمير كل شيء، وكل شيء هنا مقصود به شيء خاص وهو قوم عاد الكفرة فقط، ومثلها الآية الأخرىٰ في قوله تعالىٰ عن ملكة سبأ: ﴿وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [النمل: ٢٣]، ومعلوم أن هناك أشياء كثيرة لم تؤتها وإنما أوتيت من كل ما يؤتىٰ الملوك عادة، وأوتيت ما يتعلق بملكها فقط فلم تؤت ملك سليمان عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ولا غيره.

فتبين لنا في الآية التي احتجوا بها: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ﴾ [الزمر: ٦٢]، أن القرآن ليس من المخلوقات بل هو كلام الله، والكلام صفة للمتكلم فهو صفة لله تعالىٰ والصفات فرع عن الذات، ثم نقول لو تدبر القائلون بأن كلام الله مخلوق وساروا علىٰ هذه القاعدة لقالوا أيضًا أن يد الله مخلوقه ووجه الله مخلوق؛ لأن الوجه واليد من صفات الله تعالىٰ وهذا قول باطل، ولم يقل به أحد، كما ذُكر أن المبتدعة أوردوا حجة أخرىٰ وهي باطلة أيضًا، قالوا عن قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٣﴾ [الزخرف: ٣] لفظة: ﴿جَعَلۡنَٰهُ﴾ تدل علىٰ أن القرآن مخلوق؛ لأن الله يقول: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ﴾ [الأنعام: ١]، وهنا: ﴿وَجَعَلَ﴾ أي: خلق الظلمات والنور، فيُرد عليهم بأنها شبهة أخرىٰ بين بطلانها القرآن: ﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ﴾ [النحل: ٩١]، وهل أحد يقول أن: ﴿وَجَعَلَ﴾ في هذه الآية بمعنىٰ خلق؟ لا أحد يقول بهذا القول، إذًا هذا يدل علىٰ أن: ﴿وَجَعَلَ﴾ لا تكون دائمًا بمعنىٰ خلق، وقد ذكر صاحب «الطحاوية» ابن أبي العز هذا وقال: إن هذه مُغالطة لأن ﴿وَجَعَلَ﴾ أحيانًا تأتي لازمة وأحيانًا تأتي متعدية، فإذا جاءت لازمة فإنها تعني خلق، وإذا جاءت متعدية تنصب مفعولين فإنها تكون بمعنىٰ صير وليس بمعنىٰ خلق.

فصار معنىٰ الآية: جعلناه قرءانًا عربيًّا أي: صيرناه قرءانًا عربيًّا، وكذلك قوله: ﴿وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ﴾ أي: صيّرتم الله عليكم كفيلًا.

**وجه ثالث**: وهو إن قلنا: إن القرآن مخلوق، لزم من قولنا هذا لوازم كثيرة باطلة، منها:

أولًا: تكذيب القرآن، فالله تعالىٰ يقول لنبيه عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ﴾ [الشورىٰ: ٥٢].

ثانيًا: فلو قلنا: إن القرآن مخلوق، ما صح أن يكون موحىٰ، فالقرآن وحي من الله وكلام منزل إلىٰ مُحمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

ثالثًا: لو قلنا: إنه مخلوق فيلزم من ذلك إبطال الأمر والنهي والخبر والاستخبار؛ لأن هذه الأوامر والأخبار لا يتصور أنها مخلوقة مجسمة كالشمس والقمر والنجوم، ولو قلنا مخلوقة لكانت نقوشًا وأجسامًا فلا يُفهم منها أمر ولا نهي، وهذا لا ريب قول باطل مردود.

واللوازم علىٰ هذا القول الباطل كثيرة يجدها من تتبعها في كتب أهل العلم في كلامهم في باب الاعتقاد.

ونختم ببيان بطلان قول المبتدعة القائلين بأن القرآن الكريم مخلوق، وبأقوال لهم ينسبونها إلىٰ علماء أهل السنة والجماعة كذبًا وافتراء؛ حيث نسبوا إلىٰ بعضهم أنهم يقولون: «لفظي بالقرآن مخلوق، وإن المسطر في المصاحف مخلوق»، وكل هذه الألفاظ وغيرها كذب وافتراء وتلبيس، وردًّا علىٰ هذه الأباطيل ننقل هنا كلامًا نفيسًا لعالمين جليلين من علماء السلف، وهما الإمام البخاري محمد بن إسماعيل صاحب الصحيح وشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُمَا اللَّهُ، قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب: «خلق أفعال العباد» بعد ذكر قول الله تعالىٰ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝٢٢﴾ [البروج: ٢١ - ٢٢]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ ۝٣﴾ [الطور: ١ - ٣]، قال: «ذكر الله أن القرآن يحفظ ويسطر والقرآن المُوعَىٰ في القلوب المسطور في المصاحف المتلو بالألسنة كلام الله ليس بمخلوق، وأما المداد والورق والجلد فإنه مخلوق» انتهىٰ كلامه من «فتح الباري»، وقال الشيخ تقي الدين رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولم يقل أحد من السلف أنه مخلوق أو أنه قديم، بل الآثار متواترة عن السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان أنهم يقولون: القرآن كلام الله، وأول

من عرف عنه أنه يقول مخلوق **الجعد بن درهم**، وصاحبه **الجهم بن صفوان**، وأول من عرف عنه أنه قال هو قديم **عبد الله بن سعيد بن كلاب**، أما السلف فلم يقل أحد منهم بواحدٍ من القولين، ولم يقل أحد من السلف أن القرآن عبارة عن كلام الله ولا حكاية له، ولا قال منهم أحد أن لفظي بالقرآن قديم أو مخلوق، بل كانوا يقولون بما دل عليه الكتاب والسنة من أن هذا القرآن كلام الله، والناس يقرؤونه بأصواتهم ويكتبونه بمدادهم وما بين اللوحين كلام الله وكلام الله غير مخلوق، والمداد الذي كُتب به القرآن مخلوق، والصوت الذي يقرأ به هو صوت العبد، والعبد وصوته وحركاته وسائر صفاته مخلوق، فالقرآن الذي يقرأه المسلمون كلام الباري والصوت صوت القارئ» اهـ.



## ٢٢- إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة

• ثم قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ مستطردًا في ذكر آيات أخرىٰ متضمنة بعض أسماء الله وصفاته فقال:

«**وَقَوْله**: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢ – ٢٣]، **وَقَوْله**: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المطففين: ٢٣]، **وَقَوْله**: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، **وَقَوْله**: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق: ٣٥]».

في هذه الآيات إثبات الرؤية لله تعالىٰ، وهي رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، ففي قوله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾؛ أي: في اليوم الآخر، قال: ﴿نَّاضِرَةٌ﴾: من النضارة وهي: الحُسن، قال في موضع آخر: ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾﴾ [الإنسان: ١١]، أي: حُسنًا في الوجوه وسرورًا وفرحًا في القلوب، إلىٰ أن قال: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ من النظر، فعُدي النظر **بإلىٰ** الدالة علىٰ الغاية، وهذا النظر بالعين والبصر، وقوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا﴾ فهذه الوجوه تنظر إلىٰ ربها بعد أن ازدانت بالنضارة والحُسن حين نظرت إلىٰ ربها، فزادت حسنًا إلىٰ حسن، هذه عقيدة أهل السنة في صريح ما تضمنت هذه الآية، أما أهل البدع فيحرفون معنىٰ هذه الآية لينفوا حقيقة النظر إلىٰ الله، فيقولون: ناظرة أي: منتظرة للثواب من الله، وهذا مردود من وجوه:

**منها** أن النظر إذا نسب إلىٰ الوجوه فالمقصود به النظر الحسي وهو النظر بالبصر.

**ومنها** أن النظر إذا عُدي **بإلىٰ** فهو النظر الحسي، أما إذا لم يعدَّ فهو بمعنىٰ الانتظار مثل قوله تعالىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠]، فينظرون هنا بمعنىٰ: ينتظرون؛ لأنه لم يعدىٰ **بإلىٰ**، فالآية صريحة أن النظر المقصود هنا في الآية هو النظر الحسي بالعين.

وفي الآية الثانية في قوله: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ فذكر حال أهل الإيمان وهم علىٰ الأرائك وهي جمع أريكة، وهي: السرير الجميل المغطىٰ بالحجال بما يجمله، وحالهم أنهم ينظرون وهذا عام يشمل النظر إلىٰ وجه الله وغيره مما أُعد لهم في يوم القيامة، وهذا الوصف في الآية مقابل لما وصف به أولئك الفجار في قوله: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥]، فذكر تنعم أهل الإيمان بالنظر إلىٰ وجه الباري سبحانه يوم القيامة يتنعمون بذلك، وذكر حال الكفرة وهم يحجبون عن رؤية الله ذلك اليوم، ومفهوم هذه الآية: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ يدل بدلالة المفهوم أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة وأنهم غير محجوبين.

وفي الآية الثالثة في قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، فيها ذكر أهل الإيمان والإحسان في أعمالهم، هؤلاء لهم الحسنىٰ أي: الجنة قال: ﴿وَزِيَادَةٌ﴾: وهي النظر إلىٰ وجه الله كما فسر هذه الآية رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ،، ففي صحيح مسلم من حديث صهيب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ: يَقُولُ اللهُ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: **تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُم فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّينَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكشفُ الحِجَاب فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِم مِنَ النَّظَرِ إِلَىٰ رَبِّهِم** عَزَّوَجَلَّ» وفي رواية: «ثم تَلا هذهِ الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾»(١).

وفي الآية الرابعة في قوله: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾، ﴿لَهُم﴾ أي:

---

(١) «صحيح مسلم» (١٨١).

لأهل الإيمان في الجنة ما يشاؤون فيها من النعيم كما جاء من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، أنه قال: «**قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ**. قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٌ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ﴾ [السجدة: ١٧]»(١)، إلىٰ أن قال في الآية: ﴿وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ٣٥﴾ والمزيد هنا هو كل ما يعطىٰ أهل الجنة مزيدًا، من كل أنواع النعيم، ومن ذلك النظر إلىٰ وجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كما جاء ذلك عن جمع من الصحابة منهم علي بن أبي طالب وأنس وغيرهما. رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

ومن الأدلة في السنة علىٰ رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، ما ثبت في الصحيحين من حديث جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي لَيْلَةِ أَرْبعَ عَشرةَ مِنَ الشَّهْرِ، فَنَظرَ إِلَىٰ البَدْرِ، فَقَالَ: **أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُم كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْبَدْرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ**»(٢).

إذًا هذه الأدلة الشرعية من الآيات والسنة التي تتضمن إثبات رؤية المؤمنين لربهم في عرصات القيامة وفي الجنة، وأنهم سينظرون إلىٰ وجه الله في ذلك الوقت العظيم، وهذا النظر هو أعظم ما ينعمون به في ذلك اليوم، وهذا النظر هو منتهىٰ النعيم الذي سيناله أهل الإيمان في ذلك اليوم جعلنا الله منهم.

**وهنا سؤال: هل يَرىٰ المؤمنون ربهم يوم القيامة وقبل دخولهم الجنة؟**

الجواب: نعم؛ جاءت الآثار الصحيحة بذلك.

**وهل يرىٰ الكفار أيضًا الله في عرصات القيامة؟**

الجواب: اختلف أهل العلم في هذه المسألة علىٰ ثلاثة أقوال، وهو اختلاف

(١) «صحيح البخاري» (٤٧٧٩)، «صحيح مسلم» (٢٨٢٤).
(٢) «صحيح البخاري» (٥٧٣).

صائغ لتباين وتعدد الأدلة في ذلك:

**القول الأول:** أن المنافقين والكفار لا يرون الله مطلقًا يوم القيامة لا في أول الحساب ولا في آخره قبل دخولهم النار.

**القول الثاني:** أن الكفار والمنافقين يرونه في أول الحساب ثم يحجبون.

**القول الثالث:** أنه سبحانه يراه المنافقون مع المؤمنين دون الكفار، وقبل أن يضرب السور بين المؤمنين والمنافقين ثم يحجبون.

وأقرب الأقوال هو **القول الثاني** أن الكفار والمنافقين يرون الله في أول الأمر ثم يحجبون، وهذه الرؤية ليست رؤية نعيم ولكنها رؤية عذاب وحسرة يرونه غاضبًا عليهم، ثم يحجبون وتكون زيادة الحسرة بعد ذلك لأنهم بعد إن رأوا جلاله وجماله يكون الحجاب عليهم مزيد حسرة.

وهذا القول الأخير هو ما رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ مستدلًّا بما جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «قالوا: يَا رَسُولَ اللهِ؛ هَل نَرَىٰ رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامةِ؟ قال: **هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤيةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ، لَيْسَت فِي سَحَابةٍ؟** قَالوا: لَا، قَالَ: **فَهَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ؟** قَالُوا: لَا، قَالَ: **فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا**، قَالَ: **فَيَلْقَىٰ الْعَبْد فَيَقُول؛ أَي: فُلْ! أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالإِبلَ، وَأَذَرْكَ تَرأسُ وَتربعُ؟ فَيَقُول: بَلَىٰ، قَالَ فَيَقُول: أَفظَنَنتَ أَنَّكَ مُلَاقِيّ؟ فَيَقُول: لَا، فَيَقُول: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي**» هذا كافر، «**ثُمَّ يَلْقَىٰ الثَّانِي فَيَقُول؛ أَي: فُلْ ! أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الخَيْلَ وَالإِبلَ، وَأَذرْكَ تَرأسُ وَتربعُ؟ فَيَقُول: بَلَىٰ، أَي رَبِّ! فَيَقُول: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيّ؟ فَيَقُول: لَا، فَيَقُول: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي**» **وَهَذَا أَيْضًا كَافِر**، «**ثُمَّ يَلْقَىٰ الثَّالِثَ**» -قال العلماء: وهذا هو

المنافق كما ذكر في آخر الحديث- «فَيَقُول لَهُ مِثلَ ذَلِكَ. فَيَقُول: يَا رَبِّ؛ آمَنْتُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ وَبِرُسِلِكَ وَصَلَّيْتُ وَصُمْتُ وَتَصَدَّقْتُ، وَيُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ، فَيَقُول: هَا هُنَا إِذًا قَالَ ثُمَّ يُقَال لَهُ: الآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنا عَلَيْكَ، وَيَتَفَكَّر فِي نَفْسِه: مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيّ؟ فَيَختِمُ عَلَىٰ فِيهِ، وَيُقَال لِفَخِذِه وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ: انْطِقِي، فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ، وَذَلِكَ لِيعذِرَ مِن نَفْسِهِ، وَذَلِكَ المُنَافِقُ، وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللهُ عَلَيْهِ»[(١)].

قال الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ حَفِظَهُ اللهُ: «إذًا هذا ما أجمع عليه أهل السنة والجماعة من إثبات رؤية المؤمنين لربهم عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة في عرصاتها وفي الجنة، نسأل الله من فضله».

وننقل هنا كلامًا نفيسًا للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ فيما يتعلق بالقول عن رؤية الخلق لله في الدنيا، حيث ذكر من كلام أهل العلم «أن هذا ممتنع عند أهل السنة والجماعة؛ لأن الله حجابه النور وأجسام الخلق الدنيوية لا تطيق تلك الرؤية، فلا يمكن لأحد أن يقوىٰ بصره علىٰ رؤية الله في الدنيا، ولما سأل موسىٰ الكليم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ربه الرؤية، قال الله عَزَّوَجَلَّ له: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ يعني في الدنيا، قال تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، قال المفسرون من السلف: ما تجلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ للجبل إلا كقدر الخنصر، فجعل الجبل دكًّا، وخر موسىٰ صعقًا، وساخ الجبل، وذكروا ذلك بالأسانيد إلىٰ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فهذه عقيدة السلف استحالة رؤية الله في الدنيا، والنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ليلة أُسري به أيضًا لم يرَ الله

---

(١) «صحيح مسلم» (٢٩٦٨).

عَزَّوَجَلَّ، وإنما رأىٰ الحجاب، والله هو النور وحجابه النور، ولما سئل النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ فَقَال: **رَأَيْتُ نُورًا**»(١) وفي رواية أخرىٰ: «قَالَ: **نُورٌ أَنَّىٰ أَرَاهُ**»(٢) يعني ثَمَّ نورًا كيف أراه، وهذا النّور هو الحجاب الذي جاء في صحيح مسلم من حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «قام فينا رسولُ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ: **إِنَّ اللهَ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَرْفَعُ القِسْطَ وَيخْفِضُهُ، يُرفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيلِ بِالنَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ بِاللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَرُه مِن خَلْقِه**»(٣).

إذًا فبصر الله كما يقول أهل العلم ليس له نهاية، ومعنىٰ ذلك أنه لو كشفه لاحترق كل شيء، تعالىٰ الله وتقدس وتعاظم.

فإذًا الرؤية عند أهل السنة لا تكون في الدنيا ولا في البرزخ، وإنما هي يوم القيامة بقوة يجعلها الله عَزَّوَجَلَّ في أعين المؤمنين فيرونه، وهذه الرؤية رؤية من غير إحاطة؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ لا يحاط به، قال تعالىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٣]، يعني: لا تُحيط به الأبصار، وكيف يُحيط به البصر والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فكيف بمخلوق واحد علىٰ أرض الله عَزَّوَجَلَّ» اهـ بتصرف.

**وخلاصة الكلام** في مسألة رؤية الله: أن أهل السنة والجماعة يُثبتون رؤية المؤمنين لربهم وأنها رؤية حقيقية يوم القيامة، وسبق معنا ذكر أدلتهم وهي ظاهرة جلية، لا ينكرها إلا جاهل أو مكابر.

---

(١) «صحيح مسلم» (١٧٨).
(٢) «صحيح مسلم» (٢٦١).
(٣) «صحيح مسلم» (١٧٩).

وأما أهل البدع والطوائف من أهل التعطيل من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والصوفية وغيرهم فقد تباينت أقوالهم، نذكر منهم هذه الطوائف:

الطائفة الأولىٰ: تزعم أن الرؤية ممكنة في الدنيا والآخرة، وأبرز القائلين بهذا هم الصوفية ونحوهم، ويدعي كل واحد من أقطابهم بأنه رأىٰ الله في اليقظة، وهذا قول باطل، ومنهم من يدعي رؤية الله في المنام، وهذه مسألة فيها خلاف طويل ومحل نزاع، وادعىٰ ذلك من أهل البدع الذين انحرفت عقيدتهم في صفات الله، وتعظيم أقطابهم الذين بلغ بهم اعتقاد أنهم لهم القدرة في التصرف في الكون؛ وهذا شرك في الربوبية.

الطائفة الثانية: هم الخوارج والمعتزلة الذين ينكرون الرؤية كليًّا في الدنيا والآخرة ويتأولون قوله تعالىٰ: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٣]، بمعنىٰ منتظرة، وقد سبق معنا التفصيل في رد هذا القول.

وقالوا في معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، لا يصح فيها دليل، وحديثها من أحاديث الآحاد، وهم ينكرون أحاديث الآحاد في العقيدة، وهذا من جهلهم وقلة علمهم، كما أنهم يحتجون بإنكار الرؤية كليًّا بقول الله تعالىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ وقد رد عليهم أهل السنة بأن الإدراك في الآية بمعنىٰ: الإحاطة، وهذه لا تنفي حصول الرؤية يوم القيامة.

الطائفة الثالثة: هم الأشاعرة والماتريدية، ومن أدلتهم قول الله تعالىٰ لموسىٰ عندما طلب الرؤية قال تعالىٰ لموسىٰ: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ والرد عليهم من وجهين:

أولها: أن **لن** ليست للتأبيد إنما هي نفي للرؤية في الدنيا، يقول ابن مالك في الكافية:

**ومـــن رأىٰ النفـــي بلـــن مُؤبـــدا … فقولـــه اردده وســـواه فاعضـــدا**

الوجه الثاني: أن موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إنما طلب الرؤيا في الدنيا ولم يطلبها في الآخرة ونحن نقول: إن الرؤية في الدنيا مستحيلة.

ومن أدلة أهل البدع في إنكار الرؤية قولهم: إن الرؤية تستدعي الجسمية لله وتستدعي الجهة، وهذا محال في ذات الله، فالرد عليهم: أن هذا مبني علىٰ تمثيل صفات الله وتعطيلها، وأهل السنة ينفون ما نفىٰ الله عن نفسه ويثبتون ما أثبت لنفسه، قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ: ١١]، وأن القول بالجسمية نفيًا أو إثباتًا قول مُحدث لا دليل عليه من الكتاب ولا من السنة.

• ثم قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ختام ذكر آيات الأسماء والصفات والأفعال لله تعالىٰ من القرآن الكريم، قال: **«وَهَذَا البَاب فِي كِتَابِ اللهِ كَثِيرٌ، وَمَنْ تَدَبَّرَ القُرْآنَ طَالِبًا لِلهُدَىٰ مِنْهُ تَبَيَّنَ لَهُ طَرِيق الحَقّ»**.

قوله: «وهذا الباب»؛ أي: باب معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، وما يستحق سبحانه من عبادته حق العبادة، ففي كتاب الله كثير مما تتضمن من الأخبار عن الله في أسمائه وصفاته وأفعاله، وهذا هو التوحيد العلمي الخبري، كذلك في كتاب الله من أمر التوحيد الطلبي من النواهي والأوامر واللوازم بطاعة الله الكثيرة، كذلك في كتاب الله الكثير من الأخبار عن إكرام أهل التوحيد من ذكر ما ينالون من رفعة المنازل في الجنة يوم القيامة جزاءً وفاقًا علىٰ حسن عبادتهم لله وكمال توحيدهم في ذلك، كما أن في كتاب الله الإخبار عن أهل الشرك ومآلهم وما ينالون من أصناف العذاب والخلود في النار.

وقد جاء كل هذا الذي ذكرنا في كتاب الله بأفصح عبارة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣]، فالقرآن كتاب هدي في الدارين، ففيه صلاح الدين والدنيا والآخرة، فمن رام الهدي اتخذه إمامًا له، ومن تدبر القرآن طالبًا الهدىٰ

وتفكر فيه وقد عزم النية علىٰ ذلك، وأن يكون طلبه الهدي لرضىٰ الله ونيل فضله في الدارين، وفّق إلىٰ ذلك وجُنب شرور النفس والهوىٰ والشيطان وأعداء الدين، ومن أعطىٰ القرآن ظهره كفرًا وعنادًا أو نفاقًا أو بدعة وضلالًا لقي الله فوفّاه حسابه والله سريع الحساب، وهو شديد العقاب، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾ [فصلت: ٤٤].



## الاستدلالُ على إثباتِ أسماءِ الله وصفاتِه منَ السنَّة

ثم انتقل شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ ذكر أدلة أسماء الله وصفاته وأفعاله من صحيح السنّة؛ لأن السنة النبوية المباركة **الأصل الثاني** بعد القرآن، أي: من حيثُ العدد لا الترتيب، وذلك في الاستدلال علىٰ أمور العقيدة والأحكام الشرعيّة، فشرع في ذكر الأحاديث المتضمنة لهذه الصفات والأسماء والأفعال، فقال: «**فَصْلٌ: فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ**».

السنة في اللغة: الطريقة، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**لَتَتَّبِعنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُم**»(١) أي: طريقتهم، وفي الاصطلاح: كل ما صحّ من قول النبيّ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وفعله وتقريره، وهذا يشمل الواجب والمستحب.

ولاستنباط أدلة الأحكام الشرعيّة من السنّة لا بدّ من أمرين:

**الأول:** صحة نسبة الدليل إلىٰ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهذا أحد الفروق المهمّة بين الاستدلال بالسنة والاستدلال بالقرآن، أما القرآن فإن سنده متواتر ليس فيه ما يوجب الشك، فهو محفوظ من التحريف اللفظي قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩].

**الثاني:** صحة دلالة القرآن في الدلالة علىٰ الحكم.

والحقيقة أن السنة محفوظة أيضًا من الله تعالىٰ بنص الآية السابقة: ﴿إِنَّا نَحْنُ

(١) «صحيح البخاري» (٣٤٥٦).

﴿نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]، ولذلك يهيئ الله الجهابذة من العلماء في خدمة السنة بحفظها متنًا وسندًا، فينخلونها ويستخرجون منها الضعيف والموضوع والمفترىٰ علىٰ رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

يقول العلامة العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا صحت السنة عن رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، كانت بمنزلة القرآن تمامًا في تصديق الخبر والعمل بالحكم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [النساء: ١١٣]، وقال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُم مُتكِئًا عَلَىٰ أَرِيكَتِهِ؛ يَأْتِيهِ الأَمْرُ مِنْ أَمْرِي؛ يَقُولُ: لَا نَدْرِي؛ مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللهِ اتَّبَعْنَاهُ، أَلَا وَإِنِّي أُوتِيتُ الكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ**»(١)، والحديث صحيح في السنن عند الترمذي وابن ماجه» ا.هـ.

ولهذا نقول: ضل أقوام لا يفقهون العلم الشرعي، وابتلوا بالغلو والعقلانية المقيتة، ومن هؤلاء من يسمَّوْن بالقرآنيين، الذين أنكروا السنة، ومن أنكر السنة أنكر القرآن فكفر.

- قال شيخ الإسلام في الاستدلال بالسنة وإثبات الصفات والأسماء والأفعال بها: «**فَالسُّنَّةُ تُفَسِّرُ الْقُرْآنَ وَتُبَيِّنُهُ، وَتَدُلُّ عَلَيْهِ، وَتُعَبِّرُ عَنْهُ**».

قوله: تفسر القرآن؛ أي: توضح معاني المراد في بعض آيات القرآن ومن ذلك مثلًا: قول الله تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، جاءت السنة مفسِّرة معنىٰ الزيادة في الآية كما عند مسلم: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ يَقُولُ اللهُ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: **تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُم؟ فَيَقُولُونَ: أَلَم تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَم تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنجنَا مِنَ النَّارِ، قَالَ: فَيكشفُ الحِجَاب، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِم مِن النَّظَرِ إِلَىٰ**

---

(١) صحيح، أخرجه أبوداود (٤٦٠٥)، والترمذي (٢٦٦٣)، وابن ماجه (١٣)، انظر تخريج «المشكاة» (١٦٢).

رَبِّهِم عَزَّوَجَلَّ». وفي رواية: «وزادَ: ثم تَلا هذهِ الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾».

وأيضًا من تفسير السنة للقرآن في قول الله تعالىٰ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، ففي صحيح مسلم من حديث عقبة بن عامر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال سمعتُ رسولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ وهو علىٰ المنبر يقول: «**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ، ألا إنَّ القوةَ الرميُ، ألا إنَّ القوةَ الرميُ، ألا إنَّ القوةَ الرميُ**»[1].

قوله: **وَتُبَيِّنُهُ، وَتَدُلُّ عَلَيْهِ، وَتُعَبِّرُ عَنْهُ:** هذه العبارة توضح ما يلي:

أولًا: أن السنة جاءت تبين القرآن وتدل علىٰ معانيه: ومعنىٰ البيان أن الذكر في القرآن موجود لكنه مُجمل يحتاج إلىٰ تفسير، كالصلاة مثلًا قال تعالىٰ: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۝٧٨﴾ [الإسراء: ٧٨]، فجاءت السنة القولية والفعلية من الرسول عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ تبين ذلك: ﴿لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ هذا وقت ابتداء صلاة الظهر وبعده العصر، ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ بيان صلاة المغرب والعشاء، ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ أي: صلاة الفجر، كذلك عدد الركعات لم تذكر إلا في السنة، وكذلك أنصبة الزكاة لم تذكر إلا في السنة، وكذلك أحكام الصيام وأعمال الحج، وكذلك أنصبة الديّات، فكل ما جاء مجملًا في القرآن جاءت السنة بتفصيله وبيانه والدلالة علىٰ معانيه، قال العلماء: إن الحكمة في أن القرآن يأتي مجملًا والسنة مفصلة له؛ لأن القرآن كتاب هداية ووعظ وإرشاد جاء فيه ذكر المسائل الكبار، الأمر بالتوحيد وجزاء من حقق التوحيد والنهي عن الشرك وعقوبة من وقع فيه، وذكر أسماء الله وصفاته، كذلك ذكر الأنبياء والرسل وقصصهم مع أممهم وأمور أخرىٰ، ثم جاءت السنة للبيان والتفصيل لهذه المسائل الكبار.

---

(١) صحيح مسلم (١٩١٧).

**وأيضًا** جاءت السنة لتأكيد ما ورد في القرآن والزيادة في بعض الأحكام والفضائل، ففي السنة ذكر المسائل الكبار أيضًا الواردة في القرآن علىٰ وجه التأكيد، فكل ما حرم الله في القرآن جاء تحريمه في السنة: كالشرك، وقتل النفس، والزنىٰ، والخمر، والربا، والسحر.

وكذلك جاء في السنة ذكر تحريم أمور أخرىٰ لم يرد تحريمها في القرآن كتحريم الجمع بين الأختين، كما جاء ذكر العقوبات علىٰ ما حرم الله، وغير ذلك من أحكام كثيرة، وجاء ذكر العقوبات والحدود الشرعية مفصلة في السنة، فكل أمر جاء في القرآن جاء ذكره في السنة كالعبادات وفضائل الصدقات وبناء المساجد وأمور كثيرة مثل ذلك.

**وأيضًا** أن تكون السنة منشئة لأحكام أخرىٰ مشروعة لم تأت في القرآن: كذكر بعض آداب الأكل، والشرب، وآداب السفر، وآداب النوم، والسلام ونحو ذلك، كذلك في السنة النهي عن بعض المنهيات: كالتبرج، وأحكام النمص، والتفلج للحسن ونحو ذلك.

**وأيضًا** كما يأتي في السنة ما ينسخ بعض الأحكام كقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**وَلَا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ**»(١) فيها نسخ قول الله تعالىٰ في القرآن: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ [البقرة: ٢٤٠].

ثم نقول: إن كل ما ورد في السنة وثبت، فالمسلم مأمور بقبوله وأن يتعبد الله به لقول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ⁽⁷⁾﴾ [الحشر: ٧]، وقول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ⁽³⁾ إِنْ هُوَ إِلَّا

(١) صحيح: أخرجه النسائي (٣٦٤٣)، وابن ماجه (٢٧١٣)، انظر «الإرواء» (٦/ ٨٨).

وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: ٣ – ٤]، ولقول النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، من حديث المقدام بن معد كرب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، أنه قال: «**أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ**»[1] وفي رواية: «**وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللهِ مِثل مَا حَرَّمَ الله**»[2].

• ثم قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فصل السنة، والشروع في ذكر أحاديث الأسماء والصفات والأفعال الثابتة لله في السنة الصحيحة، قال:

«**وَمَا وَصَفَ الرَّسُولُ بِهِ رَبَّهُ عَزَّوَجَلَّ مِنَ الأحَادِيثِ الصِّحَاحِ الَّتِي تَلَقَّاهَا أَهْلُ الـمَعْرِفَةِ بِالْقَبُولِ؛ وَجَبَ الإيمَانُ بِهَا كَذَلِكَ**».

معنىٰ كلام شيخ الإسلام: أننا نثبت لله ما جاء من الأسماء والأوصاف والأفعال، مما ورد في السنة الصحيحة وقد يكون لم يرد في القرآن، مثل اسم الله «**الشافي**»، قال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُك**»[3]، ثم قيد إثبات ما ورد في السنة بأن يكون صح عن الرسول عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بالأسانيد الصِّحاح التي تلقاها أهل المعرفة بالقبول، ويعني بقوله: كل ما أضيف إلىٰ النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: قولًا أو فعلًا أو تقريرًا وصحَّ عنه، **ومصطلح الصحيح في الحديث**: هو ما اتصل سنده بنقل العدل تام الضّبط عن مثله إلىٰ منتهاه، من غير شذوذ ولا علة قادحة.

وهذه الأحاديث قد تلقّاها أهل المعرفة وهم هنا أهل العلم بالحديث، العالمون بأحوال نبيهم الضابطون لأقواله وأفعاله، والمعنيّون بها.

قال بعد ذلك: وجب قبول هذه الأحاديث ووجوب الإيمان بما تضمنت من

---

(١) «صحيح أبي داود» (٣/ ١١٧).

(٢) «صحيح الترمذي» (٣/ ٦٤).

(٣) «صحيح البخاري» (٥٦٧٥).

صفات الله وأسمائه، ويفهم من كلامه وجوب الحذر من رد ما تضمنت هذه الأحاديث كما يفعل أهل الأهواء والضلال من المبتدعة كالأشاعرة الذين يردون أخبار الآحاد في العقيدة، وقد أبطل أهل السنة والجماعة هذه الأقوال وردوها وأثبتوا كل ما صح عن نبيهم من الأخبار في الأمور العلمية والعملية لقيام الدليل علىٰ وجوب قبول ذلك.

ويفهم من كلام المؤلف القاعدة العظيمة عند أهل السنة والجماعة: أن مسائل العقيدة -ومنها الأسماء والصفات- لا تؤخذ إلا من الكتاب والسنة فقط ولا مجال فيها للاجتهاد كمسائل الفقه في الأحكام الفقهية العملية المستنبطة أدلتها الاجتهادية من الوحيين والقياس الصحيح.

وأما قوله: كذلك: يعني كذلك ينبغي ويجب وجوبًا حتميًّا الإيمان بما في القرآن من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.



## ١- ثبوتُ النزول الإلهي إلى السَّماء الدنيا بما يليق بجلاله سُبحانه

ثم شرع المؤلف في سرد هذه الأحاديث وبيان ما تضمنت فقال:

«مِثْل قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ».

هذا حديث من الأحاديث المتواترة والمشهورة والمستفيضة عند أهل العلم، وهذا الحديث من الأحاديث القاصمة لظهور أهل البدع من الممثلة والمعطلة والمحرفة؛ لأنهم يوردون علىٰ هذه الأحاديث لوازم باطلة؛ لأنهم لا يقرون بعلو الله المطلق واستواء الله علىٰ عرشه ونزوله إلىٰ السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل، نزولًا يليق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فيُرد علىٰ أهل البدع أقوالهم بهذه القاعدة العظيمة عند أهل السنة والجماعة وهي: أن ما ثبت في القرآن والسنة من صفات الله وأفعاله حق، لا يماري فيه ويرده أو يتأوله إلا مبتدع ضال يتقدم بين يدي الله ورسوله والله المستعان، ونقول إذا جاء الخبر عن الله عَزَّوَجَلَّ وعن رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فإننا نقبله ولا نرده باللوازم الباطلة من عندنا مهما أملتها علينا فهومنا وعقولنا.

ففي هذا الحديث الأول الذي أورده شيخ الإسلام يخبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بأن الله ينزل في الثلث الأخير من الليل، نقول هذا حق آمنا بذلك، وبما جاء عن الله بمراد الله، فالله ينزل كما جاء الخبر نزولًا يليق بجلاله في الثلث

الأخير من الليل إلىٰ السماء الدنيا، ويقول: «**مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَه، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيهُ مَن يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِر لَه**»، نثبت كل ذلك وإن لزم ما يلزم وهو لا يلزم إلا حق، ولأن الحق لا يلزم منه إلا حق، ونقول لأهل الضلال ما ضللْتُم وأوردتم هذه اللوازم إلا لأنكم مثلتم الله بالمخلوق؛ تعالىٰ الله عن ذلك، فأوردكم ذلك إلىٰ تعطيل صفات الله وأفعاله، فتصورتم أن نزول الله كنزول المخلوق، فالمخلوق مثلًا إذا نزل في عمارة في الطابق الأول صار الطابق الأول يقله ويحويه ويحيط به والطابق الثاني فوقه، نقول: هذا نزول المخلوق أما نزول الخالق ليس كما تتصورون؛ لأن الله قد قال عن نفسه: إنه ليس كمثله شيء سبحانه لا في ذاته ولا في صفاته.

وكما نقول: إن لله يد لا كيد المخلوق، فلله نزول لا كنزول المخلوق وكذلك نقول هذا في جميع الصفات في الضحك في العجب وفي كل الصفات والأفعال وصفات الله لا تبلغها العقول.

وكذلك أفعاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كما في الأثر عن السلف في الاستواء نقول: الاستواء معلوم، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، فنقول ما ثبت في هذا الحديث الذي معنا أن الله ينزل في الثلث الأخير إلىٰ السماء الدنيا، نثبت ذلك ونقول أيضًا علىٰ القاعدة السابقة: النزول معلوم، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، فالله ينزل نزولًا يليق بجلاله سبحانه كل ليلة في الثلث الأخير ويتفضل علىٰ عباده بالعطايا وبالرحمة والمغفرة، وهنا نذكر مسألة اختلف فيها السلف وهي: **هل بنزول الله -النزول الذي ذكرنا-، هل يخلو منه العرش؟**

والصواب الذي عليه جمهور السلف وهو الذي رجّحه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه لا يخلو منه العرش سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والرد علىٰ من يقول: كيف الجمع بين

الاستواء علىٰ العرش وإثبات النزول؟

نقول: الله أعلم.

ومن قال: إن عقلي لا يتصور ذلك ولا يقبل، نقول لهذا: هل تؤمن وتقبل أن الله يجيب كل مصلٍّ في صلاته في كل مكان في نفس الوقت، إذا قال كل مصلٍّ في صلاته وهو يقرأ الفاتحة: «**الْحَمْدُ للهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: حَمَدَنِي عَبْدِي**»، هل تقبل ذلك وتؤمن به؟

إذا قال: نعم أنا أقبل هذا.

فنقول له: وكيف تتصور ذلك؟!

هنا لا بد أن يذعن ويقبل، فهنا نبيّن له معنىٰ أن الله ليس كمثله شيء سبحانه وقد أخبر الله عن نفسه وقال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ١١٠﴾ [طه: ١١٠]، إذًا لا بد أن نقبل بكل ما أخبرنا الله به عن نفسه من الصفات والأفعال ونكف عن السؤال عن الكيفية، فالنص القرآني في الاستواء محكم، وكذلك النص في النزول محكم أيضًا، إذًا لا تعارض عندنا في ذلك والحمد لله.

وهنا نذكر أن من أهل البدع من رد حديث النزول هذا وأنكره، والحديث في الصحيحين بهذا اللفظ الصريح، ثم إن أهل البدع من الفرق الضالة حينما أنكروا النزول فمنهم من أثبت الحديث وفسر النزول بتأويل باطل فقالوا: المقصود بالنزول في الحديث: ينزل أمره! وبعضهم قالوا: ينزل ملَك، ومنهم من قال: تنزل رحمته، وكل هذا صرف للحديث عن ظاهره، وهي تفسيرات باطلة، فنرد عليهم بقولنا: هل أمر الله ينزل إلىٰ السماء الدنيا فقط أم يصل إلىٰ الأرض، لا شك أنه يصل إلىٰ الأرض، قال تعالىٰ: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ [السجدة: ٥]، فالأمر الذي يقف في السماء لا يحصل منه شيء في الأرض، ولا يقول بذلك أحد، بل الأمر يصل

إلىٰ الأرض والله يصرف به عباده في الأرض، يحيي ويميت ويهب ويمنع ويعز ويذل، كذلك نرد علىٰ قولهم أنه ينزل ملَك، فنقول: هل هذا الملك يقول: من يسألني فأعطيه، من يستغفر لي فأغفر له، هذا مستحيل؛ لأن هذا الأمر خاص بالله ومن قال غير الله أشرك، فالقائل بهذا جعل نفسه ربًّا، والله يقول: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنبياء: ٢٩]، كذلك نرد علىٰ الذين يقولون إنما تنزل رحمته: ما فائدة رحمة تنزل إلىٰ السماء فقط، وهل يمكن للرحمة أن تقول: من الذي يسألني فأعطيه، من الذي يستغفرني فأغفر له، لا يمكن للرحمة أن تقول هذا.

ثم نقول: هذه التأويلات الباطلة لا يقولها إلا من ضاق عقله وقلبه وحيلته ولم يقبل مراد الله في النّص، فيأتي بهذه التأويلات الباطلة المضحكة التي يعلم بطلانها آحاد الناس.

ثم نقول بعد أن قررنا ثبوت الحديث وما ورد فيه من النزول الإلهي الحقيقي لربنا إلىٰ السماء الدنيا كل ليلة حين يبقىٰ ثلث الليل الآخر فيقول: «**مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيب لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفر لَهُ**»، نقول: إن كل مسلم ينبغي له بدلًا من إنكار هذا الحديث وما تضمن أن يفرح بمثل هذا الحديث العظيم وما تضمن من كرم الله وحفاوته بعباده الصالحين أن ينزل كل ليلة إلىٰ السماء الدنيا، ويعطي كل سائل، ويغفر لكل مذنب مستغفر كل ذنب، فهذه وعود عظيمة كريمة من الله في ساعات طويلة تبقىٰ من ثلث كل ليلة، فهذه المنحة ليست كساعة الإجابة القصيرة في يوم الجمعة، والتي ليست محددة الوقت كهذه ولا معروفة تمامًا، فحري بكل عبد اغتنام هذه الساعات المباركة، والحرص في القيام والدعاء والتوبة والضراعة إلىٰ الله فيها.

وما أعظم الصلاة والضراعة لله في هذا الوقت المبارك، والمرغبات من الآثار فيه كثيرة، وقد سُئِلَ رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «أيُّ الصَّلَاةِ أَفْضَلُ بَعْدَ المَكْتُوبَةِ؟ فَقَالَ: **أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ؛ الصَّلَاةُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ** ...»(١)، وفي رواية عند الترمذي: «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ الْعَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ**»(٢)، الحمد الله، ما أعظم كرم الله علىٰ عباده.

ولكن كم فرط الناس في هذا الخير العظيم الذي كان دأب الصالحين قبلنا، واستمِع لهذا الحديث العظيم في الحث علىٰ هذه العبادة العظيمة في هذا الوقت المبارك، وقد صحّ عنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه قال: «**عَلَيْكُم بِقِيَامِ اللَّيْلِ، فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُم، وَقُرْبَةٌ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَمَنْهَاةٌ عَنِ الإِثْمِ، وَتَكْفِيرٌ لِلسَّيِّئَاتِ، وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنِ الْجَسَدِ**»(٣).

---

(١) «صحيح مسلم» (١١٦٣).

(٢) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٥٧٩)، انظر «المشكاة» (١٢٢٩).

(٣) حسن: انظر «صحيح الجامع» (٢/ ٧٥٢- ٤٠٧٩)، و«الإرواء» (٤٥٢).

## ٢- إثبات أن الله يفرح ويضحك

ثم ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية الحديث الثاني في الشواهد من السنة علىٰ إثبات صفات الله وأفعاله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فقال: «وَقَوْلُهُ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِرَاحِلَتِهِ ...»، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ».

وتكملة هذا الحديث قوله: «**للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ، حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِن أَحَدِكُم كَانَ عَلَىٰ رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَىٰ شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِن رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُو بِهَا قَائِمَةٌ عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخُطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِن شِدَّةِ الفَرَحِ: اللَّهُمّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّك! أَخْطَأَ مِن شِدَّةِ الفَرَحِ**»، الله أكبر، هل هناك فرح أعظم من هذا الفرح لرجل يئس من الحياة وكاد يموت موتة قهر وخوف وعجز، ثم ينجو من الموت فكأنما عاد إلىٰ الحياة من جديد، إنه لفرح عظيم لا شك، ثم انتبه -يا رعاك الله- لقوله في الحديث: «**للهُ أَشَدُّ فَرَحًا**»، لم يقل: مثل فرحة، بل قال: أشد فرحًا من هذا براحلته وطعامه، يقول ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ: «لو أن هناك فرحًا أعظم من هذا لمثل به النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ»، وهذا من سعة رحمة الله بعباده، وهو الغني الحميد سبحانه، ولو شاء لعذبهم، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾﴾ [النساء: ١٦٨ – ١٦٩]، فالله سبحانه لا يبالي] بالعباد إذا عصوه، وهين عليه أن يدخلهم النار ويعذبهم وليس هو بحاجةٍ إلىٰ أحد منهم، ولكن لسعة رحمته سبحانه وعظيم مغفرته أنه يفرح هذه الفرحة التي لا مثيل لها بعبد من عباده، قد تاب من كفره أو معصية من الكبائر، وفي

هذه العبارات في هذا الحديث إثبات صفة الفرح لله تعالىٰ، وهذا لا يماثل فرح المخلوق، إنما يكون فرح العبد المخلوق لحاجته ليس كفرح الله بتوبة عباده والله غني عن العالمين، فإثبات الفرح لله بما يليق بجلاله سبحانه هو عقيدة أهل السنة والجماعة، خلافًا لأهل الضلال والبدع فإنهم لا يثبتون هذه الصفة لله ويؤولونها بتأويلات باطلة فبعضهم يؤولها بالثواب، وبعضهم بإرادة الثواب؛ لأنهم يثبتون الإرادة لله وكل هذه التأويلات باطلة، فالله يفرح فرحًا يليق به سبحانه، ثم يثيب عبده، فالثواب من لوازم الفرح، والواقع أن أهل البدع والضلالات لم يقعوا في هذا التأويل إلا حين ظنوا أن إثبات الفرح لله فيه تمثيل لله بالمخلوق ففروا من التمثيل بزعمهم إلىٰ التعطيل، وردوا كلام الله الذي أثبته لنفسه، ثم إنهم وقعوا في التمثيل أيضًا، أي: تمثيل الله بالعبد من وجه آخر فإن الله يريد، والمخلوق يريد فله إرادة، فنقول: أقررتم بأن الله له إرادة وكذلك المخلوق له إرادة، أليس هذا تمثيل الخالق بالمخلوق، ففررتم من التمثيل ثم وقعتم فيه، وإن كنا نحن معاشر أهل السنة والجماعة نثبت لله الإرادة، وكذلك نثبت للمخلوق إرادة، لكن نقول: إن إرادة الله ليست كإرادة المخلوق؛ لأن ذات الله عَزَّوَجَلَّ ليست كذوات المخلوقين، والصفات تختلف باختلاف الذوات، فلله إرادة تليق بجلاله، وللعبد إرادة تليق بذاته، فلا وجه للمماثلة بين الله وعباده، فإن قالوا: ونحن نقول إن إرادة الله ليست كإرادة المخلوق، فنقول لهم: وكذلك فرح الله ليس كفرح المخلوق.

وبهذا الحديث وما سيأتي بعده يتبين لنا موافقة السنة للقرآن في إثبات صفات الله تعالىٰ وأفعاله، ومن ذلك ما ورد في الحديثين الذين ذكرناهما والحمد لله.

وقوله في الحديث الثالث: **«قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِۦوَسَلَّمَ: «يَضْحَكُ اللهُ إِلَىٰ رَجُلَيْنِ؛ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ؛ كِلَاهُمَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ»، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ»**، وهو من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

هذا مما أوحىٰ الله به علىٰ نبيه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهو حق لا مرية فيه، وهو أن الله يضحك إلىٰ رجلين من أهل الجنة كانا يقتتلان في جهاد في سبيل الله أحدهما مسلم والآخر كان في صفوف أهل الكفر لم يسلم، فقَتَل ذلك الكافر المسلم فمات شهيدًا في جهاد في سبيل الله فيدخل الجنة، ثم إن القاتل الكافر مَنّ الله عليه بالإسلام فآمن بالله وحسُن إسلامه، ثم قُتل شهيدًا أو مات علىٰ فراشه وهو مسلم فإنه يدخل الجنة، فيكون القاتل والمقتول كلاهما يدخلان الجنة، فيضحك الله إليهما.

في هذا الحديث إثبات الضحك لله تعالىٰ علىٰ وجه يليق به عَزَّوَجَلَّ، وهو صفة من صفات الله الفعلية اللازمة، وهي صفة الضحك وهو ضحك حقيقي لا يماثل ضحك المخلوقين؛ لأن ذات الله ليست كذوات المخلوقين، قال سبحانه عن نفسه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ: ١١]، فنؤمن بأن الله يضحك كما ثبت في الأثر ولا نمثل ولا نعطل ولا نحرف ولا نكيف، هذه عقيدة أهل السنة والجماعة مستنبطة من الوحيين، خلافًا لأهل البدع والضلال الذين يقدمون العقل علىٰ النقل فضلوا بذلك، ومن ضلالهم أنهم يصرفون ألفاظ الوحي عن ظاهرها بلا علم، وصفة الضحك لله مما ينكره أهل البدع من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية، فمنهم من يجعل الضحك هنا لمخلوق كالمعتزلة فيقولون: يضحك غيره من المخلوقات، والأشاعرة يجعلون الضحك بمعنىٰ الرضىٰ، أو دليل علىٰ الرضىٰ ويحتجون بقوله الله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾﴾ [النجم: ٤٣]، فجعلوا صفة الضحك أن الله يجعلها في مخلوقاته، وكل هذا من رد نصوص الوحي والتكلم بالهوىٰ والله يقول: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الروم: ٢٩].

## ٣- إثبات صفة العجَب لله سبحانه

● ثم قال شيخ الاسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحديث الرابع:

**«وَقَوْلُهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ خيره؛ يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزِلِينَ قَنِطِينَ، فَيَظَلُّ يَضْحَكُ، يَعْلَمُ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ»، حَدِيثٌ حَسَنٌ»**(١).

الحديث لا يصل لدرجة القبول ولكن يشهد لصحة ثبوت صفة العجب لله تعالىٰ آثار أخرىٰ ثابتة عن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، منها ما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في قصّة الصحابي الذي استضاف ضيف رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، ونص الحديث: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ، فَأَرْسَلَ إِلَىٰ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ؛ مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَىٰ أُخْرَىٰ، فَقَالَت مِثلَ ذَلِكَ، حَتَّىٰ قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ: لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ؛ مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، فَقَالَ: **مَنْ يُضِيفُ هَذَا هَذِهِ اللَّيْلَةَ -رَحِمَهُ اللهُ-**؟ فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَال: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ؛ فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَىٰ رَحْلِه، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: هَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: لَا، إِلَّا قُوتَ صِبْيَانِي قَالَ: فَعَلِّلِيهم بِشَيْءٍ، فَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنا فَأَطِفِئِي السِّراجَ وَأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ، فَإِذَا أَهْوَىٰ لِيَأْكُلَ فَقُومِي إِلَىٰ السِّرَاجِ حَتَّىٰ تُطْفِئِيهِ، قَالَ: فَقَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: **قَدْ**

---

(١) والحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده، وأبو يعلىٰ من طريق ابن لهيعة وهو ضعيف لا يصح إسناده، وحسنه شيخ الإسلام كما بالمتن، وقد ضعفه ابن حجر وفيه ابن لهيعة وتبعه الألباني أيضًا، فالحديث لا يصل إلىٰ درجة الحسن والجمهور علىٰ تضعيفه. (بامحرز).

عَجِبَ اللهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ»[(١)].

كما ثبتت هذه الصفة صفة العجب لله تعالىٰ في الحديث الآخر عند البخاري من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «عَجِبَ اللهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فِي السَّلَاسِلِ»[(٢)].

وكذلك ثبتت صفة العَجَب لله عند أبي داود بسند حسنه العلاّمة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «عَجِبَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ مِن رَجُلٍ غَزَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَانْهَزَمَ يَعْنِي أَصْحَابَهُ فَعَلِمَ مَا عَلَيْهِ، فَرَجَعَ حَتَّىٰ أُهْرِيقَ دَمُهُ، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ لِمَلَائِكَتِهِ: انْظُرُوا إِلَىٰ عَبْدِي رَجَعَ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي، وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدِي حَتَّىٰ أُهْرِيقَ دَمُهُ»[(٣)].

كما ثبتت هذه الصفة صفة العجب لله تعالىٰ في القرآن الكريم في قوله تعالىٰ: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ۝١٢﴾ [الصافات: ١٢]، فقد قرأها حمزة والكِسائي بضمّ التّاء، ﴿بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ﴾ وهي قراءة مشهورة.

ومعنىٰ الحديث: «عجِب ربنا من قنوط عباده وقرب غيره»؛ أي: عجب من قنوط الخلق إذا لم يأتهم المطر وقد زادت عليهم الشدة والبأس، فإنهم يقنطون، فالله عَزَّ وَجَلَّ يعجب من قنوط عباده مع قرب تغير الحال بإرسال الخير من المطر إليهم.

فالشاهد من الأحاديث وآية «الصافّات» دلالة علىٰ إثبات صفة العجب لله تعالىٰ علىٰ وجه يليق بجلال الله وعظمته عَزَّ وَجَلَّ، فالمتعجب هو الله عَزَّ وَجَلَّ، فأهل السنة والجماعة يثبتون صفة العجب لله تعالىٰ بدلالة هذه الأحاديث وآية الصافات

---

(١) «صحيح البخاري» (٣٧٩٨).

(٢) «صحيح البخاري» (٣٠١٠).

(٣) «صحيح أبي داود» (٢/ ١٠٦).

علىٰ قراءة حمزة والكِسائي المشهورة.

**والعَجَب يكون من أحد شيئين:**

**الأول:** يكون من جهة عدم توقع حصول الشيء والجهل بحصوله، ثم يحصل علىٰ نحو ما، فيتعجب منه، فهذا العجب راجع إلىٰ جهل المتعجب فهذا منفي عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

**والثاني:** يكون مما إذا حصل شيئًا لأحد من الخلق مما فيه خروج عن نظائره عما ينبغي أن يكون عليه فيكون عند المخلوق لعدم علمه بالعاقبة فيتعجب منه إذا حصل لأجل حاله في عدم العلم المسبق به، لكنه يثبت لله لأنه ليس عن نقص من المتعجب وإنما عجب بالنظر إلىٰ حال المتعجب منه، وعلم الله بكل شيء سابق له وفي كل الأحوال، فالله يعلم ما حصل وما سيحصل وهذا العجب راجع لحال المتعجب منه كما ذكرنا، فهو مثبت لله تعالىٰ علىٰ وجه الكمال فالله لا يخفىٰ عليه شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والمقصود هنا أن العجب ثابت لله عَزَّوَجَلَّ علىٰ جهة الكمال المطلق، أما العجب مع الجهل علىٰ عدم العلم أو الشك أو التفاجؤ من حصول الشيء فينزه عنه الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن الله له صفات الكمال المطلق سبحانه، فالعجب الكامل ثابت لله عَزَّوَجَلَّ وهو كالصفات الأخرىٰ الثابتة لله عَزَّوَجَلَّ.

إذا تقرر ذلك علمنا أن الله عَزَّوَجَلَّ هو العالم بما كان ويكون وسيكون، فثبت العجب لله عَزَّوَجَلَّ، أما الذين ينفون صفة العجب لله فهم يقولون إن المراد بالعجب هنا ما يكون في المخلوق وهذا قول المعتزلة، وأما الأشاعرة فيقولون إنما هو إظهار ما يتعجب منه البشر، وكل هذه الأقوال باطلة، وإنما قادهم إلىٰ ذلك المحال أنهم يرون العجب صفة نقص لا تكون إلا في المخلوق فلا يثبت للخالق، وهذا قياس

باطل لمحل اختلاف الذات، فذات الله ليست كذوات المخلوقين، لقوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ: ١١].

فأما أهل السنة والجماعة فيثبتون العجب صفة لله علىٰ وجه الكمال، فيكون عجبه سبحانه لأجل حال المتعجب منه والله أعلم.



## ٤- إثبات الرِّجل والقدَم لله تعالى

ثم قال في الحديث الخامس: «وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَىٰ فِيهَا، وَهِيَ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّىٰ يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا رِجْلَهُ»، وَفِي رِوَايَةٍ: «عَلَيْهَا قَدَمَهُ فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَىٰ بَعْضٍ فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ»، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ».

في الحديث إثبات صفة الرجل والقدم لله تعالىٰ، بثبوت الروايتين، والله ثبتت له سبحانه صفة الساق والرجل والقدم، ولم يثبت له غير ذلك، كل ذلك ثبت في النصوص الصحيحة من غير تمثيل بصفات المخلوقات، بل صفات تليق بجلاله وعظمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أما أهل الضلال من المؤوّلة فيفسرون القدم في الحديث بمعنىٰ ما تقدم من الشيء، أي بمعنىٰ ما تقدم من الله عَزَّوَجَلَّ إلىٰ جهنم، ويكون هذا كقوله تعالىٰ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ﴾ [يونس: ٢]، قالوا: ﴿قَدَمَ صِدۡقٍ﴾ أي: ما يتقدم، ومنه سميت القدم قدمًا لأنها تتقدم في المشي، وهذا مردود لأنه من جهة التأويل فالقدم في الآية إلىٰ الصدق، والصدق له أثر يتقدمه ومنه البر؛ لأن الصدق يهدي إلىٰ البر، فمعنىٰ الآية؛ أي: لهم قدم صدق عند الله يتقدمهم ذلك أمامهم بأعمالهم الطيبة، أما قدمه في الحديث فأضاف القدم إليه عَزَّوَجَلَّ، فهي إضافة صفة وفسرت في الرواية الأخرىٰ برجله، وهذه تنفي الاحتمال الوارد في رواية القدم.

كذلك يرد قولهم بنفي هذا الاحتمال أنه قال في أول الحديث: «حتّىٰ يضَع ربّ العِزّة فِيها رجله» فالموضوع هو القدم والواضع هو الله، فبطل تأويلهم والواقع أن

أهل الضلال ينفون هروبًا منهم من التمثيل بالمخلوقين وهذا باطل؛ لأن ذات الله ليست كذوات المخلوقين لمن عظم الله حق التعظيم وأثبت ما أثبت الله لنفسه دون تحريف أو تمثيل أو تعطيل أو تكييف.

فصفة القدم أو الرجل هنا ثابتة لله علىٰ الوجه اللائق بعظمة الله تعالىٰ، وصفة القدم جاءت في الحديث بلفظ الإفراد، وهما قدمان لله تعالىٰ لما ثبت عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنه قال في الكرسي: «والكرسي موضع القدمين لله عَزَّوَجَلَّ»، وهذه صفات ثابته لله تعالىٰ علىٰ قاعدة أهل السنة والجماعة.

وقوله في الحديث: «**فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَىٰ بَعْضٍ ، فَتَقُول: قَط قَط**» معنىٰ هذا: بعد أن يضع عليها الجبار قدمه يلتقي بعضها ببعض أي: طرفاها، فتصغر جهنم بعد ذلك وتصير مملوءة بأهلها الذين دخلوها، وهذا معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٥﴾ [ص: ٨٥]، وهذا خلاف الجنة دار الكرامة والرحمة للمتقين فإنها تسعهم جميعًا ويبقىٰ من سعتها فراغ فينشئ الله عَزَّوَجَلَّ للجنة خلقًا آخر يدخلهم بفضله ورحمته، أما النار فهي دار عدل وجزاء فلا ينشئ الله لها خلقًا آخر، بل ملؤها يكون من الجِنة والناس جزاءً وفاقًا، ونسأل الله أن يجيرنا جميعًا من النار.

## ٥- إثبات النداء والصوت والكلام لله سبحانه

• ثم قال شيخ الاسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحديث السادس من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

«وَقَوْلُهُ: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: يَا آدَمُ! فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادِي بِصَوتٍ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخرِجَ مِن ذُرِّيَّتِك بَعْثًا إِلَىٰ النَّارِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ».

يخبر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عن ربه أنه يقول: «يا آدم» وهذا يوم القيامة، فيجيب آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بقوله: «لبيك» أي: إجابة بعد إجابة «وسعديك» أي: إسعادًا بعد إسعاد، أي: أسعدني وأعنّي يا رب، قال: فينادي الله آدم بصوت تأكيدًا للنداء وأنه كلام من الله.

وأما قوله: «**إِنَّ اللهَ يَأْمُركَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتكَ بَعْثًا إِلَىٰ النَّارِ**»، ولم يقل: «إني آمرك»، وهذا من العظمة والكبرياء لله حتىٰ كنّىٰ عن نفسه، ومعنىٰ **بعثًا**؛ أي: مبعوثًا، وفي الرواية الأخرىٰ: «**قَالَ: يَا رَبِّ؛ وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعمَائةٍ وَتِسْعَةَ وَتِسْعُونَ**».

وهذا الحديث عند أهل السنة والجماعة فيه إثبات الحرف والصوت في نداء الله للبعيد ومناجاته للقريب، وهذا النداء والمناجاة بالحرف والصوت لله ثابتًا في القرآن كما سبق معنا في قول الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠ قَوْمَ فِرْعَوْنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ ۝١١﴾ [الشعراء: ١٠ – ١١]، وفي قوله عَزَّوَجَلَّ أيضًا: ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ۝٥٢﴾ [مريم: ٥٢]، فالكلام لله ثابت لمن شاء من خلقه، وأنه بحرف وصوت ونداء ومناجاة،

وهذا خلاف معتقد أهل البدع كما قررنا ذلك في فصل: **إثبات الكلام لله تعالىٰ**.

- ثم قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحديث السابع من حديث عدي بن حاتم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

**«وَقَوْلُهُ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ؛ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ»».**

في هذا الحديث إثبات صفة الكلام لله تعالىٰ وأن الله يوم القيامة سيكلم كل أحد، وأن كلامه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لخلقه مسموع، فلا يحتاج إلىٰ ترجمان، فالله يقرر عباده بأفعالهم محاسبًا لهم فيسمعون كلامه، فكل يسمع كلام الله القريب والبعيد، فالحمد لله الذي أنار بصيرة أهل السنة والجماعة فأثبتوا من صفات الله وأفعاله ما ثبت في الوحيين من غير تحريف ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تكييف، فلله الحمد والمنّة.



## ٦- إثبات علو الله على خلقه واستوائه على عرشه

• ثم قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحديث الثامن من حديث أبي الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**وَقَوْلُهُ فِي رُقْيَةِ المَرِيضِ: «رَبَّنَا اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ! تَقَدَّسَ اسْمُكَ، أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ؛ كَمَا رَحْمَتُكَ فِي السَّمَاءِ؛ اجْعَلْ رَحْمَتَكَ فِي الأَرْضِ؛ اغْفِرْ لَنَا حَوْبَنَا وَخَطَايَانَا، أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ، أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَىٰ هَذَا الْوَجَعِ؛ فَيَبْرَأ». حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغيْرُهُ**»(١).

وكأن شيخ الإسلام ابن تيمية يحسّن معناه فأورده في إثبات العلو لله تعالىٰ، وقد يغني عنه الحديث الذي يليه وهو الحديث التاسع في هذا الكتاب، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**وَقَوْلُهُ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «**أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ» حَدِيثٌ صَحِيحٌ**».

قوله: «ألا تأمنوني» أي: ألا تعتبروني أمينًا لمن في السماء وهو الله عَزَّوَجَلَّ، فرسول الله أمين الله علىٰ وحيه وهو عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ سيد الأمناء، وينزل عليه بالوحي أمين الله علىٰ الوحي جبريل عَلَيْهِٱلسَّلَامُ، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ۝٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ۝٢١﴾ [التكوير: ١٩ - ٢١]، وسبب ورود هذا الحديث: أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ قسم ذهيبة بعث بها عليّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ من اليمن بين أربعة نفر، فقال له رجل: نحن أحق بهذا من هؤلاء، فقال عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: «**أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ**»(٢).

---

(١) «ضعيف أبي داود» (٣٨٩٢)، انظر «المشكاة» (١/ ٤٩٠- حديث ١٥٥٥).

(٢) «صحيح البخاري» (٤٣٥١)، «صحيح مسلم» (١٠٦٤).

والشاهد من هذا الحديث إثبات علو الله المطلق، فالله مستو علىٰ عرشه سبحانه بائن عن خلقه، والعرش أعلىٰ المخلوقات إطلاقًا.

ثم أورد شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ الحديث العاشر فقال: «وَفِي قَوْلِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «وَالْعَرْشُ فَوْقَ الْمَاءِ، وَاللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ»، حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وغيرُه»[(١)] وهو من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال الشيخ العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح هذا الحديث: «والله فوق العرش، ومع ذلك لا يخفىٰ عليه شيء من أحوالنا وأعمالنا، بل قد قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ [ق: ١٦]، يعني: الشيء الذي في ضميرك يعلمه الله، مع إنه ما بان لأحد، وفي قوله: ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟﴾ النور: ٦٤]، يفيد إحاطة علم الله بكل ما نحن عليه».

• ثم قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحديث الحادي عشر:

«وَقَوْلُهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لِلْجَارِيَةِ: «أَيْنَ اللهُ؟» قَالَتْ: «فِي السَّمَاءِ» قَالَ: «مَنْ أَنَا؟» قَالَتْ: «أَنْتَ رَسُولُ اللهِ» قَالَ: «أَعْتِقْهَا؛ فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»، رَوَاهُ مُسْلِمٌ».

وهذا الحديث فيه سؤال الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ للجارية: «أَيْنَ اللهُ؟» وهذا استفهام عن المكان فقالت: الله في السماء أي: علىٰ السماء أي: في علو، قال لها: «وَمَنْ أَنَا؟ قالت: أنت رسول الله»، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: إِنَّهَا مُؤْمِنَة: قد أثبتت صفة العلو لله بما قرأت من القرآن وما صدقت بما جاء به رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فقال لسيدها: «اعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»[(٢)]، فانظر يا رعاك الله جارية صحابية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا ليس لها من العلم إلا القليل تثبت لله تعالىٰ هذه الصفة العظيمة علو الله المطلق في

---

(١) «مختصر العلو» (٤٨).

(٢) «صحيح مسلم» (٥٣٧).

السماء، بينما الكثير من جهلة المسلمين من أهل الضلال والبدع والتحريف لا يثبتون لله العلو في السماء، بل وقد يعتبرون القائل بعلو الله كافرًا، ثم يقولون: إن الله موجود في كل مكان حتىٰ في الحشوش ومواضع قضاء الحاجة، تعالىٰ الله وتقدس عن ذلك.

فالسعيد من صدق بالوحيين وما فيهما من صفات الله وأفعاله علىٰ قاعدة أهل السنة والجماعة: إثبات ذلك بما يليق بجلال الله وعظمته، نؤمن ونثبت ولا نحرف ولا نمثل ولا نعطل ولا نكيف، وتعالىٰ الله وتقدس عما يقول الضالون علوًّا كبيرًا، والحمد لله رب العالمين.



## ٧- إثبات معية الله لخلقه
## وأنها لا تنافي علوّه فوق عرشه

• ثم قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحديث الثاني عشر:

«وَقَوْلُهُ «أَفْضَلُ الإِيمَانِ: أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ»، حَدِيثٌ حَسَنٌ»(١).

وشيخ الإسلام يورد مثل هذه الأحاديث لسببين:

أولًا: أنها ليست شديدة الضعف عنده.

ثانيًا: أن معناها صحيح تشهد له نصوص أخرىٰ ثابتة.

وهذه طريقة كثير من أهل الحديث لا سيّما المتقدمين، فالإمام أحمد مثلًا يروي في مسنده مثل هذه الأحاديث كما مر معنا في: «الحديث الرابع».

ثالثًا: إنه لا نكارة فيها وتتقوىٰ في معانيها بأحاديث أُخر.

ثم ويشهد لهذا الحديث القرآن في قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، في سورة «الحديد»، وقوله تعالىٰ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٧﴾ [المجادلة: ٧].

والمعية ثابتة في عدة آيات من القرآن، وهي تنقسم إلىٰ قسمين:

الأول: معية عامة لجميع الخلق.

الثاني: ومعية خاصة للمؤمنين.

---

(١) ضعيف: «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (٦/ ٩٩- حديث ٢٥٨٩).

والمقصود في هذه الأدلة المعية العامة وهي: العلم والإحاطة والاطلاع والرؤية، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١]، فالله تعالىٰ مع استوائه علىٰ عرشه وهو بائن من خلقه ليس ببعيد عن خلقه فهو معهم ولا يخفىٰ عنه حالهم ويعلم سرهم ونجواهم، وهم تحت قبضته وفي سلطانه، وهو سبحانه مع علوه علىٰ عرشة قريب من خلقه، قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ④﴾ [الحديد: ٤].

فالمؤمن ينبغي أن يؤمن بهذه الصفة: المعية العامة لله مع خلقه، وهذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة خلافًا لأهل البدع والضلال الذين يردون المعية ويقولون: إن الله موجود بذاته في كل مكان، بل غلا منهم قوم يقال لهم الحلولية فقالوا: إن الله يحل في كل شيء من مخلوقاته، وهذه من أقبح المقولات تعالىٰ الله عما يقول الضّالون علوًّا كبيرًا، وقد فصّلنا أقوال أهل السنة والجماعة في هذه الصفة وذكرنا شبه أهل البدع حولها في فصل: **إثبات معية الله لخلقه**.

ثم ذكر الحديث الثالث عشر فقال: «**قَوْلُهُ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ الصَّلَاةِ؛ فَلَا يَبْصُقَنَّ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلَا عَنْ يَمِينِهِ، فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ»، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**».

قوله: قِبل وجهه يعني: أمامه، قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]، ونهىٰ عن البصاق عن اليمين لما ورد في رواية للبخاري، قوله: «فإن عن يمينه ملكًا»، كما أن اليمين أفضل من الشمال، فيكون اليسار أولىٰ بالبصاق، فإن تعذر بصق تحت قدمه، لقوله: «ولكن عن يساره أو تحت قدمه»، وإن كان في المسجد جعل البصاق في منديله أو ثوبه.

وفي الحديث إثبات صفتين لله تعالىٰ وهي: قرب الله تعالىٰ من عباده المؤمنين

حال الصلاة مع إحاطته عَزَّوَجَلَّ بخلقه، فكون المصلي حين صلاته يكون الله قِبل وجهه دليل علىٰ إحاطته عَزَّوَجَلَّ مع علوه عن خلقه واستوائه علىٰ عرشه، فالله قريب من المصلي بل قِبل وجهه حال صلاته، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌۢ ۝٥٤﴾ [فصلت: ٥٤]، وقال أيضًا: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ۝١٢٦﴾ [النساء: ١٢٦]، وهنا يكفي تصور المسألة من جهة العلم بما دلت عليه النصوص مع استحضار قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورىٰ: ١١].

قال العلامة العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يستفاد من الحديث أن الله تعالىٰ أمام وجه المصلي، ولكن يجب أن نعلم أن الذي قال ذلك هو الذي قال أيضًا: إنه في السماء، ولا تناقض في كلامه هذا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ومن باب تقريب المعنىٰ: فإن الشيء قد يكون عاليًا ويكون أيضًا قبل وجهك، فها هو الرجل يستقبل الشمس أول النهار حال شروقها ويستقبلها حال غروبها وهي في الحالتين في السماء، فإن كان هذا ممكنًا في المخلوق وهو الشمس؛ ففي الخالق من باب أولىٰ بلا شك»، ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فيستفاد من الحديث وجوب الأدب مع الله وأنه متىٰ آمن المصلي بذلك فإنه يحصل له خشوعًا وهيبة من الله عَزَّوَجَلَّ».

ثم أورد الحديث الرابع عشر، قال: «**وَقَوْلُهُ:** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ **«اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَالأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ! رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الحَبِّ وَالنَّوَىٰ! مُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ؛ اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ»، رَوَاهُ مُسْلِمٌ».**

في هذا الحديث إثبات العلو لله، وكذلك إثبات أربعة أسماء لله تعالىٰ: وهي: الأول، والآخر، والظاهر، والباطن، فالأول اسم ثابت لله ولا يقال **القديم** كما يقول

الفلاسفة من أهل الضلال، وإن كان الإخبار به يجوز؛ لأن باب الإخبار أوسع من باب الأسماء والصفات.

وقوله: «الظاهر» وهو العلو لله فوق كل شيء.

وقوله: «والباطن»؛ أي: ليس دون الله شيء، فلا أحد يدبر ولا يخفىٰ ولا ينفرد بشيء دون الله، فالله محيط بكل شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

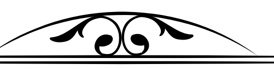
ومن فوائد الحديث إثبات أربع صفات لله وهي: الأولية والأخروية وهذه تدل علىٰ الإحاطة الزمانية، والظاهرية والباطنية وهذه تدل علىٰ الإحاطة المكانية.

ومن فوائد هذا الحديث إثبات التوسل إلىٰ الله بصفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وجواز ذلك.

● ثم قال شيخ الإسلام في الحديث الخامس عشر:

**«وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لَمَّا رَفَعَ الصَّحَابَةُ أَصْوَاتَهُمْ بِالذِّكْرِ: «أَيُّهَا النَّاسُ، أَرْبِعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا؛ إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا؛ إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَىٰ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ!»، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ».**

في الحديث إثبات قرب الله عَزَّ وَجَلَّ من خلقه مع علوه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وفيه من الصفات السلبية نفي كون الله أصم أو غائبًا، لكمال الضد وهو كمال سمعه وبصره وعلمه وقربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، قال العلامة العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذًا علمنا ما تضمن الحديث من معان عظيمة، فيستفاد من ذلك أنه لا ينبغي أن يشق المرء علىٰ نفسه في العبادات، بل يسير فيها سيرًا وسطًا إلىٰ الله لا تفريط ولا إفراط مع الحذر من الله، فالله سميع وقريب وبصير، فنبتعد عن مخالفته عَزَّ وَجَلَّ».



## ٨- إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة

• ثم قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في الحديث السادس عشر:

«قَوْلُهُ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ؛ فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن لا تُغْلَبُوا عَلَىٰ صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ».

في هذا الحديث إثبات الرؤية البصرية للمؤمنين لربهم يوم القيامة، رؤية حقيقية لا مشقة فيها ولا يحجب المؤمنين بعضهم بعضًا في هذه الرؤية، ومثّل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ سهولة هذه الرؤية لله في ذلك اليوم بسهولة رؤية الناس القمر في الدنيا ليلة البدر، وضوحًا وجلاءً دون مشقة ولا تزاحم بين الناس حال الرؤية لربهم، مع طمأنينة وراحة كاملة، وهذه كرامة لأهل الإيمان بالله في ذلك اليوم العظيم دون غيرهم من أهل الكفر والنفاق، وهذه الرؤية ثابتة بهذا الحديث وبآيات من القرآن تقدّم ذكرها في الحديث عن إثبات رؤية المؤمنين لربهم بأدلة القرآن.



## مواقف أهل السنة من هذه الأحاديث التي فيها إثبَات الصّفات الربّانية

• ثم قال شيخ الإسلام في ختام إيراد الأدلة من السنة في إثبات الصفات والأسماء والأفعال لله تعالىٰ، قال:

«بِأَمْثَالِ هَذِهِ الاحَادِيثِ الَّتِي يُخْبِرُ فِيهَا رَسُولُ اللهِ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عَنْ رَبِّهِ بِمَا يُخْبِرُ بِهِ، فَإِنَّ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالـجَمَاعَةِ يُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ، كَمَا يُؤْمِنُونَ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ».

ويقصد بقوله هذا هو وجوب النظر إلىٰ ما ثبت لله من هذه الصفات والأفعال والأسماء، من كل ما يُثبت من الأدلة ثبوتًا قطعيًّا ووجوب الحكم به، فحكمه حكم ما أوردنا لك من النصوص مع مراعات قاعدة أهل السنة والجماعة في الحذر من أمور أربع هي: التحريف، والتعطيل، والتكييف، والتمثيل لما جاء في هذه النصوص، فمعاشر أهل السنة يعملون بذلك منطلقين من قول الله تعالىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورىٰ: ١١]، يثبتون ما أثبت الله لنفسه من الصفات والأفعال والأسماء في كتابه العزيز، وما أثبته رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِۦ وَسَلَّمَ لربه في سنته، كل ذلك من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.



## مكانة أهل السنة والجماعة بين فِرق الأمة

ثم شرع شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في تقرير وبيان مكانة هذه الأمة أهل السنة والجماعة وأنهم هم الأمة الوسطية، فقال: «هُمُ الْوَسَطُ فِي فِرَقِ الْأُمَّةِ؛ كَمَا أَنَّ الْأُمَّةَ هِيَ الْوَسَطُ فِي الْأُمَمِ؛ فَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ صِفَاتِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ الْجَهْمِيَّةِ، وَأَهْلِ التَّمْثِيلِ الْمُشَبِّهَةِ».

حقًّا إن أمة الإسلام أمة الإجابة لمحمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، هم الأمة الوسط بين الأمم السابقة، ومعنىٰ الوسط هُنا: أنهم وسط بين شيئين، وهو بمعنىٰ الخيار والعدل، فهم عدول خيار معتدلين بين جماعات وملل منحرفة في أمور كثيرة، قال مُطرّف: «خيرُ الأمُورِ أواسِطُها»(١)، فهم وسط بين الغالي والجافي، وبين المتنطع والمتساهل، قال تعالىٰ في صفة هذه الأمة المحمدية: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، فأهل السنة والجماعة هم عدول خيار بين طرفين مذمومين، فلم يغلوا غلوا النصارىٰ ولم يقصروا كتقصير اليهود، فهم أهل اعتدال في كل ما يتقرر من المسائل، ففي باب الاعتقاد والتوحيد يصف أهل السنة والجماعة ربهم بما وصف الله به نفسه، ويقرون لله بالوحدانية في الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، أما اليهود فقد وصفوا الله

---

(١) قال الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إسناده صحيح موقوف: «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (١٤/ ١١٦٤- القسم الثالث).

بالنقائص وجعلوا مع الله شريكًا من خلقه وهو عزير، فقالوا: عزير ابن الله، تعالىٰ عن ذلك، وفي موضع شبهوا الله بالمخلوق فقالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨١]، وكذلك النصارىٰ أهل انحراف في العقيدة جعلوا عيسىٰ بن مريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ابن الله، بل قالوا: هو الله، وقالوا: ثالث ثلاثة، كل هذا في ملل الفرق الضالة.

كذلك في مسألة العبادات: فإن النصارىٰ يدينون لله بعدم الطهارة فلا يتنزهون عن الخبث والنجاسات لا في أبدانهم ولا ثيابهم، واليهود كذلك بعكس النصارىٰ فإنهم تشددوا فشدد الله عليهم فكانوا يقرضون النجاسات من الثياب ويهجرون المرأة إذا حاضت لم يؤاكلوها، وكل هذا من التنطع والتشديد والغلو، أما هذه الأمة المرحومة الوسط فلا إفراط عندهم ولا تفريط، فهم يتوقَّوْن النجاسات بالطهارة في أبدانهم وثيابهم وحال صلاتهم في مساجدهم ويباشرون الحائض دون الجماع.

وهكذا في باب المآكل والمشارب، فالنصارىٰ يستحلون الخبائث والمحرمات من الخمور والخنزير، واليهود حرم الله عليهم بعضًا من الطعوم قال تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الأنعام: ١٤٦]، أما هذه الأمة الوسط فأحل الله لهم الطيبات وحرم عليهم الخبائث ورفع الآصار والأغلال رحمة من الله بهم، فهم أمة وسط مباركة مرحومة عظيمة الدين، قويمة المسالك؛ لأنهم خيار من خيار آمنوا بالله ورسوله واحتكموا إلىٰ كتاب الله وسنن رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

ثم إن شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر أصولًا خمسة تتجلىٰ فيها وسطية هذه الأمة المحمدية من بين الأمم السابقة قاطبة، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الأصل الأول وهو: في باب الأسماء والصفات: «**فَهُمْ وَسَطٌ فِي: بَابِ صِفَاتِ اللهِ وَتَعَالَى بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ**

**الـجَهْمِيَّة، وَأَهْلِ التَّمْثِيلِ الْـمُشَبِّهَة»**، أما الجهمية فجعلوا العقل هو الميزان في إثبات صفات الله ونفيها، وعطلوا النقل من القرآن والسنة، وهذا من أعظم الضلال، فلا يثبتون لله إلا ما أثبت العقل، فنفوا جميع صفات الله عَزَّوَجَلَّ إلا صفة الوجود المطلق كما نفىٰ غلاتهم أسماء الله تعالىٰ فرارًا من التمثيل كما يزعمون، وقالوا: إن ما أضاف الله إلىٰ نفسه من الأسماء فإنما هو من باب المجاز وليس من باب التسمي، فالجهمية هم من غلاة المعطلة فنفوا صفات الله لفظها ومعناها هروبًا من التمثيل فوقعوا في التعطيل، فجعلوا الله من المعدومات، فالله عندهم لا فوق ولا أسفل ولا يمين ولا شمال، وليس له سمعًا ولا بصرًا ولا قدرةً ولا إرادةً، بل هو عندهم عدم مقدر في الأذهان ولا وجود له في الأعيان! تعالىٰ الله عن قولهم علوًّا كبيرًا، فهم قبحهم الله يدورون علىٰ القول بالعدم المحض، والجهمية ينسبون إلىٰ **الجهم بن صفوان الترمذي** الضال، وقد أخذ بدعته هذه من **الجعد بن درهم** وهو أول من تكلم بالتعطيل، وأول من قال بخلق القرآن، أخذها من **لبيد بن الأعصم اليهودي** الخبيث، ثم إن الأمير خالد بن عبد الله القسري قتل الجعد بعد ذلك بمشورة علماء التابعين في زمانه رَحِمَهُمُاللَّهُ.

أما الطائفة الأخرىٰ الممثلة المجسمة، فهم علىٰ النقيض للجهمية فأثبتوا بعضًا من الصفات الواردة في الكتاب والسنة لله علىٰ وجه المماثلة للمخلوقات، فقالوا: لله يد كيد المخلوق ووجه كوجه المخلوق وقالوا لله جسم كالأجسام، فغلوا في التمثيل حتىٰ شبهوا الله بالمخلوقات وضلوا كما ضلت الجهمية.

ومن هذه الفرق المعتزلة الذين ينكرون الصفات ويثبتون الأسماء، وكذلك الأشاعرة يثبتون الأسماء وسبعًا من الصفات فقط، تعالىٰ الله عما يقول الضالون علوًّا كبيرًا، أما أمة الهادي عَلَيْهِالصَّلَاةُوَالسَّلَامُ الوسط العدل، فهم وسط عدل في هذه

المسائل، فأثبتوا لله من الصفات والأفعال والأسماء ما يليق بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ونصب أعينهم قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورىٰ: ١١] فيصفون الله بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ووصفوا الله بصفات الكمال ونزهوه عن صفات النقص والعيب، وفي إثباتهم لصفات الله وأفعاله يتجردون من التحريف والتمثيل والتعطيل والتكييف.

وبهذا فضلت هذه الأمة المحمدية، قال تعالىٰ: ﴿وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝١٦﴾ [الجاثية: ١٦] وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إِنَّكُم تُتِمُّونَ سَبْعِينَ أُمَّة، أَنْتُم خَيرَهَا وَأَكْرَمَهَا عَلَىٰ اللهِ**»[1].

الأصل الثاني: في باب أفعال الله:

• قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «**وَهُمْ وَسَطٌ فِي: بَابِ أَفْعَالِ اللهِ بَيْنَ الـجَبْرِيَّةِ وَالْقَدَرِيَّةِ**».

أهل السنة والجماعة في هذا الباب باب أفعال الله وسط بين القدرية والجبرية وهما فريقان:

**الفريق الأول:** وهم الجبرية، وهم من الجهمية، وغلاة الصوفية، فهؤلاء يقولون: إن الإنسان في أفعاله كالريشة في مهب الريح ليس له اختيار البتة، وقالوا: فعل العبد للمنكرات والمعاصي إنما هو فعل الله، والعبيد ليس لهم قدرة ولا إرادة ولا فعل البتة، وسائر أفعاله طاعة؛ لأنها موافقة لإرادة الله الكونية القدرية، فهم يؤمنون بقدر الله عَزَّوَجَلَّ وغلوا في إثباته، حتىٰ سلبوا الإنسان قدرته واختياره، وقالوا: إن الله فاعل كل شيء، وليس للعبد اختيار ولا قدرة وإنما يفعل الفعل مجبراً عليه، حتىٰ قال

---

(١) حسن: «صحيح الترمذي» (٣/ ٢٠٥).

بعضهم: إن فعل العبد هو فعل الله، وظهر فيهم من يقول بالحلول والاتحاد، وهؤلاء هم الجبرية، ولا شك في فساد هذا المذهب، فهو مردود بالوحيين، وكذلك يرده العقل.

والجبرية سمو بذلك لأنهم يقولون: نحن مجبورون علىٰ أفعالنا، وقد أنكر السلف ذلك عليهم.

**الفريق الثاني**: هم القدرية، وهم من المعتزلة، وهم الذين يقولون: إن العبد مستقل بفعله، وليس لله فيه مشيئة ولا تقدير، حتىٰ غلا بعضهم فقال: إن الله لا يعلم فعل العبد إلا إذا فعله، أما قبل ذلك فلا يعلم عنه شيئًا وقالوا: إن القدرة الإلهية والمشيئة الإلهية لا علاقة لها في فعل العبد، فالعبد هو الفاعل المطلق الاختيار، وهؤلاء هم مجوس هذه الأمة، وقد جاءت فيهم الأحاديث كما جاء عند أبي داود في سننه من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**القَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الأُمَّةِ، إِن مَرِضُوا فَلَا تَعُودُوهُم وَإِن مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوهُم**»[(١)]، وأول من تكلم في هذا المذهب **معبد الجهني** ثم **غيلان الدمشقي**، وكان هذا في آخر عصر الصحابة، وأنكر عليهم الصحابة وتبرؤوا منهم وبدّعوهم، فهم يخالفون الفرقة الجبرية تمامًا، الذين غلوا في إثبات أفعال الله وقدره، وقالوا: إن الله يجبر الإنسان علىٰ فعله، وليس للإنسان اختيار البتة.

وكلا الفريقين ضل عن الهدىٰ وافترىٰ كذبًا علىٰ الله.

ومن القسم الثاني القدرية: أيضًا الأشاعرة، ثم ظهر فيهم من يقول: إن ظاهر أفعال العباد لهم مختارون لها، أما في الباطن فهم مُجْبرون، فقالوا هو كالسكين في يد

---

(١) «صحيح أبي داود» (٣/ ١٤٣)، «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٦/ ٥٦٣- حديث ٢٧٤٨).

القاطع فالفعل فعل العبد، والفاعل في الحقيقة هو الله، ثم جاء **أبو الحسن الأشعري** وقال بالكسب وهو: أن أفعال العباد كسب لهم أي: تُضاف إليهم وإلا فالفاعل هو الله، كل هذا من الضلال وترده نصوص الشرع.

أما أهل السنة والجماعة، أهل القول الوسط والعدل، المستدلون بنصوص الوحي، قالوا: إن أفعال العباد واقعة بمشيئة الله عَزَّوَجَلَّ وهي من خلق الله، فالعبد وعمله مخلوق لله، قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ۝٩٦﴾ [الصافات: ٩٦]، فلا يكون في الكون إلا ما خلق الله وما شاء الله، أما الإنسان فله اختيار وإرادة وقدرة، والله هو الذي خلق فيه القدرة والإرادة، فأفعال العباد باختيارهم وإرادتهم، ولو شاء الله لسلب منهم تلك الإرادة والقدرة، ومع ذلك هي واقعة بمشيئة الله وخلقه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

الأصل الثالث: الوعد، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ أهل السنة والجماعة وسط: **«فِي: بَابِ وَعِيدِ اللهِ بَيْنَ الْـمُرْجِئَةِ، وَبين الْوَعِيدِيَّةِ مِنَ الْقَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ»**.

فما قرره شيخ الإسلام هنا بأنه مذهب السلف من أهل السنة والجماعة هو الوسط بين فريقين من أهل الضلال، وهما المرجئة والوعيدية.

أما المرجئة فهم فرقة ضالة: وهم ينسبون إلىٰ الإرجاء، أي: التأخير لأنهم أخروا الأعمال عن مسمىٰ الإيمان، حيث زعموا أن الإيمان هو الاعتراف بالقلب فقط، فمرتكب الكبيرة غير فاسق وأن الناس في الإيمان سواء، فإيمان أفسق الناس كإيمان الأنبياء، وأن الأعمال الصالحة ليست من الإيمان، كما أنهم يقررون بأنه لا يضر مع الإيمان معصية، مهما بلغت صغيرة أم كبيرة، إذا لم تصل إلىٰ حد الكفر، وأيضًا يكذبون بالوعيد والعقاب بالكلية، ومذهبهم باطل ترده أدلة الكتاب والسنة وهو من أخبث المذاهب وأفسدها؛ إذ يدعو إلىٰ الانسلاخ من الدين وإهمال جميع

الأعمال واستباحة جميع المنكرات، وهم أحد فرق المبتدعة، وهم فرقتان:

الأولىٰ: القائلون إن الأعمال ليست من الإيمان، ومع ذلك يوافقون أهل السنة في أن الله يعذب أهل الكبائر بالنار ثم يخرجون بالشفاعة علىٰ ما صح في الآثار، ويقولون أيضًا أنه لا بد في الإيمان أن يتكلم به بلسانه، وأن الأعمال مفروضة وتاركها مستحق للعقاب.

الثانية: من المرجئة أيضًا يقولون إن الإيمان هو مجرد التصديق بالقلب وإن لم يتكلم به، وهذا قول فاسد معارض للآثار الصحيحة في الوحيين، فإن الإيمان فيها قول باللسان، وعمل بالأركان، واعتقاد بالجنان، فإذا أختل واحد من هذه الأركان لم يكن صاحبها مؤمنًا، وهذا هو الذي عليه أهل السنة بدليل الوحيين، وهو منهج السلف كما يقرره شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

أما قول شيخ الإسلام عن الوعيدية الفرقة الضالة الأخرىٰ: فهم يغلبون الوعيد خلافًا للمرجئة وهم القائلون بالوعيد، وهو أن الله لا يغفر لمرتكب الكبيرة إلا بالتوبة، وأن أهل الكبائر مخلدون في النار خارجون عن الإيمان بالكلية، وهذا القول أصل من أصول المعتزلة، كما أنهم يكذبون بشفاعة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهذا هو مذهب المعتزلة والخوارج وهو باطل بأدلة الوحيين والإجماع، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فخالف هؤلاء المعتزلة وقالوا: هو مخلد في النار مع أنهم يقولون: إن صاحب الكبيرة ليس بمؤمن ولا بكافر، ثم يقولون هو مخلد في النار ولو لمجرد شرب الخمر أو ارتكب أي ذنب ثم لم يتب منه، وكل هذه الأقوال باطلة، فهذا ملخص كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الفرقة الضالة.

ثم ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن القول الوسط وهو الحق ما قرره أهل السنة

والجماعة بأن نصوص الوعيد محكمة فنأخذ بها، وكذلك نصوص الوعد محكمة فنأخذ بها، وقرروا: أن الفاسق معه بعض الإيمان ومعه أصل الإيمان الواجب الذي به يستوجب له الجنة، وأن الفاسق تحت مشيئة الله إن شاء عفا الله عنه ابتداء وأدخله الجنة وإلا عذبه بقدر ذنوبه ثم يدخله الجنة، فالفاسق لا يعطىٰ الإيمان المطلق، ولا يسلب عنه مطلق الإيمان، بل يقال مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، وقد يقال ناقص الإيمان، وهذا هو الحق بأدلة الكتاب والسنة وهو الذي درج عليه السلف الصالح، فتبين مذهب أهل السنة بأنه خلاف مذهب أهل الضلال من الخوارج والمعتزلة والمرجئة الذين خالفوا السنة المتواترة وإجماع السلف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

• ثم قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الأصل الرابع في أسماء الإيمان والدين:
**«وَفِي: بَابِ أَسْمَاءِ الإِيمَانِ وَالدِّينِ، أَهْلُ السُّنَّةِ وَسَطٌ بَيْنَ الـحَرُورِيَّةِ وَالـمُعْتَزِلَةِ، وَبَيْنَ الـمُرْجِئَةِ وَالـجَهْمِيَّةِ»**.

هذا ما قرره شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ وسطية أهل السنة والجماعة، أيضًا في هذا الأصل وهو باب الأسماء والدين المقصود به باب الأحكام الذي هو: الوعد بالثواب أو الجنة، وكذلك الوعيد بالعقاب أو النار، **وهل فاعل الكبيرة مؤمن أم كافر؟**

فأهل السنة حكموا في هذه الأمور بنصوص الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة في هذه التعريفات والمسميات والأحكام، فهم عدل وسط بين الفرق الضالة من الخوارج الحرورية والمعتزلة وغيرهم.

**أما الفرقة الضالة الأولىٰ**: وهم الخوارج الحرورية أخرجوا فاعل الكبيرة من الإيمان وقالوا: هو كافر يحل دمه وماله، فكفروا الناس وخرجوا علىٰ الأئمة.

**الفرقة الثانية الضالة المرجئة الجهمية**: قالوا: إن صاحب الكبيرة مؤمن كامل الإيمان، ولو فعل ما فعل من الكبائر فهو كامل الإيمان كمن فعل الواجبات

والمستحبات وتجنب المحرمات والمكروهات فهما عندهم في الإيمان سواء، فهم علىٰ الضد من قول الخوارج الحرورية تمامًا في الاسم والحكم علىٰ مرتكب الكبيرة.

**الفرقة الثالثة الضالة وهم المعتزلة**: قالوا فاعل الكبيرة خرج من الإيمان، ولكنه لم يدخل في الكفر؛ فهو في منزلة بين المنزلتين؛ وادعوا أنهم بهذا القول أسعد الناس بالحق، وقولهم باطل بل هم مبتدعة بهذا القول، لا دليل لهم من كتاب الله ولا من سنة رسوله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، كيف لا وهذه الآيات في كتاب الله تنقض وترد ما قالوا، قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢٤﴾ [سبأ: ٢٤]، وقال أيضًا: ﴿فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ﴾ [يونس: ٣٢]، وقال أيضًا: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ﴾ [التغابن: ٢]، وفي السنة عند مسلم من حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِۦوَسَلَّمَ قال: «**الْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ**»(١).

ثم بعد قولهم هذا هم يوافقون الخوارج في الوعيد ويقولون: إن فاعل الكبيرة يوم القيامة مخلد في النار، أما في الدنيا فعندهم هو فاسق وعاصي، تجري عليه أحكام أهل الإسلام لأنه هو الأصل علىٰ حد قولهم، ومع ذلك يصلون علىٰ الفاسق إذا مات ويدعون له بالغفران وهم يكفرونه! فأي تناقض بعد هذا؟! ولكن أهل الضلال لا يعقلون.

أما أهل الحق هم أهل السنة والجماعة، فهم أهل العدل والوسط بين هذه الطوائف من أهل الضلال، فيقرر أهل السنة بأن المؤمن الفاعل للكبيرة مؤمن ناقص الإيمان، فهو فاسق بكبيرته، وهذا عين العدل، فلا يعطىٰ الإيمان المطلق ولا يسلب

---

(١) «صحيح مسلم» (٢٢٣).

منه، فنحن نحب ما عنده من الإيمان ونكره ما عنده من المعصية، ثم أمره يوم القيامة إلىٰ الله إن شاء عذبه ثم أدخله الجنة، وإن شاء غفر له وأدخله الجنة ابتداءً بفضله ورحمته عَزَّوَجَلَّ.

● ثم قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الأصل الخامس: «**وَفِي: أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الرَّافِضَةِ وبين وَالـخَوارِجِ**».

**والصحابي** تعريفه هو: من اجتمع بالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مؤمنًا به ومات علىٰ ذلك ولو تخللته ردة علىٰ الصحيح.

ومذهب أهل السنة في الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وسط بين الرافضة والخوارج، **فالرافضة**: هم الذين رفضوا زيد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، رفضوه لأنهم سألوه: ما تقول في أبي بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، يريدون منه أن يسبهما ويطعن فيهما، ولكنه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال لهم: نِعم الوزيران، وزيرا جدي، يقصد رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فأثنىٰ عليهما؛ فرفضوه، وغضبوا عليه، وتركوه، فسموا رافضة، هذا ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «منهاج السنة».

وهؤلاء الرافضة لهم أصول ومن أقبحها الإمامية، وهي: ادعاء عصمة الإمام، وأن مقام الإمام عندهم أرفع من مقام الأنبياء، فهو يتلقىٰ عن الله مباشرة بخلاف الأنبياء، بل إن غلاتهم يدعون أن الإمام يخلق ويقول للشيء كن فيكون! ومن أصولهم الخبيثة أن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ كفار، وأنهم ارتدوا بعد موت النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأن أبا بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ماتا علىٰ النفاق، ولا يستثنون من الصحابة إلا آل البيت، ونفر قليل ممن قالوا: إنهم أولياء آل البيت، ومن غلاة الرافضة من كفّر عليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لأنه أقر الظلم والباطل حين بايع أبا بكر ثم عمر، ولذا صار عندهم ظالما كافرًا، نعوذ بالله من هذا الضلال العظيم، ومن الرافضة وغلاتهم من

ادعىٰ أُلوهية علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وقالوا: إنه كان أحق بالنبوة من محمد رسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

أما الفرقة الثانية الضالة التي خالفها أهل السنة والجماعة في صحابة رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فهم الخوارج: وهم سموا بالخوارج لأنهم خرجوا علىٰ أمير المؤمنين عليّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وكفروه فقاتلهم، كما كفروا معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وكفروا كل من خالفهم من الصحابة ومن بعدهم، واستحلوا دماء المسلمين، وصدق فيهم ما ورد في الصحيحين من وصف رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لهم في قوله: «**لَا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُم حَنَاجِرَهُم، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمْيَّةِ**»[(١)].

أما أهل السنة والجماعة فكانت عقيدتهم في صحابة رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وسطًا وعدلًا بين هاتين الطائفتين من أهل الضلال، فأهل السنة يُجلّون آل البيت ويرون أن لهم حقين عليهم: حق الإسلام والإيمان، وحق القرابة من رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فهم ينزلونهم منزلتهم دون غلو ولا جفاء، يُجلّون أصحاب النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ويترضون عنهم فهم حواري رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وهم السابقون الأولون قد رضي الله عنهم وأرضاهم ولا يُذكرون إلا بالخير والفضل والإجلال والتوقير، والترضي ويقولون فيهم كما قال الله تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠]؛ وبذلك كان أهل السنة وسطًا بين فرق الضلال من الغلاة والجفاة، وهذا من فضل الله عليهم.



(١) «صحيح البخاري» (٦٩٣٠)، «صحيح مسلم» (١٠٦٦).

## الإيمان باستواء الله على عرشه وعلوّه على خلقه ومعيته لخلقه وأنه لا تنافي بينهما

بعدما ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ وسطية أهل السنة والجماعة بين الفرق الضالة في بعض المسائل، آخرها القول في صحابة رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ثم ذكر في هذه العقيدة بيان إثبات معية الله لخلقه مع بيان الجمع بينها وبين علو الله واستوائه علىٰ عرشه، حيث قال في المتن: «**وَقَدْ دَخَلَ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ: الإِيمَانُ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ، وَتَوَاتَرَ عَنْ رَسُولِهِ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الأُمَّةِ؛ مِنْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ، عَلَىٰ عَرْشِهِ، عَلِيٌّ عَلَىٰ خَلْقِهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا، يَعْلَمُ مَا هُمْ عَامِلُونَ**».

في هذا الفصل يقرر شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ عقيدة أهل السنة في الإيمان بعلو الله المطلق واستوائه سبحانه علىٰ عرشه، مع الإيمان أيضًا بمعيته مع خلقه وإثبات ذلك بأدلة الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، فنقول:

أولًا: إنه سبق معنا الكلام في علو الذات المطلق لله تعالىٰ وذكرنا ما أورده شيخ الإسلام من أدلة العلو من الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وأن علو الله علىٰ عرشه مسألة مقطوع بها عند أهل السنة، ولا ينكر ذلك إلا من لا يؤمن بالله عَزَّوَجَلَّ، أو مرتاب في ذلك، ثم أورد شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الفصل أدلة علو الله مع معيته وقربه لخلقه المعية الخاصة والعامة لتأكيد هذا الأمر، وأن الإيمان بالعلو لله مع إثبات المعية مما دخل في الإيمان بالله، وأن الذين ينفون ذلك ويقولون: إن الإيمان بالعلو

مقصود به علو القدر والقهر، فلبيان ضلالهم أعاد تقرير هذه المسألة، فأهل السنة يقررون الإيمان بعلو الله وأن الله ليس في كل مكان ولا هو حال بكل الأمكنة، فمن أنكر ذلك فإنه منكر للأدلة الشرعية، لكن أهل السنة اختلفوا في تكفير نفاة العلو؛ فمنهم من كفرهم وآخرون قالوا: إنهم متأوِّلة فلم يكفروهم.

فذكر هنا شيخ الإسلام هذه المسألة: «**أَنَّهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَلَىٰ عَرْشِهِ، عليٌّ عَلَىٰ خَلْقِهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا**»؛ أي: إن الله مع علوه واستوائه علىٰ عرشه فهو معهم يعلم ما هم عاملون، ثم استدل بقوله لهذا فقال: «**كما جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤﴾** [الحديد: ٤]، **وَلَيْسَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ أَنَّهُ مُخْتَلِطٌ بِالخَلْقِ، فَإِنَّ هَذَا لَا تُوجِبُهُ اللُّغَةُ**».

في هذه الآية دليل في إثبات العلو والمعية، ففي قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ إثبات العلو، وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ إثبات المعية، فجمع بين العلو والمعية في آية واحدة ولا منافاة بين الأمرين، فالله قادر علىٰ كل شيء سبحانه، قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ووجه الجمع في هذه الآية من وجوه ثلاثة:

**الأول**: إنه ذكر استواءه علىٰ العرش، ثم قال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾، وإذا جمع الله لنفسه بين صفتين؛ فإننا نعلم علم يقين أنهما لا يتناقضان؛ لأنهما لو تناقضا لاستحال اجتماعهما؛ إذ المتناقضين لا يجتمعان ولا يرتفعان؛ فلا بد من وجود أحدهما وانتفاء الآخر.

**الثاني**: ولو كان هناك تناقض؛ لزم أن يكون أول الآية مكذبًا لآخرها أو

بالعكس.

وكذلك قد يجتمع العلو والمعية في المخلوقات؛ كما سيذكره شيخ الإسلام في قول الناس: سرنا والقمر معنا.

الثالث: لو فرض تعارضهما بالنسبة للمخلوق؛ لم يلزم ذلك بالنسبة للخالق عَزَّوَجَلَّ؛ لأن الله ليس كمثله شيء سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

وقول شيخ الإسلام: «وليس معنىٰ قول الله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾؛ أنه مختلط بالخلق»: نقول: إن شيخ الإسلام بهذه الآية وما تضمنت من المعاني الواضحة يرد علىٰ أهل الضلال من نفاة العلو الذين ظنوا أن قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ تقتضي حلول الله عَزَّوَجَلَّ في جميع الأماكن، تعالىٰ عن ذلك، فنفوا علو الذات لله، فرد عليهم شيخ الإسلام بقوله هذا: «**وَلَيْسَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ أَنَّهُ مُخْتَلِطٌ بِالخَلْقِ، فَإِنَّ هَذَا لَا تُوجِبُهُ اللُّغَةُ**».

وقول شيخ الإسلام صحيح؛ لأن معنىٰ (مع) في اللغة لا تقتضي الاختلاط، ولا تقتضي معية قرب في الذات، ويفهم هذا من هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ [التوبة: ١١٩]؛ أي: كونوا في صحبتهم، ونحن في هذا الزمان معهم بإذن الله مع بعد الأزمنة بيننا.

• ثم قال شيخ الإسلام مستطردًا في الرد عليهم: «**وَهُوَ خِلَافُ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الأُمَّةِ، وَخِلَافُ مَا فَطَرَ اللهُ عَلَيْهِ الخَلْقَ**».

وهذا القول حق، وقد مضىٰ معنا أقوال السلف وإجماعهم علىٰ هذا مستدلين بأدلة من القرآن والسنة.

أما الفطرة فإن المخلوق السوي مفطور علىٰ أن الخالق بائن من المخلوقات، فلا أحد يعتقد أن الله حال في خلقه، وقد ذكر بعض أهل العلم دليلًا علىٰ الفطرة: أنه

حتىٰ الملحد إذا مرض فإنه يتوجه إلىٰ السماء بفطرته، وهذا أمر معلوم مشهود، ولذلك تحصل أن من قال بالاختلاط فهو مخالف للشرع والعقل والفطرة.

• ثم قال شيخ الإسلام فيما يقرره في هذه المسألة: «الْقَمَرُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ مِنْ أَصْغَرِ مَخْلُوقَاتِهِ، وَهُوَ مَوْضُوعٌ فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ مَعَ الْمُسَافِرِ وَغَيْرُ الْمُسَافِرِ أَيْنَمَا كَانَ».

وهذا أمر جلي واضح للعيان لا أحد يكاد ينكره، وهو من باب تقريب المعنىٰ، ذلك أن القمر من أصغر المخلوقات، وهو في السماء، ويجده المسافر في الليلة القمراء يسير معه أينما كان، ولا أحد يقول بتناقض هذا الأمر ولا أحد يدعي اختلاطًا في هذا الأمر، ثم لا بد من أن نجري آيات المعية علىٰ ظاهرها، ونقول: إن الله معنا حقيقة وإن كان هو في السماء فوق كل شيء.

• ثم قال شيخ الإسلام: «وَهُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، رَقِيبٌ عَلَىٰ خَلْقِهِ، مُهَيْمِنٌ عَلَيْهِمْ، مُطَّلِعٌ عَلَيْهِم إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِن مَعَانِي رُبُوبِيَّتِهِ».

يقرر بهذا رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أن الله عَزَّوَجَلَّ مع الخلق حقيقة علىٰ ما تبين معنا، والله مع ذلك فوق عرشه، قال: «رقيب علىٰ خلقه»؛ أي: مراقب حافظ لأفعالهم وأقوالهم وحركاتهم وسكناتهم، قال: «مهيمن عليهم»؛ أي: مسيطر علىٰ عباده، له الحكم، ويرجع إليه الأمر كله، وأمره إذا أراد شيئًا أن يقول له: كن فيكون، ومعنىٰ قوله: «إلىٰ غير ذلك من معاني الربوبية»؛ أي: المعاني التي يقتضيها اسم الرب، فإن الله هو المالك المدبر؛ لأنه هو الخالق والمتصرف في الأمر وبيده الملكوت وهو الذي يُجير ولا يُجار عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.



## اعتقاد علو الله
## ومعنى كونه في السماء سبحانه

• ثم قال شيخ الإسلام: «وَكُلُّ هَذَا الْكَلامِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ، مِنْ أَنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ وَأَنَّهُ مَعَنَا، حَقٌّ عَلَىٰ حَقِيقَتِهِ، لا يَحْتَاجُ إِلَىٰ تَحْرِيفٍ، وَلَكِنْ يُصَانُ عَنِ الظُّنُونِ الْكَاذِبَةِ؛ مِثْلِ أَنْ يُظَنَّ أَنَّ ظَاهِرَ قَوْلِهِ: ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ أَنَّ السَّمَاءَ تُظِلُّهُ أَوْ تُقِلُّهُ، وَهَذَا بَاطِلٌ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالإِيمَانِ؛ فَإِنَّ اللهَ قَدْ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَهُوَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولا، وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَىٰ الأَرْضِ؛ إلا بِإِذْنِهِ، وَمَنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ».

ما أورده شيخ الإسلام في هذه العبارات، هو تأكيد لما سبق من أن الله فوق عرشه حق وحقيقة، وأنه أيضًا مع خلقه، وأن معيته حقيقة علىٰ ما جاء من كلام السلف، وأن هذه الصفات ينبغي اعتقادها والحذر من تحريفها.

وفي قوله هذا رد علىٰ المعطلة والجهمية والمعتزلة وغيرهم ممن يزعمون أن هذه الصفات ليست حقيقية وإنها من المجاز، والأدلة من الكتاب والسنة الصحيحة وإجماع السلف علىٰ ذلك ترد أقوالهم الباطلة.

فعلىٰ المؤمن أن يحذر من هذه الظنون الباطلة الكاذبة، وقد جاءت النصوص الشرعية في ذم هذه الظنون، قال تعالىٰ: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۝٢٨﴾ [النجم: ٢٨]، وثبت عن رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه قال: «**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ،**

فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ»[(١)].

فينبغي أن يُصان كلام الله تعالىٰ ورسوله عن هذه التخرُّصات والظنون الباطلة، فإذا قال الله أنه في السماء، فحري بالمؤمن الحذر من أن يفهم بظنه أن تقله أو تظله، كحال الآدمي مع سقف بيته فمن ظن ذلك فقد كذب في ظنه، فيجب عليه أن يصون الأدلة الشرعية، ويوقن أن الله عالٍ فوق عرشه حقيقة بائن من خلقه لا يحل فيهم ولا يختلط، تعالىٰ الله عن هذه الظنون الباطلة التي يوردها المبتدعة.

ويزيد يقين المؤمن قوله تعالىٰ ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، أي: أحاط كرسيه -وهو موضع قدمي الرحمن- بالسماوات السبع والأرضين السبع، فكيف يظن بعد ذلك أن السماء تظل الله أو تقله؟!

وقال تعالىٰ أيضًا: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ﴾ [فاطر: ٤١]، أي: إن السماوات والأرض بحاجة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ والله غني عنهما وعن كل مخلوقاته، كما يزيد بطلان أقوال المبتدعة قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ﴾ [الروم: ٢٥]، فأمر السماوات والأرض قائم بأمر الله الكوني والشرعي، وجميع أوامر الله قائمة بالحكمة والرحمة والعدل والإحسان.



(١) «صحيح البخاري» (٦٠٦٤)، «صحيح مسلم» (٢٥٦٣).

## وجوب الإيمان بقربه من خلقه سبحانه
## وهذا لا ينافي علوّه وفوقيَّته

• ثم قال شيخ الإسلام بعد ذلك: «وَقَد دَخَلَ فِي ذَلِكَ الإِيمَانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ مُجِيبٌ؛ كَمَا جَمَعَ بينَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَىٰ أَحَدِكُم مِن عُنُقِ رَاحِلَتِهِ»، وَمَا ذُكِرَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ قُرْبِهِ وَمَعِيَّتِهِ لَا يُنَافِي مَا ذُكِرَ مِنْ عُلُوِّهِ وَفَوْقِيَّتِهِ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ نُعُوتِهِ، وَهُوَ عَلِيٌّ فِي دُنُوِّه، قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ».

قول شيخ الإسلام هنا: «وقد دخل في ذلك» أي: في الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، دخل في ذلك الإيمان بأن الله عَزَّوَجَلَّ قريب من خلقه مجيب، فأهل السنة والجماعة يقرون أن الله قريب من عباده، لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقرب الله من عباده لا يستلزم أن يكون الله في المكان الذي هم فيه كما فصّلنا ذلك في الكلام علىٰ المعيّة.

وقد ثبت قرب الله من عباده من السنة، فعن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «كنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فِي غَزْوَةٍ فَجَعَلْنَا لَا نَصْعَدُ شرفًا وَلَا نَعْلُو شرفًا وَلَا نَهْبِطُ وَادِيًا إِلَّا رَفَعْنَا أَصْوَاتَنَا بِالتَّكْبِيرِ، قَالَ فَدَنَا مِنَّا رَسُولُ اللهِ فَقَالَ: **يَا أَيُّهَا النَّاسُ؛ ارْبَعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُم، فَإِنَّكُم لَا تَدْعُونَ أَصَمًّا وَلَا غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا**

بَصِيرًا، إِنَّ الذِي تَدْعُونَ أَقْرَبُ إِلَىٰ أَحَدِكُم مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ»[١]، قوله: «اربعوا»؛ أي: ارفقوا بأنفسكم واخفضوا أصواتكم؛ لأن رفع الصوت إنما يكون لمخاطبة البعيد.

والقرب هنا المراد به الإحاطة والعلم، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في: «مدارج السالكين» في معنىٰ ما ورد في الحديث: «وَأَنْتَ البَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْء»، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فهذا قرب الإحاطة العامة، وأما دليل الإحاطة الخاصة في الآية السابقة: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾، ودليل قرب الله من عباده السائلين الداعين، كما جاءت الأدلة عن قرب الله لعباده المصلين الساجدين القائمين: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ»[٢].

ومعنىٰ قول شيخ الإسلام عن الله: «وهو عليٌّ في دنوه، قريب في علوّه»: المقصود هو علو الذات، مع دنوّه وقربه من عباده متىٰ شاء، كدنوه من أهل عرفة في المشهد، ففي صحيح مسلم من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِن يَوْمٍ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُعتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟»[٣]، فتعالىٰ الله وتقدس في صفاته، فمن نعوته أنه عليٌّ مع دنوّه، وأنه قريب مع علوّه، وأنه لا تناقض في ذلك علىٰ ما قرره أهل السنة والجماعة من أدلة الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، مستحضرين القاعدة العظيمة في الآية الكريمة: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورىٰ: ١١].



---

(١) «صحيح البخاري» (٤٢٠٥)، «صحيح مسلم» (٢٧٠٤).

(٢) «صحيح مسلم» (٤٨٢).

(٣) «صحيح مسلم» (١٣٤٨).

## الإيمان بأن القرآن كلام الله حقيقة

• ثم قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَمِنَ الإِيمَانِ باللهِ وَكُتُبِهِ الإيمانُ بأَنَّ الْقُرْآنَ كَلامُ اللهِ، مُنَزَّلٌ، غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ، وَأَنَّ اللهَ تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً، وَأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ هُوَ كَلامُ اللهِ حَقِيقَةً، لا كَلامَ غَيْرِهِ.

وَلا يَجُوزُ إِطْلاقُ الْقَوْلِ بِأَنَّهُ حِكَايَةٌ عَنْ كَلَامِ اللهِ، أَوْ عِبَارَةٌ؛ بَلْ إِذَا قَرَأَهُ النَّاسُ أَوْ كَتَبُوهُ فِي الْمَصَاحِفِ؛ لَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ كَلامَ اللهِ تَعَالَىٰ حَقِيقَةً، فَإِنَّ الْكَلامَ إِنَّمَا يُضَافُ حَقِيقَةً إِلَىٰ مَنْ قَالَهُ مُبْتَدِئًا، لا إِلَىٰ مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغًا مُؤَدِّيًا.

وَهُوَ كَلامُ اللهِ؛ حُرُوفُهُ، ومَعَانِيهِ؛ لَيْسَ كَلامُ اللهِ الْحُرُوفَ دُونَ الْمَعَانِي، وَلا الْمَعَانِيَ دُونَ الْحُرُوفِ».

في هذه العقيدة المباركة يقرر شيخ الإسلام إثبات الإيمان بأن القرآن كلام الله حقيقة لا مجازًا؛ كما يدعي أهل الضلال من المبتدعة كالأشاعرة وغيرهم، قوله: «من الإيمان»؛ أي: بركن من أركان الإيمان في حديث جبريل الطويل: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه، فمن كتبه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ القرآن، والقرآن كلام الله، والكلام صفة من صفات الله تعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وفي حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يعرض نَفْسَه بِالمَوْقِفِ فَيَقُولُ: **أَلَا رَجُل يَحْمِلُنِي إِلَىٰ قَوْمِهِ، فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَن أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي**»[١].

---

(١) أخرجه أبوداود (٤٧٣٤)، والترمذي (٢٩٢٥) وغيرهما، انظر «صحيح أبي داود» (٣/ ١٥٨).

والسلف مجمعون علىٰ ذلك ومن أنكر أنه كلام الله فهو كافر.

قوله: «منزل»؛ أي: أنزله الله، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١﴾ [القدر: ١]، أي: إلىٰ بيت العزة من السماء الدنيا، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ [الحجر: ٩]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ﴾ [النحل: ١٠٢]، وقال أيضًا: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣﴾ [الشعراء: ١٩٣]، أي: جبريل، فجبريل سمع القرآن حين تكلم به الله، ثم النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ سمعه من جبريل، وفي هذا رد علىٰ الجهمية والمعتزلة، ممن يقولون: إن القرآن غير منزل من الله.

وقوله: «غير مخلوق»؛ أي: كلام غير مخلوق لا يبيد ولا ينفذ، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ﴾ [لقمان: ٢٧]، ومن زعم أن القرآن مخلوق فقد كذّب القرآن، وقد كفّر السلف من قال بخلق القرآن، وقالوا عن القرآن الذي نتلوه بألسنتنا وفيما هو بين الدفتين والذي في صدورنا ومكتوبًا ومحفوظًا، وكل حرف منه كلام الله غير مخلوق، وفي هذا رد علىٰ الجهمية والمعتزلة.

وقوله: «منه بدأ وإليه يعود»؛ أي: من الله بدأ كلامًا منزلًا وإليه يعود في آخر الزمان يرجع ويرفع فلا يبقىٰ منه في الصدور ولا في الصحف آية، وهذا من أشراط الساعة كما في حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

وقوله: «وأن الله تكلم به حقيقة»؛ أي: إن القرآن كلام الله حقيقة صفة لله، وصفات الله غير مخلوقة، قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من قال: لفظي بالقرآن مخلوق؛ فهو جهمي، ومن قال: غير مخلوق فهو مبتدع»؛ لأنه يُفهم منه أنه يريد اللفظ فقط أي: ذات اللفظ مخلوق، فلا ينبغي أن يوهم بهذا القول، فنقول لا بد أن يصرح ويقول القرآن كلام الله غير مخلوق، هذه هي عبارة أهل السنة والجماعة صريحة.

وقوله: «وَلَا يَجُوزُ إِطْلَاقُ الْقَوْلِ بِأَنَّهُ حِكَايَةٌ عَنْ كَلَامِ الله أَوْ عِبَارَةٌ»: يعني أن هذه عبارة أهل البدع فيجب الحذر منها، كالذين قالوا: إنه حكاية وهم الكُلّابية، ويقصدون حكاية، أي: مماثلة كما يحكي الصدىٰ في الصوت كلام المتكلم، والذين قالوا: إنه عبارة وهم الأشاعرة، ويقصدون أنه كلام نفسي بحروف وأصوات مخلوقة، والفريقان ينكران أن القرآن الذي في المصحف كلام الله.

وملخص قول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ لابد من التصريح والتعيين الواضح أن القرآن هو كلام الله حقيقة.

وأما معنىٰ قوله: «بَلْ إِذَا قَرَأَهُ النَّاسُ أَوْ كَتَبُوهُ فِي الْمَصَاحِفِ؛ لَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ كَلامَ اللهِ تَعَالَىٰ حَقِيقَةً، فَإِنَّ الْكَلامَ إِنَّمَا يُضَافُ حَقِيقَةً إِلَىٰ مَنْ قَالَهُ مُبْتَدِئًا، لا إِلَىٰ مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغًا مُؤَدِّيًا.

وَهُوَ كَلامُ اللهِ؛ حُرُوفُهُ، ومَعَانِيهِ؛ لَيْسَ كَلامُ اللهِ الْحُرُوفَ دُونَ الْمَعَانِي، وَلا الْمَعَانِيَ دُونَ الْحُرُوفِ».

في هذه العبارات بيان من شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ أن للقرآن مراتب من حيث وجوده، فإنه كان مكتوبًا في اللوح المحفوظ، ثم نزل إلىٰ بيت العزة في السماء الدنيا مكتوبًا، ثم كتبه المسلمون في المصاحف وطبعوه، ففي جميع هذه المراحل هو كلام الله حقيقة، فلا فصل بين كونه مكتوبًا أو مقروءًا، فلا نقول إن الكلام هو كلام الله حال التكلم به ثم ننفي أنه كلام الله حال كتابته فنقول إنه ليس كلام الله، لا، هذا لا يجوز، بل هو كلام الله حال التكلم به وحال كتابته حروفًا وكلمات، بل هو في جميع هذه المراحل والمراتب كلام الله عَزَّوَجَلَّ، ولذلك قال: «إِذَا قَرَأَهُ النَّاسُ أَوْ كَتَبُوهُ فِي الْمَصَاحِفِ؛ لَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ كَلامَ اللهِ تَعَالَىٰ حَقِيقَةً»: فالمقروء كلام الله والمسموع كلام الله، ولذلك بين شيخ الإسلام أن مراحله كلها لا تخرجه عن كونه

كلام الله حقيقة من حين تكلم الله به ابتداءً إلىٰ أن يكون مسموعًا أو مقروءًا، ولذلك أوضح هذا الأمر بقوله: «فَإِنَّ الْكَلامَ إِنَّمَا يُضَافُ حَقِيقَةً إِلَىٰ مَنْ قَالَهُ مُبْتَدِئًا، لا إِلَىٰ مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغًا مُؤَدِّيًا».

فالمتكلم بالقرآن أولًا هو الله، والناقل لكلام الله هو جبريل، ثم المتلقي من جبريل هو رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ثم هو مبلغ هذا الكلام إلىٰ جميع المسلمين، وفي كل هذه المراحل والمراتب هو كلام الرب حقيقة، ثم زاد وضوحًا بقوله: «**وَهُوَ كَلَامُ الله، حُرُوفُهُ وَمَعَانِيهِ، لَيْسَ كَلَامُ الله الحُرُوف دُونَ المَعَانِي، وَلَا المَعَانِي دُونَ الحُرُوف**»، فكلام الله مشتمل لحروف ذات معان، وتكلم الله بها بحرف وصوت، وكل هذا مجمع عليه عند أهل السنة والجماعة، داخل في مرتبة الإيمان بكتاب الله، وهو ركن من أركان الإيمان، ومن آمن بهذا فقد حقق هذا الركن، ومن اعتقد خلاف هذا التفصيل فإنه آثم وعلىٰ شعبة من الضلال، فهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، أما أهل الضلال ففارقوا السبيل وضلّوا.



## الإيمان برؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة ومواضع الرؤية

• ثم قال شيخ الإسلام في فصل آخر يقرر فيه أصلًا من أصول هذا الدين العظيم، وهو الإيمان برؤية المؤمنين ربهم عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة ومواضع الرؤية فقال: «وَقَد دَخَلَ أَيْضًا فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الإِيمَانِ بِهِ وَبِكُتُبِهِ وَبِمَلائِكَتِهِ وَبِرُسُلِهِ: الإِيمَانُ بِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِيَانًا بِأَبْصَارِهِمْ كَمَا يَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ بِهَا سَحَابٌ، وَكَمَا يَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لا يُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ. يَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ وَهُمْ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَرَوْنَهُ بَعْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ؛ كَمَا يَشَاءُ اللهُ تَعَالَىٰ».

في هذا الفصل يذكر شيخ الإسلام أن الإيمان برؤية المؤمنين لله يوم القيامة من الإيمان بالله وكتبه ورسله، ذلك بأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أخبر بها في كتابه، كما أخبر بها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، ومن لم يؤمن بأنه سبحانه يراه المؤمنون يوم القيامة، فقد رد أدلة الكتاب والسنة وخالف ما عليه سلف الأمة، ولم يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «من لم يقل بالرؤية فهو جهمي»، ونقل عنه قوله: «من زعم أن الله لا يُرِ في الآخرة فقد كفر بالله وكذب القرآن ورد علىٰ الله أمره فإنه يستتاب وإلا قتل»، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «دل الكتاب والسنة المتواترة وإجماع الصحابة وأئمة أهل الإسلام، أن الله يرىٰ يوم القيامة بالأبصار عيانًا كما يرىٰ القمر ليلة البدر، وكما ترىٰ الشمس صحوًا، ولما كان ما أخبر الله به ورسوله حقيقة، -وإنه والله لحق وحقيقة-»، إلىٰ أن قال: «ولا يجتمع في قلب عبد اطلع علىٰ هذه

الأحاديث، وفهم معناها وأنكرها لا يجتمع والشهادة بأن محمدًا رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أبدًا».

وقول شيخ الإسلام هذا عليه الأدلة المتواترة من الكتاب والسنة، قال تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٢ – ٢٣]، هذا لأهل الإيمان، أما الكفار فإنهم لا يرونه سبحانه، قال تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ [المطففين: ١٥]، وتخصيص الرؤية يوم القيامة فيه الرد علىٰ المبتدعة من الصوفية في زعمهم أنه سبحانه يُرىٰ في الدنيا وهذا باطل، وفي صحيح مسلم مرفوعًا: «**وَاعْلَمُوا أَنَّكُم لَنْ تَرَوا رَبَّكُم حَتَّىٰ تَمُوتُوا**».

وقول شيخ الإسلام: «عيانًا بأبصارهم»؛ أي: يرونه بأعينهم حقيقة لا خفاء فيها، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «أن أناسًا قالوا: يَا رَسُول اللهِ؛ هَل نَرَىٰ رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: **هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤيَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ؟** قَالُوا: لَا، قَالَ: **فَإِنَّكُم تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ**»، وقد تقدم معنا في إثبات صفة هذه الرؤية أدلة أخرىٰ منها حديث جرير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقد بلغت أحاديث الرؤية حد التواتر، وفي هذه الآثار الرد علىٰ الأشاعرة وغيرهم من أهل البدع والضلال ممن يقولون بأن الله سبحانه يُرىٰ من غير مواجهة ومعاينة.

والرؤية الأولىٰ للمؤمنين لربهم يوم القيامة تكون في عرصات القيامة أولًا، ثم هناك الرؤية الأخرىٰ، كما ذكر شيخ الإسلام في هذا المتن: «**ثُمَّ يَرَوْنَهُ بَعْدَ دُخُولِ الجَنَّةِ**»، وفي حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**أَتَانِي جِبْرِيلُ** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **وَفِي يَدِهِ مِرْآةٌ بَيْضَاء فِيهَا نكْتَةٌ سَوْدَاء فَقُلْتُ: مَا هَذِهِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذِهِ الجُمُعَة...**» إلىٰ أن قال: «**وَهُوَ سَيِّدُ الأَيَّامِ عِنْدَنَا وَنَحْنُ نَدْعُوهُ فِي الآخِرَةِ يَوْمَ الْمَزِيدِ، قَالَ قُلْتُ: لِمَ تَدْعُونَهُ يَوْمَ المَزِيدِ؟ قَالَ: إِنّ رَبَّكَ** عَزَّوَجَلَّ **اتَّخَذَ فِي الجَنَّةِ وَادِيًا أَفْيَحَ مِنْ مِسْكٍ أَبْيَضَ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الجُمُعَةِ**

نَزَلَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِنْ عِلِّيِّينَ عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ، ثُمَّ حفَّ الكُرْسِيُّ بِمَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، وَجَاءَ النَّبِيُّونَ حَتَّىٰ يَجْلِسُوا عَلَيْهَا، ثُمَّ حفَّ المَنَابِرَ بِكَرَاسِي مِنْ ذَهَبٍ، ثُمَّ جَاءَ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ حَتَّىٰ يَجْلِسُوا عَلَيْهَا، ثُمَّ يَجِيءُ أَهْلُ الجَنَّةِ حَتَّىٰ يَجْلِسُوا عَلَىٰ الكَثِيبِ فَيَتَجَلَّىٰ لَهُمْ رَبُّهُم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حَتَّىٰ يَنْظُرُوا إِلَىٰ وَجْهِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: أَنَا الَّذِي صَدَقْتُكُم وَعْدِي وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُم نِعْمَتِي هَذَا مَحَلّ كَرَامَتِي فَسَلُونِي، فَيَسْأَلُونَهُ الرِّضَا فَيَقُول اللهُ عَزَّوَجَلَّ: رِضَائِي أُحِلُّكُم دَارِي وَأَنَالكُم كَرَامَتِي، فَسَلُونِي فَيَسْأَلُونَهُ حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ رَغْبَتُهُم، فَيفْتَحُ لَهُم عِنْدَ ذَلِكَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَت وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَر إِلَىٰ مِقْدَارِ مُنْصَرَفِ النَّاسِ يَوْم الجُمُعَةِ، ثُمَّ يَصْعَدُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ فَيَصْعَدُ مَعَهُ الشُّهَدَاءُ وَالصِّدِّيقُونَ -أحسبه قال- وَيَرْجِعُ أَهْلُ الغُرَفِ إِلَىٰ غُرَفِهِم دُرَّة بَيْضَاءَ لَا فَصْمَ فِيهَا وَلَا وَصمَ أَو يَاقُوتَة حَمْرَاء أَو زَبَرْجَدَة خَضْرَاء مِنْهَا غُرَفهَا وَأَبْوَابهَا مُطَّرِدَة فِيهَا أَنْهَارهَا مُتَدَلِّيَة فِيهَا ثِمَارهَا فِيهَا أَزْوَاجهَا وَخَدَمهَا، فَلَيْسُوا إِلَىٰ شَيْءٍ أَحْوَجَ مِنْهُم إِلَىٰ يَوْمِ الجُمُعَةِ لِيَزْدَادُوا فِيهِ كَرَامَةً وَلِيَزْدَادُوا فِيهِ نَظَرًا إِلَىٰ وَجْهِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَلِذَلِكَ دُعِيَ يَوْمَ الْمَزِيد»[(١)].

وقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في آخر هذا الجزء من المتن: «كما يشاء الله تعالىٰ»؛ أي: علىٰ الوجه الذي يشاء الله عَزَّوَجَلَّ في هذه الرؤية، فإثبات الرؤية عند أهل السنة معلوم، وأما كيفيتها فعلمها عند الله، بل هي كما يشاء الله، والله علىٰ كل شيء قدير سبحانه.

---

(١) حسن لغيره: «صحيح الترغيب» (٣/ ٥٢٥ – حديث ٣٧٦١).

# ما يدخل في الإيمان باليوم الآخر

## ١- ما يكون في القبر

• ثم قال شيخ الإسلام «فَصْلٌ: وَمِنَ الإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الآخِرِ الإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ، فَيُؤْمِنُونَ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ. فَأَمَّا الْفِتْنَةُ؛ فَإِنَّ النَّاسَ يُمْتَحَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ، فَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَن رَّبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَن نَّبِيُّكَ؟

فَيُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: رَبِّيَ اللهُ، وَالإِسْلامُ دِينِي، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ نَبِيِّي.

وَأَمَّا الْمُرْتَابُ؛ فَيَقُولُ: هَاه هَاه؛ لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ، فَيُضْرَبُ بِمِرْزَبَةٍ مِنْ حَدِيدٍ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ؛ إلا الإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهَا الإِنْسَانُ؛ لَصُعِقَ. ثُمَّ بَعْدَ هذِهِ الْفِتْنَةِ إِمَّا نَعِيمٌ وَإِمَّا عَذَابٌ، إِلَىٰ أَنْ تَقُومَ الْقِيَامَةُ الْكُبْرَىٰ، فَتُعَادُ الأَرْوَاحُ إِلَى الأَجْسَادِ».

هنا شرع شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة في اليوم الآخر: فقال: «فَصْلٌ: وَمِنَ الإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الآخِرِ الإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ»، يقصد أن أهل السنة يؤمنون باليوم الآخر، وهو ركنٌ من أركان الإسلام لما جاء في الصحيحين من حديث أمير المؤمنين

عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في السؤال عن الإيمان، والإيمان به أصل من أصول أهل السنة والجماعة، والمراد بالإيمان به؛ أي: التصديق الكامل بأنه آخر يوم في حياة البشر بعد موت جميع الخلق إذ لا يوم بعده، وفيه يتقرر مصير الإنسان: إما إلىٰ جنة، أو إلىٰ النار، ويؤمنون بما يقع في ذلك اليوم من أعمال يوم القيامة من: الحساب، والميزان، والجنة، والنار، وسمي ذلك اليوم باليوم الآخر لأنه لا يوم بعده.

وقول شيخ الإسلام: «الإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ المَوْتِ»؛ أي: يؤمنون بفتنة القبر وعذابه أو نعيمه، والقبر قد يكون حفرة علىٰ ما نعلم لمن دفن، أو مأوىٰ يأوي إليه الميت ولو مات وتحول رمادًا حال موته، أو أكلته السباع وصار روثًا لها، كل ميت تعاد له الروح، فيحصل له من النعيم أو العذاب ما ورد في الأدلة الشرعية الصحيحة، ومنها أنه يُسأل في قبره، وهذه هي فتنة القبر، وهي ثابته في القرآن وصحيح السنة، وفتنة القبر غير عذاب القبر، ومن أدلة فتنة القبر قول الله تعالىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم: ٢٧]، ففي حديث البراء بن عازب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «أنها نزلت في عذاب القبر»(١)، وفتنة القبر هي الاختبار في القبر، حيث يُسأل: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ أو: من هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟ ما دينُك؟ وما علمُك؟ فالمؤمن يقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبي مُحمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، وعن علمه يقول: قرأت كتاب الله وعلمت ما فيه وآمنت بالله وصدقت، وأما الكافر فيقول: آه آه، أو: هاه هاه لا أدري، والمنافق يقول: سمعتُ

(١) «صحيح البخاري» (١٣٦٩).

الناس يقولون شيئا فقلت؛ لأنه قالها نفاقًا فيضل عنه بعد الموت.

**وهنا سؤال: هل كل الناس يفتنون في قبورهم؟**

نقول: إنه ورد استثناء لبعض الناس: كالشهيد، ففي الحديث: «يَا رَسُولَ اللهِ؛ مَا بالُ المؤمنينَ يُفتنُونَ في قُبُورِهِم إلَّا الشَّهيدَ؟ قالَ: **كَفَىٰ بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَىٰ رَأْسِهِ فِتْنَة**»[(١)]؛ لأن الشهيد فتن في الدنيا فصدق، ومات مجاهدًا صادقًا فينجو من هذه الفتنة، والثاني الذي ينجو من عذاب القبر هو المرابط في سبيل الله، ففي صحيح مسلم من حديث سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَىٰ عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الفتَّانَ**»[(٢)]، والمرابط هو الذي يحبس نفسه علىٰ حدود بلاد المسلمين دون أهله، يحمي بلاد الإسلام، وهذا عمل عظيم في سبيل الله، هذان: الشهيد، والمرابط، جاء فيهما النص الصريح من السنة، وأضاف أهل العلم إليهما الأنبياء، قالوا: هذا من باب أولىٰ لمنزلة الأنبياء العظيمة؛ ولأن عمل الشهيد ثمرة من عمل الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

كذلك ذكر العلماء من باب الاستنباط والاجتهاد: المجانين، والأطفال من أولاد المسلمين ممن ماتوا قبل البلوغ أنهم لا يسألون في قبورهم؛ لأنهم غير مكلفين.

والسائل هنا للميت في قبره هما الملكان: مُنكر، ونكير، كما صح عند الترمذي[(٣)] في ذكر اسمهما، وهما ملكان كريمان، وتسميتهما بمنكر ونكير ليس ذمًّا لهما بل هو وصف لهما من الله، وقيل: منكر أي ينكره الميت؛ لأنه لم يعرفه من قبل

---

(١) أخرجه النسائي (٢٠٥٣)، وصححه الألباني في «أحكام الجنائز» (٥٠).

(٢) «صحيح مسلم» (١٩١٣).

(٣) «صحيح الترمذي» (١/ ٥٤٤)، انظر «الصحيحة» (١٣٩١).

كما جاء من قول إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ٢٥﴾ [الذاريات: ٢٥]؛ ولأنهما مخيفان، ملكان أسودان أزرقان، شديدا الانتهار فينتهرانه: «مَنْ رَبُّك مَا دِينُكَ؟ مَنْ نَبِيُّكَ؟» فإن كان مؤمنًا يثبت ويثبته الله وينزل الله عليه السكينة والطمأنينة فلا يشعر بالخوف، ويجيب بكل هدوء وطمأنينة، المسلم ولأنه كان متعودًا للصلاة فإنه إذا جاء وقت صلاته علىٰ ما كان في دنياه، يقول لهما: بارك الله لكما ذراني أصلي.

فيقولان له: من ربك؟ -الذي كنت تعبده- فيقول: الله، فيقولان له: من هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو محمد، جاءنا بالبينات، فآمنا به وصدقنا، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقته، فهنا لا يُثبِّت أحدًا إلا اللهُ وعملُه الصالح في الدنيا...»[(١)]، ويخطأ كثير ممن يعتقدون بدعة تلقين الميت، وهذا لا أصل له، وفعله: بأن يقوم علىٰ قبره أحد من الناس بعد وضعه في قبره فيقول: «يا فلان ابن فلان: يأتيك الآن ملكان يسألانك، فإن قالا لك: من ربك، فقل: ربي الله»، إلىٰ آخر ما جاء في حديث ضعيف وفيه نكارة[(٢)]، فلا يعمل به، فلا يُثبِّت أحدًا في قبره إلا العملُ الصالح في الدنيا نسأل الله الثبات.

أما المنافق، إذا سئل في القبر فإنه يقول: «هَاه هَاه لَا أَدْرِي»، وهذه الصرخات كأنه يريد أن يتذكر كلامًا كان يسمعه في الدنيا ولم يؤمن به، فلا يهتدي، ثم يقول: لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته، وأما الكافر إذا سئل فإنه يقول مُصرحًا: معبودي كذا من الأوثان أو الأصنام أو ما كان يعبد في الدنيا، وهذا معنىٰ قول الله تعالىٰ: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، وهنا يُضرب الكافر بمرزبة -مطرقة

---

(١) «صحيح الترمذي» (١/ ٥٤٤)، انظر «الصحيحة» (١٣٩١).

(٢) «الضعيفة» (٢/ ٦٤- حديث ٥٩٩).

من حديد-، فيصيح صيحة يسمعها كل شيء، حتىٰ الجان والحيوانات تسمع عذاب القبر؛ أما الإنسان فلا يسمعها، ولو سمعها الإنسان لصُعِق، وهذا من فضل الله علىٰ الأحياء، ولو أنهم سمعوا ذلك ما تدافنوا كما أخبر الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ[١]، وهذا أيضا من ستر الله علىٰ أصحاب القبور.

• قال شيخ الإسلام بعد ذلك: «ثم بعد هذه الفتنة» -أي: عذاب القبر- «إما نعيم وإما عذاب»، وعذاب القبر حق، وأهل الإيمان من أهل السنة والجماعة يؤمنون بنعيم القبر أو عذابه لما جاء من الأدلة في الكتاب والسنة وكلام السلف، من هذه الأدلة:

**من القرآن** قول الله تعالىٰ في سورة غافر: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦﴾ [غافر: ٤٦]، فذكر الله أنهم قبل قيام الساعة أي: في البرزخ والقبر، يعرضون علىٰ النار بالصباح والمساء، وهذا يكون في قبورهم.

**ومن السنة** عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مرفوعًا: «عَذَابُ القَبْرِ حَقٌّ»[٢]، وفي الصحيح من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «مرَّ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِقَبْرَيْنِ فَقَالَ: **إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ**»[٣]، ومن الأدلة أيضًا المتواترة أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، كان يعلم الصحابة التعوذ في دبر الصلاة من أربع: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَعَذَابِ النَّارِ، وَفِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ، وَفِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ**»[٤].

---

(١) «صحيح مسلم» (٢٨٦٨).
(٢) «صحيح البخاري» (١٣٧٣).
(٣) «صحيح البخاري» (٢١٦).
(٤) «صحيح البخاري» (١٣٧٧)، «صحيح مسلم» (٥٨٨).

ومن أدلة عذاب القبر أيضًا أن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «عذاب القبر حق لا ينكره إلا ضال مضل»، وعذاب القبر يكون علىٰ الروح والجسد، هذه عقيدة السلف الصالح التي أجمعوا عليها خلافًا لمن أنكر ذلك من الخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة لعذاب القبر.

وفي القبر أنواع من العذاب والنعيم، فمن وفق بالثبات في الإجابة علىٰ أسئلة القبر الثلاثة، فإن الملكين كما ذكر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ من حديث البراء بن عازب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الطويل: «**ثُمَّ يَأْمُرَانِ الْأَرْضَ فَتَنْفَسِحُ لَهُ سَبْعِينَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ ذِرَاعًا، وَيُنَوَّرُ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَيَقُولَانِ لَهُ :نَمْ، ثم يَقُولُ :دَعُونِي أَرْجِعُ إِلَىٰ أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ، فَيَقُولَانِ لَهُ :نَمْ نَوْمَةَ الْعَرُوسِ الَّذِي لا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ. أَمَّا الْمُنَافِقُ فَيَقُولُ: كُنْتُ أَسْمَعُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَكُنتُ أَقُولُهُ فَيَقُولَانِ لَهُ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ كُنْتَ تَقُولُ ذَلِكَ، ثُمَّ يَأْمُرَانِ الْأَرْضَ فَتَنْضَمّ عَلَيْهِ حَتَّىٰ تَخْتَلِفَ أَضْلَاعُهُ قَالَ: فَلَا يَزَالُ مَرْعُوبًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»(١).

والقبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة، وضمة القبر لا ينجو منها أحد، قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**وَلَوْ نَجَا مِنْهَا أَحَدٌ لَنَجَا مِنْهَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ»، وذكر بعض أهل العلم أن ضمة القبر علىٰ الكافر والمنافق شديدة، فإن الأرض غاضبة عليهما فتضمهما ضمة عذاب، وأما المسلم المؤمن فتضمه الأرض ضمة الحبيب لحبيبه وإن كان فيها شدة، نسأل الله لنا جميعًا حسن الختام.

---

(١) صحيح الترمذي» (١/ ٥٤٤)، انظر «الصحيحة» (١٣٩١) «صحيح أبي داود» (٣/ ١١٧).

## ٢- القيامة الكبرى وما يجري فيها

• ثم قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إِلَىٰ أن تَقُومَ الْقِيَامَةُ الْكُبْرَىٰ، فَتُعَادُ الأَرْوَاحُ إِلَىٰ الأَجْسَادِ».

قوله: «إِلَىٰ أن تَقُومَ الْقِيَامَةُ الْكُبْرَىٰ»؛ أي: قيام البعث من القبور بعد حياة البرزخ، والتي هي أيضًا حياة نعيم أو عذاب وشقاء، وفي حال البرزخ تكون الأرواح في مقابرها مع تعلقها بالأجساد في القبور والبرزخ، فأرواح أهل الإيمان مقرها الجنة، ففي حديث كعب بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّمَا نِسْمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يُعَلَّقُ فِي شَجَرِ الجَنَّةِ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَىٰ جَسَدِهِ يَوْمَ يُبْعَثُ**»[1]، وأما روح الشهيد فقد أخرج مسلم من حديث مسروق بن الأجدع بن مالك قال: «سألنا عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩﴾ [آل عمران: ١٦٩]، قال: أما إنا سألنا رسول الله عن ذلك فقال: **أَرْوَاحُهُم فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَسرحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثَ شَاءَت ثُمَّ تَأْوِي إِلَىٰ تِلْكَ القَنَادِيلِ**»[2].

وقول شيخ الإسلام: «إِلَىٰ أن تَقُومَ الْقِيَامَةُ الْكُبْرَىٰ»: فيه أن هناك قيامة صغرىٰ، قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القيامة قيامتان: صغرىٰ وكبرىٰ، فالصغرىٰ: ما تقوم علىٰ كل إنسان في خاصته من خروج روحه وانقطاع سعيه وحصوله علىٰ عمله، وأما الكبرىٰ:

---

(١) صحيح ابن ماجه» (٣/ ٣»، انظر «الصحيحة» (٩٩٥).

(٢) «صحيح مسلم» (١٨٨٧).

فهي التي تعم الناس وتأخذهم أخذة واحدة، وقيل: سمي ذلك اليوم يوم القيامة؛ لكون الناس يقومون من قبورهم، قال تعالىٰ: ﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧﴾ [القمر: ٧]، وقال تعالىٰ أيضًا: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ [المعارج: ٤٣]، وفي صحيح مسلم مرفوعًا: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٦﴾ [المطففين: ٦]، أي: من قبورهم، قال: يقوم أحدهم في رشحه إلىٰ أنصاف أذنيه، قال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يَقُومُونَ مائة سَنَة»(١)

وقوله: «فَتُعَادُ الاَرْوَاحُ إِلَىٰ الاَجْسَادِ»، يكون هذا بعد أن ينفخ إسرافيل في الصور النفخة الثانية، فيصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم ينفخ فيه مرة أخرىٰ فتتطاير الأرواح من الصور إلىٰ أجسادها، وتحل فيها، قال تعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝٥١﴾ [يس: ٥١].

وقوله: «تعاد الأرواح»، دليل علىٰ أن البعث إعادة لما قد زال وتحول إلىٰ تراب ورميم من الأجساد والعظام، فتعاد هذه الأجساد بإذن الله خلافًا لمن زعم أن الأجساد تخلق خلقًا جديدًا، قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، فأهل السنة والجماعة يؤمنون بهذا البعث والنشور إيمانًا بأدلة الكتاب والسنة المتواترة، بل وأهل الشرائع من اليهود والنصارىٰ يؤمنون بذلك، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «معاد الأبدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارىٰ»[تخريج النقل]، وقال جلال الدين الداراني رَحِمَهُ اللَّهُ: «هو بإجماع أهل الملل وبشهادة نصوص القرآن الذي لا يقبل التأويل؛ قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩﴾ [يس: ٧٩]، وعقيدة أهل السنة والجماعة القول بكفر من أنكر

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٢٣٨).

البعث والنشور بدليل قول الله تعالىٰ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧﴾ [التغابن: ٧].

• ثم قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وَتَقُومُ الْقِيَامَةُ الَّتِي أَخْبَرَ اللهُ بِهَا فِي كِتَابِهِ، وَعَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهُ، وَأَجْمَعَ عليها الْمُسْلِمُونَ. فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا، وَتَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ، وَيُلْجِمُهُمُ الْعَرَقُ، فَتُنْصَبُ الْمَوَازِينُ، فَتُوزَنُ بِهَا أَعْمَالُ الْعِبَاد، فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ**».

قوله: «**وَتَقُومُ الْقِيَامَةُ الَّتِي أَخْبَرَ اللهُ بِهَا...**»: والدليل علىٰ القيامة في القرآن كثيرة منها قول الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ٢﴾ [الحج: ١ – ٢]، ويقول الله تعالىٰ: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾ [المطففين: ٦]، حفاةً عراةً غرلًا، والقيامة لها أسماء:

**يوم القِيامة**: لأن الخلائق يقومون من أجداثهم سراعًا كأنهم إلىٰ نصب يوفِضون كما ذكر الله.

**الواقِعة**: لأنه قامت القيامة ووقعت ووقع فيها كل شيء حصل في الحياة الدنيوية، ووقع فيها الحق وفاز أهله، وبطل الباطل وخاب أهله.

**الحاقّة**: لتحقق وقوعها وأنه لا شك عند أهل الإيمان في وقوعها.

**الغَاشية**: لما يغشىٰ الناس فيها من الأهوال والشدائد والكرب، مما جاء ذكره في كتاب الله وصحيح سنة رسول الله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

ففي الصحيحين من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا، قال: سمعتُ رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ يخطب علىٰ المنبر، يقول: «**إِنَّكُم مُلَاقُوا رَبّكُم حُفَاةً عُرَاةً مُشَاةً**

غُرْلًا»(١) وفي رواية قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُم مَحْشُورُونَ إِلَىٰ اللهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا**: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ١٠٤﴾ [الأنبياء: ١٠٤]»، ومعنىٰ حفاة: جمع حاف، وهو الذي ليس عليه نعل ولا خف، وقوله غرلًا: جمع أغرَل وهو الأقلف أي: ليس بمختون، ولما حدث النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: «يَا رَسُولَ اللهِ: الرِّجَالُ وَالنَّسَاءُ يَنْظُر بَعضُهُم إِلَىٰ بَعْضٍ؟ فَقَالَ: **الْأَمرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهِمَّهُم ذَاكَ**»، وفي رواية: «**مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُم إِلَىٰ بَعْض**»(٢).

• ثم قال شيخ الإسلام: «وَتَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ، وَيُلْجِمُهُمُ الْعَرَقُ، فَتُنْصَبُ الْمَوَازِينُ، فَتُوزَنُ بِهَا أَعْمَالُ الْعِبَاد، ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ١٠٢ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ١٠٣﴾ [المؤمنون: ١٠٢ - ١٠٣]»، أي: تقرب الشمس من رؤوس الخلائق، فيشتد عليهم الحر، فيلجمهم العرق، وكل واحد منهم يسبح في عرقه والآخر بجنبه لا يتأثر بعرق من حوله، كل بحسب عمله، وفي صحيح مسلم من حديث المقداد بن الأسود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**تُدْنَىٰ الشَّمْسُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ الخَلْقِ حَتَّىٰ تَكُونَ مِنْهُم كَمِقْدَارِ مِيلٍ** -قال سليم بن عامر: ما أدري ما يعني بالميل؛ أمسافة الأرض أم الميل الذي تكتحل به العين-، **فَيَكُون النَّاسُ عَلَىٰ قَدْرِ أَعْمَالِهِم فِي العَرَقِ، فَمِنْهُم مَنْ يَكُونُ إِلَىٰ كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُم مَنْ يَكُونُ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُم مَنْ يَكُونُ إِلَىٰ حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُم مَنْ يُلْجِمُهُ العَرَقُ إِلْجَامًا**، وَأَشَار رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بيده إلىٰ فيه»(٣).

وهنا جاء في الآثار أن أُناسًا ينجيهم الله من حر ذلك اليوم فيظلهم الله في ظله

---

(١) «صحيح البخاري» (٦٥٢٤)، «صحيح مسلم» (٢٨٦٠).
(٢) «صحيح البخاري» (٦٥٢٧)، «صحيح مسلم» (٢٨٥٩).
(٣) «صحيح مسلم» (٢٨٦٤).

يوم لا ظل إلا ظله، أي: لا ظل إلا الظل الذي يخلقه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كما أخبر بذلك النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«سَبْعَةٌ يُظِلُّهُم اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَات مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَىٰ حَتَّىٰ لا تَعْلَم شِمَالُهُ مَا تُنْفِق يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»**[1].

ثم هنا -كما ذكر شيخ الإسلام- تُنصب بعد ذلك الموازين بها توزن أعمال العباد، قال تعالىٰ ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾، والموازين: جمع ميزان، والموازين عند الله يومئذ موازين حقيقية وليست معنوية، لها كفتان كما هو متقرر عند أهل السنة والجماعة، وخالف في ذلك المعتزلة وقالوا: لا حاجة للميزان، فإن الله يعلم أعمال العباد، وإنما ذكرُ الميزانِ معنويٌّ بمعنىٰ أنه العدل، وهذا قول باطل مخالف لنصوص الكتاب والسنة، فنقول: نعم هو ميزان حقيقي، وظاهر القول أنها موازين وليست ميزانًا واحدًا كما قال تعالىٰ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧].

قوله: «فَتُوزَنُ بِهَا أَعْمَالُ الْعِبَادِ»: فظاهر كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ أنها توزن بها أعمال العباد، والله قادر علىٰ أن يجعل هذه الأعمال أجسامًا توزن بقدرته، وقد جاء في السنة ما يدل علىٰ هذا، فقد ورد أن الله يجعل الموت وهو معنىٰ بصورة كبش يُذبح بين الجنة والنار كما في الصحيح من حديث أبي سعيد الخدري[2] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكما جاء في آيات القرآن أن

---

(١) «صحيح البخاري» (٦٨٠٦)، «صحيح مسلم» (١٠٣١).

(٢) «صحيح البخاري» (٤٧٣٠).

الأعمال خيرها وشرها مثاقيل يوم القيامة، قال تعالىٰ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧ – ٨]، وفي السنة ما جاء في الصحيحين: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَىٰ اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَىٰ الرَّحْمَنِ**»[(١)]، إذًا هذه أدلة علىٰ أن الذي يوزن هو الأعمال، وهناك ما يدل أيضًا علىٰ أن ظاهر الذي يوزن هو صحائف الأعمال، وهناك نصوص أُخر في كتاب الله تدل علىٰ أن الذي يوزن العامل ذاته، قال تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ۝١٠٥﴾ [الكهف: ١٠٥]، وفي السنة ويحسّنه بعض أهل الحديث أن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يجتني سواكًا من الأراك، وكان دقيق الساقين، فجعلت الريح تحركه، فضحك الصحابة، فقال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**مَمَّ تَضْحَكُونَ؟** قالُوا: مِن دِقَّة سَاقَيْه، قَالَ: **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه؛ لَهُمَا فِي المِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ أُحدٍ**»[(٢)].

فنصل من الأقوال إلىٰ أنها ثلاثة أشياء توزن: العمل، والعامل، والصحائف، وذكر العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الذي ذكرنا في شرحه، ثم نقل كلام أهل العلم في الجمع بين هذه الأقوال، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

«أولًا: هناك من أهل العلم من جمع بينها بأن يقال: إن من الناس من يوزن عمله، ومن الناس من يوزن صحائف عمله، ومن الناس من يوزن نفسه.

ثانيًا: وقال بعض العلماء: الجمع بينها أن يُقال: إن المراد بوزن العمل أن العمل يوزن وهو في الصحائف، ويبقي وزن صاحب العمل، فيكون لبعض الناس.

ثم قال: لكن عند التأمل نجد أن أكثر النصوص تدل علىٰ أن الذي يوزن هو العمل، ويخص بعض الناس، فتوزن صحائف أعماله، أو يوزن هو نفسه، وقال: إن ما

---

(١) «صحيح البخاري» (٦٤٠٦)، «صحيح مسلم» (٢٦٩٤).

(٢) حسن: أخرجه أحمد (٣٩٩١) وغيره، انظر «الإرواء» (١/ ١٠٤).

ورد في حديث ابن مسعود وحديث صاحب البطاقة؛ قد يكون لهذا أمر آخر يخص الله به من يشاء من عباده» ا.هـ، وقال الغزالي والقرطبي: «ولا يكون الميزان في حق كل أحد، فالسبعون ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب لا يرفع لهم ميزان ولا يأخذون صحفًا»، قال الشيخ مرعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ -من علماء الحنابلة-: «الحكمة في الوزن مع أن الله عالم بكل شيء، إظهار العدل وبيان الفضل حيث يزن مثاقيل الذر من خير وشر» اهـ.

وكذلك من المقرر أن أحوال البرزخ وأحوال الآخرة لا تُقاس علىٰ ما في الدنيا وإن اتفقت الأسماء، فنؤمن بها كما وردت عن الصادق المصدوق من صحيح الأخبار من غير زيادة ولا نقصان، وقوله تعالىٰ: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ أي: رجحت حسناته علىٰ سيئاته ولو بواحدة، قاله ابن عباس[1]، وقوله: ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٠٢﴾ أي: الذين فازوا فنجوا من النار وأدخلوا الجنة، والفلاح هو الفوز والظفر والحصول علىٰ المطلوب، وقوله: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ أي: ثقلت سيئاته علىٰ حسناته، ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: خابوا، وفازوا بالصفقة الخاسرة، وقوله: ﴿فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ۝١٠٣﴾ أي: ماكثون فيها دائمون، والخلود: هو المكث الطويل.

• ثم قال شيخ الإسلام: «**وَتُنْشَرُ الدَّوَاوِينُ، وَهِيَ صَحَائِفُ الأَعْمَالِ، فَآخِذٌ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وآخِذٌ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ أو مِن وَراءِ ظَهْرِهِ؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:** ﴿وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝١٣ ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝١٤﴾ [الإسراء: ١٣ - ١٤]».

الدواوين: جمع ديوان، وهو الدفتر الذي تكتب فيه أعمال العباد، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠﴾ [التكوير: ١٠]، قال الثعالبي؛ أي: التي فيها أعمال العباد

(١) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٣٥٦).

نشرت للحساب، ويجب الإيمان بكل ذلك لثبوت ذلك في الكتاب والسنة والإجماع، قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢﴾ [الانشقاق: ٧ – ١٢]، فالآخذون كتابهم باليمين هم المؤمنون، وأشار إلىٰ كرامتهم في أخذ الكتاب باليمين، وأما من كفر فيأخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره، وظاهر كلام شيخ الإسلام أن أخذ الكتاب له ثلاثة أوجه: باليمين، والشمال، ومن وراء الظهر، ولكن علىٰ التحقيق هما قسمان:

**الأول:** من يأخذ الكتاب باليمين، وهم المؤمنون الموحدون.

**الثاني:** منهم من يأخذ كتابه بالشمال أو من وراء ظهره، وهم الكفار والمنافقون، وقد ذكر الله في القرآن أخذ الكفار كتابهم في آيةٍ بالشمال، قال تعالىٰ في سورة الحاقة: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ [الحاقة: ٢٥]، وذكر في آية أخرىٰ من يأخذ كتابه من وراء ظهره، قال تعالىٰ في سورة «الانشقاق»: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۝١٠﴾ [الانشقاق: ١٠]، وأكثر المفسرون علىٰ أن من يأخذ كتابه بالشمال، يأخذه بشماله من وراء ظهره، قالوا: تخلع شماله حتىٰ يكون أخذ ذلك الكافر أو المنافق للكتاب من وراء ظهره، قال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تجعل شماله وراء ظهره فيأخذ بها كتابه»، وقال سعيد بن المسيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الذي يأخذه بشماله تلوَىٰ يده خلف ظهره ثم يعطىٰ كتابه»، فصار كلام شيخ الإسلام في قوله: «وآخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره» هم صنف واحد.

قال تعالىٰ: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ [الإسراء: ١٣]، ومعنىٰ طائره أي: عمله، قال بعض أهل العلم: لأن عمل الإنسان يتشاءم به أو يتفاءل به، فالعمل يطير به فيعلو، أو يطير به فينزل، وقوله: ﴿فِي عُنُقِهِ﴾ خص العنق بالذكر لأن اللزوم فيه أشد

والمعنىٰ أن عمله لازم له لزوم القلادة لا ينفك عنه.

وقوله: ﴿وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ١٣﴾ أي: مفتوحًا، لا يتعب في فتحه، قوله: ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ﴾ أي: ما كتب عليك فيه من أعمالك وما كنت فيه، وقوله: ﴿كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ١٤﴾ وهذا من تمام العدل والإنصاف أن يوكل الحساب إلىٰ الإنسان نفسه، والكُل هنا يقرأ كتابه، الكاتب والأُمِّي، ففي الصحيح من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا، قالت: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ عُذِّبَ**، قالت فقلت: أليس الله يقول: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ٨﴾ [الانشقاق: ٧ – ٨]، فقال: رسول الله: **إِنَّمَا ذَلِكَ العَرْضُ، وَلَيْسَ أَحَدًا يُحَاسَبُ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَّا هَلَكَ**»[1]، والمعنىٰ: أنه لو نوقشوا في حسابهم لعذبهم ولكنه يعفو ويصفح.

• قال شيخ الإسلام بعد ذلك: «**وَيُحَاسِبُ اللهُ الخَلائِقَ، وَيَخْلُو بِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ؛ كَمَا وُصِفَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. وَأَمَّا الْكُفَّارُ؛ فَلا يُحَاسَبُونَ مُحَاسَبَةَ مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ؛ فإنه لا حَسَنَاتَ لَهُمْ، وَلَكِنْ تُعَدُّ أَعْمَالُهُمْ، فَتُحْصَىٰ، فَيُوقَفُونَ عليها وَيُقَرَّرُونَ بِهَا**».

قوله: «**وَيُحَاسِبُ اللهُ الخَلائِقَ**»: هذه هي حقيقة الإيمان باليوم الآخر أن يرجع الناس جميعًا إلىٰ الله فيحاسبهم، ولا بد من الإيمان بالحساب في ذلك اليوم العظيم، والأدلة علىٰ ذلك كثيرة من القرآن والسنة والإجماع، بل وهناك دليل عقلي لهذا البعث والحساب، وذاك أننا كُلفنا بأعمال فعلًا وتركًا وتصديقًا، والعقل والحكمة تقتضيان أن من كلف بعمل؛ فإنه يحاسب علىٰ عمله فيكرَم الصادق ويخسَر الكاذب،

---

(١) «صحيح البخاري» (١٠٣).

ومن أنكر الحساب فقد أنكر البعث وهذا كافر بالله عَزَّوَجَلَّ.

وقوله: «الخلائق»: والمقصود بهم المحاسبين هنا، هم جميع المكلفين من الجن والإنس، إلا من استثنىٰ الله ممن لا يحاسبون ولا يعذبون في ذلك اليوم، وجاء ذكر صفاتهم وصفات هذه الأمة، ففي الصحيحين من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أن النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ قال: «**رَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ فَقِيلَ: هَؤُلَاءِ أُمَّتَكَ وَمَعَ هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ**»، ثم ذكرهم، فقال: «**هُمُ الَّذِينَ لَا يَتَطَيَّرُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَكْتَوونَ وَعَلَىٰ رَبِّهِم يَتَوَكَّلُونَ**»[1]، وروىٰ الإمام أحمدرَحِمَهُٱللَّهُ: «**مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا**»[2].

ومن يشملهم القصاص دون الحساب ذلك اليوم البهائم، فيحصل القصاص بينهن، لكنها لا تحاسب حساب تكليف وإلزام؛ لأن البهائم ليس لها ثواب ولا عقاب، والدليل ما جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعًا إلىٰ النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ أنه قال: «**لَتُؤَدُّنَّ الحُقُوقَ إِلَىٰ أَهْلِهَا يَوْمَ القِيَامَةِ، حَتَّىٰ يُقَادَ للشَّاةِ الجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ القَرْنَاء**»[3].

● ثم قال شيخ الإسلام: «**وَيَخْلُو بِعَبْدِهِ الْـمُؤْمِن، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ**»: هذه صفة حساب المؤمن أن الله يخلو بعبده، دون أن يطلع عليه أحد، ويقرره بذنبه، فيقول له: «أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟» حتىٰ يقر ويعترف، ثم يقول الله لعبده: «قد سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم»، وهذا فضل من الله علىٰ عبده المؤمن، أن يستره ولا يفضحه، فلا يراه ولا يسمع به أحد، والدليل علىٰ هذا ما جاء في صحيح

---

(١) «صحيح البخاري» (٥٧٥٢).

(٢) أخرجه أحمد (٢٢٣٠٣) وغيره، انظر «ظلال الجنة» (٥٨٨).

(٣) «صحيح مسلم» (٢٥٨٢).

البخاري: أن رجلًا سأل ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كيف سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول في النجوى قال: «يَدْنُو أَحَدُكُمْ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ كنفَهُ عَلَيْهِ فَيَقُول: أَعَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟، فَيَقُولُ: نَعَم، وَيَقُولُ: عَمِلْت كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَم، فَيُقَرِّرُهُ ثُمَّ يَقُولُ: إِنِّي سَتَرْتُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ»(١)، فنسأل الله العظيم من ستره وعفوه.

ثم قال: «وَأَمَّا الْكُفَّارُ؛ فَلا يُحَاسَبُونَ مُحَاسَبَةَ مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ؛ فإنه لا حَسَنَاتَ لَهُمْ، وَلَكِنْ تُعَدُّ أَعْمَالُهُمْ، فَتُحْصَىٰ، فَيُوقَفُونَ عليها وَيُقَرَّرُونَ بِهَا ويجزون بها»: قول شيخ الإسلام: إن الكفار لا يحاسبون: يقصد بالمحاسبة المنفية عنهم هي محاسبة الموازنة بين الحسنات والسيئات، ولكن يحاسبون محاسبة تقرير وتقريع وإقامة الحجة عليهم في كفرهم ونفاقهم، فإنهم ليس لهم عند الله حسنات حتىٰ توزن، بل تعد عليهم أعمالهم من خير أو شر عملوه في الدنيا فتحصىٰ عليهم، فيوقفون عليها ويقرون بها، ويجزون بها، قال تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ١٠٥﴾ [الكهف: ١٠٥]، وفي الصحيحين من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا إلىٰ النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنه بعد أن ذكر حال المسلم: «وأما الكافر أو المنافق فينادىٰ علَىٰ رؤوسِ الخلائق: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨﴾ [هود: ١٨]»، وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديث طويل عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، قال: «فَيَلْقَىٰ العَبْد فَيَقُول؛ أَي: فل أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّر لَكَ الخَيْلَ وَالإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرأس وَتربع؟ فَيَقُول: بَلَىٰ، قَالَ فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيّ؟ فَيَقُول: لَا، فَيَقُول: فَإِنِّي أَنْسَاكَ

---

(١) «صحيح البخاري» (٧٥١٤).

كَمَا نَسِيتَنِي، ثُمَّ يَلْقَىٰ الثَّانِي فَيَقُول؛ أَي فل أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّر لَكَ الخَيْلَ وَالإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرأس وَتربع؟ فَيَقُول: بَلَىٰ، قَالَ فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيّ؟ فَيَقُول: لَا، فَيَقُول: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي، ثُمَّ يَلْقَىٰ الثَّالِث فَيَقُول لَهُ مِثل ذَلِكَ، فَيَقُول: يَا رَبّ آمَنْتُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ وَبِرُسُلِكَ وَصَلَّيْتُ وَصُمْتُ وَتَصَدَّقْتُ، وَيُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ، فَيَقُول: هَا هُنَا إِذًا، قَالَ ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ، وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ: مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيّ؟ فَيُخْتَمُ عَلَىٰ فِيهِ، وَيُقَال لِفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ: انْطِقِي، فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعِلْمِهِ، وَذَلِكَ لِيَعْذرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ المُنَافِقُ، وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللهُ عَلَيْهِ»(١)، فهذا دليل علىٰ أن الكافر والمنافق لا توزن أعمالهم ذلك اليوم، إذْ لا ثواب لهم في الآخرة، ولا يجازون فيها بشيء من أعمال الدنيا وإن كانت خيرًا فإنها حابطة باطلة؛ لأنها فاقدة لشرط القبول وهو: **الإخلاص لله، ومتابعة رسوله**، قال تعالىٰ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ٢٣﴾ [الفرقان: ٢٣]، وجاءت الأدلة أن الله يجازي الكافر بأعمال الخير من صدقة أو عتق أو عمل حسن بالإحسان إليه مقابل ذلك في الدنيا العاجلة، ودليل ذلك ما جاء في صحيح مسلم من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مرفوعًا إلىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً، يُعْطَىٰ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَىٰ بِهَا فِي الآخِرَةِ، وَأَمَّا الكَافِر فَيُطْعَمُ بِحَسَنَات مَا عَمِلَ بِهَا للهِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّىٰ إِذَا أَفْضَىٰ إِلَىٰ الآخِرَةِ، لَم تَكُنْ لَهُ حَسَنَة يُجْزَىٰ بِهَا»(٢).

---

(١) «صحيح مسلم» (٢٩٦٨).

(٢) «صحيح مسلم» (٢٨٠٨).



## ٣- حوض النبي ﷺ ومكانه وصفاته

• ثم قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وَفِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ الْحَوضُ الْمَوْرُودُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ماؤه أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَىٰ مِنَ الْعَسَلِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، طُولُهُ شَهْرٌ، وَعَرْضُهُ شَهْرٌ، مَن يَشْرَبُ مِنْهُ شَرْبَةً؛ لا يَظْمَأُ بَعْدَهَا أَبَدًا**».

قوله: «**وَفِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ**»: العرصات هي الأرض الواسعة العظيمة، وعرصات القيامة: هي المكان الذي أعده الله ليجتمع فيه الخلائق للحساب يوم القيامة، وفي هذه العرصات يوجد حوض النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الذي جاءت به الأحاديث ودل عليه قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾ [الكوثر: ١]، وهو قبل الصراط علىٰ الراجح من كلام أهل العلم، ومما يؤكد ذلك أن أُناسًا يردون علىٰ هذا الحوض ويذادون عنه، ففي الصحيح من حديث سهل بن سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُم**»(١)، وفي حديثٍ آخر في الصحيحين أيضًا من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**وَلَيُرفعَنّ مَعِي رِجَالٌ مِنْكُم ثُمَّ لَيُخْتَلِجُنَّ دُونِي فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَك**»(٢)، ومن رواية ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في الصحيح قال: «**فَأَقُولُ: أَصْحَابِي أَصْحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّهُم لَمْ يَزَالُوا مُرتَدِّينَ عَلَىٰ أَعْقَابِهِم مُنْذُ فَارَقْتُهُم**»(٣)، ومعنىٰ ليختلجن؛ أي: يُؤخذون إلىٰ النار.

---

(١) «صحيح البخاري» (٦٥٨٣).

(٢) «صحيح البخاري» (٧٠٤٩)، «صحيح مسلم» (٢٣٠٤).

(٣) «صحيح البخاري» (٣٤٤٧).

وأول من يرد على المحشر هم أمة مُحمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهم أول من يرد على الحوض، وأول من يسبق إلى المحاسبة في ذلك الموقف، وهم أول من يسبق إلى الميزان، وأول من يأخذ الصحف أيضًا، ودليل ذلك ما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ بيَد أَنَّهُم أُوتُوا الكِتَابَ قَبْلَنَا**»(١)، بل وأمته هم السابقون إلى دخول الجنة، ومُحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أول من يدخل الجنة، ثم الأنبياء والمرسلون، ثم هذه الأمة، كل هذا تكرمة من الله لهذه الأمة ونبيها عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ لأنها خير الأمم قاطبة، وكل ما ورد من أولية هذه الأمة من البشارات لها بالأمن والطمأنينة في ذلك الموقف العظيم، نسأل الله من فضله.

• ثم قال شيخ الإسلام: «ماؤُه أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَىٰ مِنَ الْعَسَلِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، طُولُهُ شَهْرٌ، وَعَرْضُهُ شَهْرٌ، مَن يَشْرَبُ مِنْهُ شَرْبَةً؛ لا يَظْمَأُ بَعْدَهَا أَبَدًا»: وقد ثبت ذلك عند مسلم وغيره أن: «**مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الوَرِق**»(٢) -أي: الفضة- وجاء «**أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلْج**»(٣)، في رواية: «**وَأَحْلَىٰ مِنَ العَسَلِ، وَأَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ، وَأَطْيَبُ رِيحًا مِنَ المِسْكِ**»(٤)، وجاء «**وَأَحْلَىٰ مِنَ العَسَلِ بِاللَّبَنِ**»(٥)، وماء هذا الحوض من نهر الكوثر في الجنة، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**يشْخبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الجَنَّةِ**»(٦) أي: يصب في هذا الحوض، كلما شرب منه أناس ونقص امتلأ بما يمد به

(١) «صحيح البخاري» (٨٧٦)، «صحيح مسلم» (٨٥٥).
(٢) «صحيح مسلم» (٢٢٩٢٠).
(٣) «صحيح مسلم» (٢٤٧).
(٤) إسناده حسن: انظر «ظلال الجنة» (٧٢٤).
(٥) «صحيح مسلم» (٢٣٠٠).
(٦) «صحيح مسلم» (٢٤٧).

من الكوثر الذي هو نهر أعطيه النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في الجنة.

• قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «آنيته عدد نجوم السماء»: هذا من جهة كثرتها كما ورد في لفظ الحديث، وفي رواية: «**آنِيَتُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ**»(١) أي: عددًا، ووصفًا أي: إضاءة ولمعانًا، قوله: «طُولُهُ شَهْرٌ، وَعَرْضُهُ شَهْرٌ» أي: سعة الحوض، وفي رواية «**زَوَايَاهُ سَوَاء**»(٢)، وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأ بَعدَهُ أَبَدًا**»(٣)، وفي هذا بشارة لمن شرب منه أنه من أمة الإيمان برسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأنه من أهل الجنة.

وأقرَّ بالحوض والميزان أيضًا الأشاعرة، وخالف في ذلك المعتزلة فأنكروا الحوض والميزان وقالوا: الميزان يقصد به العدل ولم يثبتوا ميزانًا حسيًّا، كما أَوّلوا الحوض بأن المقصود به ما يحصل في قلوب المؤمنين من الطمأنينة من نعم الله عليهم في ذلك المقام، وهذه تأويلات باطلة تخالف ما تواترت عليه السنة الصحيحة فلا عبرة بأقوالهم.

هذه عقيدة أهل السنة والجماعة في الحوض والميزان، فهم مجمعون عليها لما دل عليه القرآن والسنة، وقد وردت في الحوض أحاديث متواترة.



(١) «صحيح مسلم» (٢٢٩٢٠).
(٢) «صحيح مسلم» (٢٢٩٢٠).
(٣) «صحيح مسلم» (٢٢٩٢٠).

## ٤- الصراط ومعناه ومكانه وصفة مرور الناس عليه

• ثم قال شيخ الإسلام «وَالصِّرَاطُ مَنْصُوبٌ عَلَىٰ مَتْنِ جَهَنَّمَ، وَهُوَ الْجِسْرُ الَّذِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، يَمُرُّ النَّاسُ عَلَيْهِ عَلَىٰ قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ، وَمِنْهُم مَن يَمُرُّ كَالْبَرْقِ، وَمِنْهُم مَن يَمُرُّ كَالرِّيحِ، ومِنْهُم مَن يَمُرُّ كَالْفَرَسِ الْجَوَادِ، وَمِنْهُم مَن يَمُرُّ كَرِكَابِ الإِبِلِ، ومِنْهُم مَن يَعْدُو عَدْوًا، وَمِنْهُم مَن يَمْشِي مَشْيًا، وَمِنْهُم مَن يَزْحَفُ زَحْفًا، وَمَنْهُم مَن يُخْطَفُ خَطْفًا وَيُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ؛ فَإِنَّ الْجِسرَ عَلَيْهِ كَلالِيبُ تَخْطِفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِم، فَمَنْ مَرَّ عَلَىٰ الصِّرَاطِ؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ.

فَإِذَا عَبَرُوا عَلَيْهِ؛ وَقَفُوا عَلَىٰ قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقْتَصَّ لِبَعْضِهِم مِن بَعْضٍ، فَإِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا؛ أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ».

قوله: «الصراط»: هو الطريق والجسر المنصوب علىٰ متن جهنم أي: علىٰ ظهرها والنار أسفله، وقوله: «يَمُرُّ النَّاسُ عليه عَلَىٰ قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ»: الناس هنا يقصد بهم المؤمنون؛ لأن الكفار قد ذُهب بهم إلىٰ النار، فيمر الناس علىٰ قدر أعمالهم فمن الناس من يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالفرس الجواد، ومنهم من يمر كركاب الإبل، ومنهم من يمر عدوًا، ومنهم من يمشي مشيًا، ومنهم من يزحف زحفًا، ومنهم من تخطفه الكلاليب التي علىٰ جسر جهنم، فيلقىٰ في جهنم، وهؤلاء هم العصاة من المؤمنين، يعذبون دون عذاب الكفار؛ ولا تمس النار آثار السجود منهم كما ثبت عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ[١]،

---

(١) «صحيح البخاري» (٧٧٣)، «صحيح مسلم» (١٨٢).

ومن الناس من يعذب حال مروره على الصراط لأن الناس يمرون على قدر أعمالهم، أي: في سرعة المرور حسب مراتبهم وأعمالهم واستقامتهم على صراط العمل بشرع الله في الدنيا، فهم بين ثابت في الدنيا يثبته الله على الصراط، وآخر زل في الدنيا يزل على الصراط على قدر تلك الزلة في الدنيا، وما الله بظلام للعبيد، وفي الصحيحين أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**يضربُ الصِّراطُ بَيْنَ ظَهْرَي جَهَنَّمَ وَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ عَلَيْهِ فِرَقًا، فَمِنْهُم كَالبَرْقِ ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ وَكَمَرِّ الطَّيْرِ وَأَشَدّ الرِّجَالِ حتَّىٰ يَجِيءَ الرَّجُلُ وَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا، وَفِي حَافَّتَيْهِ كَلَالِيب مُعَلَّقَة مَأْمُورَة بِأَخْذِ مَنْ أُمِرَت بِأَخْذِهِ، فَمَخْدُوش نَاجٍ وَمُكَرْدَس فِي النَّارِ**»[(١)]، وفي رواية من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قلنا: وما الجسر؟ قال: **مَدْحَضَة مزلّة**»[(٢)] أي: تزلق فيه الأقدام، وفي رواية أخرىٰ: «**بَلَغَنِي أَنَّ الصِّرَاطَ أَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ، وَأَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ**»[(٣)]، وهذه الآثار أجمع السلف علىٰ إثباتها، وفي قوله: «**فَإِذَا عَبَرُوا عَلَيْهِ، وُقِفُوا عَلَىٰ قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ**»: هذه القنطرة هي الجسر، «**فَيُقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ**»، قال العلماء: وهذا القصاص غير القصاص الأول الذي في عرصات القيامة، بل هو أخص لإذهاب الغل والحقد والبغضاء التي في قلوب الناس، فهي كالتنقية والتطهير، قال تعالىٰ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر: ٤٧]، وفي صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِذَا خَلُصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَت**

---

(١) «صحيح البخاري» (٨٠٦)، «صحيح مسلم» (١٨٢).

(٢) «صحيح البخاري» (٧٤٣٩).

(٣) «صحيح مسلم» (١٨٣)، ولفظ «بلغني» لعله من بلاغات «سعيد بن أبي هلال الليثي» كما أخرجه الدارقطني في «رؤية الله» (٤)، وانظر «فتح الباري» (١١/ ٤٥٤).

بَيْنَهُم فِي الدُّنْيَا، حَتَّىٰ إِذَا نقّوا وَهذّبوا أُذِنَ لَهُم بِدُخُولِ الجَنَّة، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ؛ لأحدُهُم بِمَسْكَنِهِ فِي الجَنَّةِ أَدَلُّ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا»(١).

---

(١) «صحيح البخاري» (٢٤٤٠).

## ٥- أول من يستفتح باب الجنة وأول من يدخلها وشفاعات النبي ﷺ

• ثم قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وَأَوَّلُ مَنْ يَسْتَفْتِحُ بَابَ الجَنَّةِ مُحَمَّدٌ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنَ الأُمَمِ أُمَّتُهُ، فِي صحيح مسلم قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الجَنَّةِ» وَفِي لَفْظٍ: «أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الجَنَّةِ»».

وأول أمة تدخل الجنة أمة مُحمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**نَحْنُ الآخِرُونَ الأَوَّلُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ**»(١).

• ثم قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَلَه صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فِي الْقِيَامَةِ ثَلاثُ شَفَاعَاتٍ:

أَمَّا الشَّفَاعَةُ الأولَىٰ: فَيَشفَعُ فِي أهل الْمَوْقِفِ حَتَّىٰ يُقْضَىٰ بَيْنَهُمْ بَعْدَ أَنْ يَتَرَاجَعَ الأَنبِيَاءُ؛ آدَمُ، وَنُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَىٰ، وَعِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ عَنِ الشَّفَاعَةِ حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِليه.

وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّانِيَةُ؛ فَيَشْفَعُ فِي أهل الْجَنَّةِ أَن يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ. وَهَاتَانَ الشَّفَاعَتَانِ خَاصَّتَانِ لَهُ.

وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّالِثَةُ؛ فَيَشْفَعُ فِيمَنِ اسْتَحَقَّ النَّارَ، وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ لَهُ وَلِسَائِرِ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَغَيْرِهِمْ، فَيَشْفَعُ فِيمَنِ اسْتَحَقَّ النَّارَ أَلا يَدْخُلَهَا، وَيَشْفَعُ فِيمَنْ دَخَلَهَا أَن

(١) «صحيح البخاري» (٨٧٦)، «صحيح مسلم» (٨٥٥).

يَخْرُجَ مِنْهَا».

هذا بيان من شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الشفاعة، وهو داخلٌ في الإيمان باليوم الآخر، الشفاعة المذكورة يوم القيامة هي الشفاعة لمن يأذن الله لهم بها، وهي الشفاعة المثبتة الصحيحة، والشفاعة العظمىٰ المذكورة هنا هي الشفاعة في الموقف، وهي عامة لجميع الناس ممن مات علىٰ التوحيد.

والشفاعة هي ما جمعت شروطًا ثلاثة هي:

**الأول:** رضىٰ الله عن الشافع.

**الثاني:** رضىٰ الله عن المشفوع له.

**الثالثة:** إذن الله في الشفاعة، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وقال تعالىٰ: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ [طه: ١٠٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم: ٢٦].

وللنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في موقف القيامة ثلاث شفاعات:

**الأولىٰ:** الشفاعة العظمىٰ.

**الثانية:** الشفاعة لأهل الجنة ليدخلوا الجنة.

**الثالثة:** الشفاعة لمن استحق النار ألا يدخلها، وفيمن دخلها أن يخرج منها.

وقد ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا الشفاعة الأولىٰ وهي التي لا تكون لأحد أبدًا إلا للرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهي أعظم الشفاعات؛ التي فيها راحة جميع الخلق من الموقف العظيم ومن الكرب والغم؛ فيشفع النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في جميع أهل الموقف، حتىٰ يقضىٰ بينهم، وهذه شفاعة خاصة بالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بعد أن يتدافعها الأنبياء أصحاب الشرائع، آدم ونوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ

عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وقد ورد ذكر هذه الشفاعة في حديث طويل، وهو في الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(١)].

وأما الشفاعة الثانية فيشفع النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة بعد عبور الصراط وتجاوز القنطرة، فيأتي المؤمنون لدخول الجنة فلا يؤذن لهم حتىٰ يشفع النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وجاء ذكر هذه الشفاعة ونصّها: «**يَجْمَعُ اللهُ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **النَّاسَ، فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ تزلف لَهُمُ الجَنَّة، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا أَبَانَا اسْتَفْتِحْ لَنَا الجَنَّةَ...**» وفيه: «**فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ وَخَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ وَغَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؛ اشْفَع لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَىٰ مَا قَدْ بَلغنَا؟ فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ العَرْشِ فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِن مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأَسَكَ، سَل تُعطه، اشْفَع تُشَفَّع، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: يَا رَبِّ؛ أُمَّتِي أُمَّتِي فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ؛ أَدْخِل الجَنَّةَ مِن أُمَّتِكَ مَن لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ البَابِ الأَيْمَنِ مِن أَبْوَابِ الجَنَّةِ، وَهُوَ شركاء النَّاسِ فِيمَا سِوَىٰ ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ؛ إِنَّ مَا بَيْنَ المِصْرَاعَيْنِ مِن مَصَارِيع الجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَر، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّة وَبصْرَىٰ**»[(٢)]، وفي صحيح مسلم عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الجَنَّةِ**»[(٣)]، وهذه الشفاعة كالتي قبلها خاصة له عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهناك شفاعة أخرىٰ ثالثة خاصة به عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لا تكون لغيره، وهي الشفاعة في عمه أبي طالب الذي مات علىٰ الكفر، لكن شفاعة الرسول

---

(١) «صحيح البخاري» (١٩٤، ٧٥١٠)، «صحيح مسلم» (١٩٣).

(٢) «صحيح البخاري» (١٩٤، ٧٥١٠)، «صحيح مسلم» (١٩٣).

(٣) «صحيح مسلم» (١٩٦).

عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هُنا لا تخرجه من النار، بل يكون في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه، قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ كما في الصحيحين من حديث العباس بن عبد المطلب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار**»[(١)]، وهذا الذي حصل لأبي طالب لأجل ما حصل من دفاعه عن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ومع هذا يلقىٰ من العذاب في النار ما يجعله يرىٰ أنه أشد الناس عذابًا فيها.

ثم ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ الشفاعة الثالثة وهي فيمن استحق النار، وهذه الشفاعة مجمع عليها عند أهل السنة والجماعة، خلافًا للفرق الضالة كالخوارج والمعتزلة الذين يقولون بالخلود في النار لأهل الكبائر من أهل الإسلام وهذا من ضلالاتهم، وقد جاءت الآثار الصحيحة في هذه الشفاعة العظيمة.

وفي هذه الشفاعة، يشفع عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فيمن استحق النار ألا يدخلها، وفيمن دخلها أن يخرج منها، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كما في السنن عن جمع من الصحابة: «**شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**»[(٢)]، وفي الصحيحين قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأحمدُهُ بِتَحْمِيدٍ يُعْلِمْنِيه، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيحدَّ لِي حَدًّا فَأُدْخِلُهُم الجَنَّةَ ثُمَّ أَعُودُ إِلَيْهِ فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي مثله ثُمَّ أَشْفَعُ فَيحدَّ لِي حَدًّا فَأُدْخِلُهُم الجَنَّةَ ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَة فَأَقُولُ: مَا بَقِي فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ القُرْآنُ وَوَجَبَ عَلَيْهِ الخُلُودُ**»[(٣)].

وهذه الشفاعة تكون لرسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ولسائر النبيين والصديقين وغيرهم، عند مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: «**يَقُولُ اللهُ** عَزَّ وَجَلَّ: **شفعَتِ المَلَائِكَةُ وَشفعَ النَّبِيُّونَ وَشفعَ**

(١) «صحيح البخاري» (٣٨٨٣)، «صحيح مسلم» (٢٠٩).

(٢) صحيح: «المشكاة» (٥٥٩٨)، «ظلال الجنة» (٨٣١).

(٣) «صحيح البخاري» (٧٤٤٠)، صحيح (١٩٣).

**الْمُؤْمِنُونَ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَيقبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطّ**»[(١)]، فالنبيون يشفعون في عصاة قومهم، والصديقون يشفعون في عصاة أقاربهم وغيرهم من المؤمنين، وكذلك يشفع الصالحون حتىٰ يشفع الرجل في أهله وفي جيرانه.

ومن الشفاعات أيضًا للنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، شفاعته في زيادة ثواب بعض أهل الجنة ورفع درجاتهم، ويستدل لمثل هذا بما في صحيح مسلم من حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في دعاء النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لأبي سلمة وقوله: «**اللَّهُمَّ اغْفِر لِأَبِي سَلَمَةَ وَارْفَع دَرَجَتَهُ فِي المَهْدِيِّين**»[(٢)]، وكذلك قوله في حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الصحيحين: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعُبَيْد أَبِي عَامِر... اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ**»[(٣)].



(١) «صحيح مسلم» (١٨٣).

(٢) «صحيح مسلم» (٩٢٠).

(٣) «صحيح البخاري» (٤٣٢٣)، «صحيح مسلم» (٢٤٩٨).

## ٦- إخراج بعض العصاة من النار برحمة الله بغير شفاعة واتساع الجنة عن أهلها

• ثم قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَيُخْرِجُ اللهُ مِنَ النَّارِ أَقْوَامًا بِغيرِ شَفَاعَةٍ؛ بَلْ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَيَبْقَىٰ فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ عَمَّنْ دَخَلَهَا مِنْ أهل الدُّنْيَا، فَيُنْشِئ اللهُ لَهَا أَقْوَامًا فَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ».

هذا ما جاءت به الآثار الصحيحة، ولأن الجنة عظيمة واسعة وصفها الله تعالىٰ بأن عرضها كعرض السماوات والأرض، قال تعالىٰ: ﴿وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الحديد: ٢١]، وهذه الجنة بعد دخول من دخلها بفضل الله ورحمته من المؤمنين جميعًا من أتباع الرسل والنبيين، فيخلق الله عَزَّوَجَلَّ أقوامًا لها فيدخلهم الجنة، فضلًا من الله ومنة ورحمة.

• ثم قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَأَصْنَافُ مَا تَضَمَّنَتْهُ الدَّارُ الآخِرَةُ مِنَ الْحِسَابِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَتَفَاصِيلُ ذَلِكَ مَذْكُورَةٌ فِي الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ مِنَ السَّمَاءِ، وَالآثَارِ مِنَ الْعِلْمِ الْمَأْثُورِ عَنِ الأنبياءِ، وَفِي الْعِلْمِ الْمَوْرُوثِ عَنْ مُحَمَّدٍ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ مِنْ ذَلِكَ مَا يَشْفِي وَيَكْفِي، فَمَنِ ابْتَغَاهُ وَجَدَهُ».

قوله: «وَأَصْنَافُ مَا تَضَمَّنَتْهُ الدَّارُ الآخِرَةُ»، أي: أنواع ما يكون في الدار الآخرة من الحساب والمسألة للخلائق في ذلك اليوم لإقامة الحجة عليهم، والذي يكون منه بعد ذلك الثواب؛ أي: جزاء المحسن بالإحسان، والعقاب؛ أي: ما يحصل من العقوبة لمن استحقها، ثم يؤلون الخلق جميعًا إما إلىٰ الجنة: وهي دار الثواب لأهل

الإيمان، أو النار: وهي دار العقاب للعصاة من أهل التوحيد، وإما الخلود فيها فهو لأهل الكفر والنفاق.

أما قوله: «وتفاصيل ذلك»؛ أي: تفاصيل علم الآخرة والإيمان بها ومُجازات كل عامل بما عمله من خير وشر، كل ذلك قد ذكره الله للخلائق من المكلفين فيما أوحىٰ الله به إلىٰ الرسل والأنبياء من الكتب المنزلة، كالتوراة والإنجيل وصحف إبراهيم وموسىٰ وغيرها من الكتب المنزلة؛ فقد ذكر فيها ذلك مبينًا مفصلًا لحاجة الناس للعلم به والعمل بموجبه إيمانًا واستقامة، فلا يُعلم حال اليوم الآخر إلا بهذا العلم والإيمان به ثم العمل بمقتضاه، وهذا العلم باليوم الآخر هو أحد العلوم الثلاثة النافعة للإنسان وهي: **علم التوحيد**، وهو أعظم هذه العلوم وأشرفها وبه يتميز المؤمن من الكافر، ثم علم **الحلال والحرام** وهو الذي يتميز به أهل الطاعة وأهل المعصية، ثم **علم الجزاء** الذي يتضمن ما يؤولوا به الإنسان من ثواب وعقاب يوم القيامة ومن جنة أو نار، وكل هذه العلوم يطلب تفصيلها من نصوص الشرع، فلا استنباط فيه ولا اجتهاد، وإنما هو علم مبني علىٰ علم شرعي لا مجال فيه للاجتهاد والرأي، وتفاصيله مذكورة في جميع الكتب المنزلة من السماء، وكل ما تضمنته حق علىٰ حقيقته كما أخبر الله به، ولذلك ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا أعظم هذا العلم بقوله: « **وَفِي الْعِلْمِ الْمَوْرُوثِ عَنْ مُحَمَّدٍ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ : **مِنْ ذَلِكَ مَا يَشْفِي وَيَكْفِي، فَمَنْ ابْتَغَاهُ وَجَدَهُ**»؛ أي: في كتاب الله وفي صحيح سنة النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، فلا حاجة للمسلم أن يبحث عن مواعظ ترقق القلوب من غير الوحيين، ففيهما كل أبواب العلم والإيمان، فقد أنزل الله علىٰ نبيه القرآن الكريم أشرف الكتب المنزلة، والسنة مفسرة للقران ومبينة له، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ [النحل: ٤٤] وقال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ

لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧]، وفي السنة ما صح عنه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ في قوله: «**تَرَكْتُكُمْ عَلَىٰ البَيْضَاء، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِك**»(١).

---

(١) «الصحيحة» (٢/ ٦١٠-حديث ٩٣٧).

## الإيمان بالقدر وبيان ما يتضمنه

ثم ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ فصل في الإيمان بالقدر فقال: «وَتُؤْمِنُ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. وَالإِيمَانُ بِالْقَدَرِ عَلَىٰ دَرَجَتَيْنِ؛ كُلُّ دَرَجَةٍ تَتَضَمَّنُ شَيْئَيْنِ».

**القدر** في اللغة: هو التقدير، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩]، **وأما القضاء**: فهو الحكم، والقضاء والقدر يقول أهل العلم: إنهما متباينان إن اجتمعا، ومترادفان إن تفرقا، فإذا قيل هذا قدر الله؛ فهو شامل للقضاء، أما إذا ذكرا معًا فيكون معنىٰ القدر: ما قدر الله تعالىٰ أن يكون في خلقه في الأزل، ويكون القضاء بمعنىٰ ما قضىٰ الله عَزَّوَجَلَّ به في خلقه من الإيجاد أو العدم، فيكون القدر سابقًا للقضاء.

والإيمان بالقدر واجب وهو أحد أركان الإيمان الستة، فلا يتم الإيمان إلا به، وقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «خيره وشره»: هو أن الشر في القدر هو ما لا يلائم طبيعة الإنسان فيتأذىٰ منه، وأما الخير فهو ما يلائم طبيعة الإنسان فيحصل له به خير وارتياح وسرور، وكل ذلك من الشر والخير من أمر الله في خلقه، وليس في قدر الله شر لقول النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**والشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْهِ**» لأن الشر في القدر ليس باعتبار تقدير الله له، لكنه باعتبار المقدور له وهو المخلوق، أما باعتبار تقدير الله له فليس بِشر، بل هو خير له، حتىٰ وإن كان قد لا يلائم الإنسان.

ومن الإيمان بالقدر خيره وشره: أن تؤمن بالمقدور الكوني وهو كل ما يقع

عليك من المكاره رضيت أم أبيت، كذلك الإيمان بالمقدور الشرعي، فترضىٰ بكل ما قدَّر الله شرعًا ولو خالفته ولم تفعله، فما كان طاعة لله وجب الرضىٰ به، وما كان معصية، وجب سخطه وكراهته، فلو وقع الكفر من شخص فلا نرضه منه، لكن نرضىٰ بكون الله أوقعه.



## تفصيل مراتب القدر

• قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**فَالدَّرَجَةُ الأُولَىٰ: الإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ عَلِمَ مَا الـخَلْقُ عَامِلُونَ بِعِلْمِهِ الْقَدِيمِ الَّذِي هُوَ مَوْصُوفٌ بِهِ أَزَلًا وَأَبَدًا، وَعَلِمَ جَمِيعَ أَحْوَالِهِمْ مِنَ الطَّاعَاتِ وَالـمَعَاصِي وَالَارْزَاقِ وَالآجَالِ**».

هذه هي المرتبة الأولىٰ من مراتب القدر، وهي مرتبة العلم، وصفة العلم من الصفات الذاتية لله تعالىٰ، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن علم الله السابق محيط بالأشياء علىٰ ما هي عليه لا محو فيها ولا تغير ولا زيادة ولا نقص، فإنه سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون»، وقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**عَامِلُونَ بِعِلْمِهِ الْقَدِيمِ**»: يقصد بالقدم هنا: وصف العلم بالقدم والأزلية، لا يريد بالقدم المعنىٰ اللغوي وهو ما سبقه شيء، ويستأنس لذلك بما ورد في دعاء الداخل إلىٰ المسجد: «**أَعُوذُ بِاللهِ العَظِيمِ وَبِوَجْهِهِ الكَرِيمِ وَسُلْطَانِهِ القَدِيمِ**»[(١)]، أي: الموصوف بالأزلية، والأدلة علىٰ إثبات صفة العلم الأزلي لله عَزَّوَجَلَّ كثيرة من الكتاب والسنة ومتفق عليها من الصحابة والتابعين والسلف الصالح، ولم يخالف أهل الإسلام في هذا إلا مجوس هذه الأمة، كما ضل المعتزلة والرافضة حيث أنكروا أن الله عالم بالأزل وقالوا: إن الله لا يعلم أفعال العباد حتىٰ يفعلوها، تعالىٰ الله عن ذلك وهو القائل: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٤]، وربنا سبحانه كما ذكر شيخ الإسلام في هذا الفصل يعلم جميع أحوال الخلق من الطاعات

(١) «صحيح أبي داود» (١/ ١٣٦).

والمعاصي والأرزاق والآجال، قال تعالىٰ: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝٦﴾ [هود: ٦]، وقال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ۝٣٤﴾ [الأعراف: ٣٤] وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قالت أم حبيبة زوج النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ:

«اللهمّ أمْتِعني بزوجي رسول الله، وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية، فقال: **سَأَلْتِ اللهَ لآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ، وَأَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ لَن يُعَجِّلَ شَيْءٌ مِنْهَا قَبْلَ أَجَلِهِ وَلَا يُؤَخَّر، وَلَو كُنْتِ سَأَلْتِ اللهَ أَن يُعِيذَكِ مِنَ النَّارِ وَعَذَابِ القَبْرِ كَانَ خَيْرًا وَأَفْضَلَ**»[(١)]، ومن أدلة السنة أيضًا بعلم الله الأزلي للأعمال والأرزاق والآجال والشقاوة والسعادة، ما في الصحيح من حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**إِنَّ أَحَدَكُم يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّه**»، وفيه: «**ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ مَلكًا، فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ**»[(٢)].

ومن أدلة علم الله الأزلي، في القرآن قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ۝٣٢﴾ [النساء: ٣٢] وقوله أيضًا: ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ۝١٢﴾ [الطلاق: ١٢]، وأما الأدلة من السنة: ما جاء في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ قال: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَىٰ المَاءِ**»، وبهذه الأدلة يتبين لنا أن علم الله عَزَّوَجَلَّ غير مسبوق بجهل ولا ملحوق بنسيان، بخلاف علم المخلوق المسبوق بالجهل والملحوق بالنسيان، وهذا ما قرره شيخ الإسلام في هذه المرتبة.

---

(١) «صحيح مسلم» (٢٦٦٣).

(٢) «صحيح البخاري» (٣٢٠٨).

• قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثُمَّ كَتَبَ اللهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَقَادِيرَ الْخَلْقِ «فَأَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ. قَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ» فَمَا أَصَابَ الإِنْسَانَ لَمْ يَكُن لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُن لِيُصِيبَهُ، جَفَّتِ الأَقْلَامُ، وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَـٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج: ٧٠]، وَقَال: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد: ٢٢].

وَهَذَا التَّقْدِيرُ التَّابِعُ لِعِلْمِهِ سُبْحَانَهُ يَكُونُ فِي مَوَاضِعَ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا:

فَقَدْ كَتَبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَا شَاءَ. وَإِذَا خَلَقَ جَسَدَ الْجَنِينِ قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ؛ بَعَثَ إليه مَلَكًا، فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ: رِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَعَمَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ.. وَنَحْو ذَلِكَ. فَهَذَا التَّقْدِيرُ قَدْ كَانَ يُنْكِرهُ غُلَاةُ الْقَدَرِيَّةِ قَدِيمًا، وَمُنْكِرُهُ اليوم قَلِيلٌ».

• قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثُمَّ كَتَبَ اللهُ فِي اللَّوْحِ الـمَحْفُوظِ مَقَادِيرَ الـخَلْقِ»، وهذه هي المرتبة الثانية من مراتب الإيمان بالقدر، وهي مرتبة الكتابة، فنؤمن بأن الله كتب مقادير الخلائق، وما هو كائن إلىٰ يوم القيامة في اللوح المحفوظ، وأن أعمال العباد تجري علىٰ ما سبق في علمه وكتابته، وأنه كما ذكر شيخ الإسلام بأن المكتوب في اللوح المحفوظ لا يتغير أبدًا، والتغيير الحاصل في الكتب التي بأيدي الملائكة، وهذا ثابت بأدلة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين وجميع أهل السنة والجماعة.

ومن أدلة الكتاب علىٰ مرتبة الكتابة ما أورده شيخ الإسلام في قول الله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَـٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى

ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج: ٧٠]، وقوله تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد: ٢٢].

ومن الأدلة من السنة ما جاء في سنن أبي داود عن عبادة بن الصامت رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ يقول: «**أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمَ فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ**»، وفي الصحيح من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِير الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَىٰ المَاءِ**»، يستفاد من هذا الحديث أن التقدير وقع بعد خلق العرش، فدل علىٰ أن العرش مخلوق قبل القلم.

وبهذا يتبين لنا معنىٰ كلام ابن تيمية في قوله: «فمَا أصَابَ الإنْسَان لَمْ يَكُنْ لِيُخطِئَه، وَمَا أَخطَأَهُ لَمْ يَكُن لِيُصِيبَهُ، جَفَّتِ الأَقْلَامُ، وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ»، إن هذا هو حقيقة الإيمان بالقدر، فما يصيب الإنسان مما يضره أو ينفعه إلا وهو مقدر عليه، وأنه لا يصيب العبد إلا ما كتب له من مقادير ذلك في الكتاب السابق، قال تعالىٰ: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١]، وفي الحديث عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أن النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ قال له: «**وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُن لِيُخْطِئكَ وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُن لِيُصِيبَكَ**»[(١)]، أما قوله: «**جَفَّتِ الاقْلَامُ وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ**» فمعناه: قد تقدم كتابة المقادير كلها والفراغ منها من أمد بعيد، وهذا معنىٰ ما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ قال: «**جَفَّتِ الأَقْلَامُ بِمَا أَنْتَ لَاقٍ**»[(٢)]، وفي صحيح مسلم عن جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «أن رجلًا قال: يا رسُول الله:

---

(١) «صحيح ابن ماجه» (١/ ٤٣).

(٢) «صحيح البخاري» (٥٠٧٦).

فيمَ العمل؟ أفيما جفّت به الأقْلام وجرت بِه المقادِير؟ أم فِيما يستَقبل؟ قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: **فِيمَا جَفَّتِ بِهِ الأَقْلَامُ وَجَرَت المَقَادِير**، قال: فَفِيم العمَل يا رسُول الله؟ قال: **اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**»[(١)]، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تضمن هذا الحديث الرد علىٰ القدرية والجبرية، وإثبات القدر والشرع وإثبات الكتاب الأول المتضمن لعلم الله سبحانه الأشياء قبل كونها، وإثبات خلق الفعل الجزائي، وهو يبطل أصول القدرية الذين ينفون خلق الفعل مطلقًا، ومن أقر منهم بخلق الفعل الجزائي دون الابتداء هدم أصوله ونقض قاعدته، والنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أخبر بمثل ما أخبر الرب أن العبد ميسر لما خلق له لا مجبور، فالجبر لفظ بدعي والتيسير لفظ القرآن والسنة» انتهي كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَهَذَا التَّقْدِيرُ التَّابِعُ لِعِلْمِهِ سُبْحَانَهُ يَكُونُ فِي مَوَاضِعَ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا...».

هذا الكلام تضمن أن ما قدر الله سبحانه يكون في موضعين، الأول هو اللوح المحفوظ، والثاني هو في الكتابة العمرية التي تكون للجنين في بطن أمه كما ورد في حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ثم الموضع الثالث وهو ما أشار إليه شيخ الإسلام بقوله: «ونحو ذلك» وهو التقدير الحولي الذي يكون في ليلة القدر التي يكتب فيها ما يكون في تلك السنة؛ كما قال تعالىٰ: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ [الدخان: ٤].

• ثم قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَهَذَا التَّقْدِيرُ قَدْ كَانَ يُنْكِرُهُ غُلاةُ الْقَدَرِيَّةِ قَدِيمًا، وَمُنْكِرُهُ الْيَوْمَ قَلِيلٌ»: يقصد بكلامه عن ما تقرر من قول أهل السنة في كتابة القدر، أن غلاة القدرية وهم الذين ظهروا في عهد ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في البصرة -

---

(١) «صحيح مسلم» (٢٦٤٨).

غيلان الدمشقي، ومعبد الجهني وغيرهم-، فإنهم زعموا أن الله عَزَّوَجَلَّ لا يعلم الأشياء إلا بعد حصولها، وقالوا: إن الأمر أُنف، أي مستأنف، فرد عليهم ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، بقوله: «فإِذَا لقِيت أولئك فأخبرهم أني بريئ منهم وأنّهم برآء مني والّذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أُحد ذهبًا فأنفقه ما قبل منه حتىٰ يؤمن بالقدر»[١]، والقدرية هم نفاة القدر الغلاة وغيرهم، وهم طوائف منهم المعتزلة الذين أنكروا أن الله يخلق فعل العبد وقالوا: إن العبد يخلق فعله.

ويقابل القدرية الجبرية وكلهم أهل ضلال.

وقوله: «وَمُنْكِرُهُ اليَوْم قَلِيل»: يقصد في زمان شيخ الإسلام، ومن هؤلاء الفلاسفة الضلال وكلهم ينكرون العلم ويقولون العلم السابق هو علم كلي لا تفصيلي، وهذا إنكار لمرتبة العلم، وصدق فيهم قول الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «نَاظِروا القدريّة بالعِلم؛ فإن أقرُّوا به خُصِموا، وإن أنكَروه كفَروا»[٢].

• ثم قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ذكر الدرجة الأولىٰ التي اشتملت علىٰ مرتبتي العلم والكتابة، فقال: «**وَأَمَّا الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ؛ فَهِيَ مَشِيئَةُ اللهِ النَّافِذَة، وَقُدْرَتُهُ الشَّامِلَةُ، وَهُوَ: الإِيمَانُ بِأَنَّ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ حَرَكَةٍ وَلا سُكُونٍ؛ إلا بِمَشِيئَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ، لا يَكُونُ فِي مُلْكِهِ مَا لا يُرِيدُ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ وَالْمَعْدُومَاتِ، مَا مِنْ مَخْلُوقٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ إلا اللهُ خَالِقُهُ سُبْحَانَهُ، لا خَالِقَ غَيْرُهُ، وَلا رَبَّ سِوَاهُ**».

هنا شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ يذكر الدرجة الثانية من مسائل القدر والتي تتضمن مرتبتي: المشيئة، والخلق، فأهل السنة والجماعة يؤمنون بمشيئة الله النافذة، وأن ما

(١) «صحيح مسلم» (٨).
(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٣/ ٣٤٩).

شاءه عَزَّوَجَلَّ كان وما لم يشأ لم يكن، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [السجدة: ١٣]، وقوله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٩]، وقوله تعالىٰ: ﴿مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنعام: ٣٩]، وخالف أهل الضلال من القدرية والمعتزلة نفاة القدر هذا الأمر فهم يثبتون للعبد مشيئة تخالف ما أراده الله كونًا.

ومعنىٰ قوله: «نافذة»؛ أي: إن الله لا معقب لحكمه، ومشيئة الله هي الإرادة الكونية، وهي بخلاف الإرادة الشرعية التي توافق محبة الله عَزَّوَجَلَّ، وكل ما أراده شرعًا فهو موافق لمحبته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وإن كان العبد قد يفعله ويطيع الله في ذلك، وقد لا يفعله ويعصي الله في ذلك.

قال تعالىٰ: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ۖ﴾ [الزمر: ٧]، وعصيان العبد لربه لا يجعله يرد الإرادة الكونية بل هي نافذة بإرادة الله وقدرته شاءت المخلوقات أم لم تشأ، ولذلك قال شيخ الإسلام في تقريره: «**وَأَنَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ حَرَكَةٍ وَلَا سُكُونٍ إِلَّا بِمَشِيئَةِ الله سُبْحَانَهُ**»، فالله هو الذي قدر للساكن سكونه وللمتحرك حركته، وقد حصل القدر بعلم الله وأمره المكتوب؛ لأن الله هو المالك للكون، ولذلك قال شيخ الإسلام في تقريره: «**لَا يَكُونُ فِي مُلْكِهِ إِلَّا مَا يُرِيدُ**» أي: ما لم يرده كونًا، وقوله: «**وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ وَالْمَعْدُومَاتِ**»، فعبر عنها شيخ الإسلام بقوله: «قدرته الشاملة»: موافقًا قول الله تعالىٰ: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾ [البقرة: ٢٨٤]، وقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الفتح: ٢١]، فقوله سبحانه: ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يدل علىٰ شمول قدرة الله، فتشمل قدرته المعدوم والموجود، فقدرة الله مطلقة علىٰ كل

الأشياء.

أما الأشاعرة والماتريدية وغيرهم فيقولون: إن قدرة الله محصورة علىٰ ما يشاء فقط، ويتجاهلون قول الله تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥]، قال رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**أَعُوذُ بِوَجْهِكَ**، ثم تلا: ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ فقال: **أَعُوذُ بِوَجْهِكَ**، ثم تلا: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥]، فقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: **هَذِهِ أَهْوَنُ**»(١).

فدلت الآيات علىٰ قدرة الله علىٰ ما يشاء وعلىٰ ما لم يشأ، وقد نبه علماء الإسلام علىٰ ما يخالف به أهل الضلال نص القرآن بقولهم: والله علىٰ ما يشاء قدير، فهذه مقولة ظاهرها حق يراد به باطل، والأولىٰ أن يقول المسلم: والله علىٰ كل شيء قدير، ونقول هنا أيضًا أن تلك العبارة حتىٰ لو جاءت في بعض الآثار الصحيحة، فإن مذهب أهل السنة أنها لا تنفي قدرته علىٰ ما لم يشأ عَزَّوَجَلَّ، وبذلك وجب علينا التقيد بموافقة نصوص الكتاب والسنة لئلا ندع مجالًا لأقوال أهل البدع والضلال.

---

(١) «صحيح البخاري» (٤٦٢٨).

## لا تعارض بين القدر والشرع
## ولا بين تقديره للمعاصي وبغضه لها

• ثم قال شيخ الإسلام: «وَمَعَ ذَلِكَ؛ فَقَدْ أَمَرَ الْعِبَادَ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رُسُلِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ. وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ وَالْمُحْسِنِينَ وَالْمُقْسِطِينَ، وَيَرْضَىٰ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَلا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ، وَلا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ، وَلا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ، وَلا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ، وَلا يُحِبُّ الْفَسَادَ».

قوله: «مع ذلك» أي: مع حصول أقدار الله السابقة، فقد أمر الله عباده بطاعته وطاعة رسوله، فإن حصول القدر لا يعني عدم العمل؛ لأن قدر الله هو علمه بما سيكون، وأيضًا كتابته بما سيكون، فالله عَزَّوَجَلَّ يحب الإحسان من عباده المحسنين والمتقين والمقسطين، وهو أيضًا سبحانه لا يحب الكافرين بل يبغضهم وكذلك الفاسقين، لا يحب أفعالهم ويبغضها وهو لم يأمرهم بالفساد ولا بالكفر وإن فعلوا ذلك، وإن كان هو قد قدره وأراده كونًا لعلمه بأنهم فاعلوه، وبيان ذلك أن أهل السنة قالوا: إنه يجتمع في حق المعين من المسلمين الإرادة الكونية والشرعية، فما فعل المسلم من خير ما شرع الله اجتمعت فيه محبة الله وإرادته له كونًا، وما فعله الكافر والعاصي نفذت فيه المشيئة والإرادة الكونية وهو في فعله لم يوافق الإرادة الشرعية، وإذا تبين ذلك عرفنا معنىٰ ما ذكره شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن المتقين والمحسنين والمقسطين ومحبة الله لهم، فهذه عقيدة أهل السنة والجماعة التي ضل عنها طوائف أهل الجبر ونفاة القدر، وهذا ضلالهم يرجع إلىٰ عدم التفريق الصحيح بين الإرادة

الكونية والشرعية، وأنه قد يجتمع في المعين المشيئة الكونية وما لا يريده الله شرعًا، وهذا أمر ظاهر بين لمن ضبط هذه القواعد علىٰ أصول أهل السنة والجماعة.



## لا تنافي بين إثبات القدر
## وإسْناد أفعَال العباد إليهِم وأنّ فعلهم باختِيارهم

• ثم قال شيخ الإسلام: «وَالْعِبَادُ فَاعِلُونَ حَقِيقَةً، وَاللهُ خَلَقَ أَفْعَالَهُم. وَالْعَبْدُ هُوَ: الْمُؤْمِنُ، وَالْكَافِرُ، وَالْبَرُّ، وَالْفَاجِرُ، وَالْمُصَلِّي، وَالصَّائِمُ. وِلِلْعِبَادِ قُدْرَةٌ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمْ، وَلَهُمْ إِرَادَةٌ، وَاللهُ خَالِقُهُمْ وَقُدْرَتهُمْ وَإِرَادَتهُمْ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾﴾ [التكوير: ٢٨]، ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٩].

وَهَذِهِ الدَّرَجَةُ مِنَ الْقَدَرِ يُكَذِّبُ بِهَا عَامَّةُ الْقَدَرِيَّةِ الَّذِينَ سَمَّاهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَجُوسِ هَذِهِ الأُمَّةِ»، ويغلوا فيها قوم من أهل الإثبات، حَتَّىٰ سَلَبُوا الْعَبْدَ قُدْرَتَهُ وَاخْتِيَارَهُ، وَيُخرِجُونَ عَنْ أَفْعَالِ اللهِ وَأحكامهِ حُكْمَهَا وَمَصَالِحَهَا».

قوله: «وَهَذِهِ الدَّرَجَةُ مِنَ الْقَدَرِ»؛ أي: المشيئة والخلق، يكذب بها عامة القدرية، الذين سماهم النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «مَجُوسُ هَذِهِ الأُمَّة».

إلىٰ أن قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَيَغْلُو فِيهَا قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الإِثْبَاتِ؛ حَتَّىٰ سَلَبُوا الْعَبْدَ قُدْرَتَهُ وَاخْتِيَارَهُ، وَيُخْرِجُونَ عَنْ أَفْعَالِ الله وَأَحْكَامِهِ حِكَمَهَا وَمَصَالِحِهَا».

قوله: «وَالعِبَادُ فَاعِلُونَ حَقِيقَةً»: المقصود أن العبد هو الذي يباشر فعله حقيقة وإن كان الله هو الخالق لفعل العبد حقيقة، ودليل ذلك قول الله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: ٩٦]، أي: خلقكم وخلق الذي تعملونه أيضًا، فأفعال العباد مخلوقة لله، وخالف في هذا طائفتان:

الأولىٰ: القدرية من المعتزلة، قالوا: إن العباد فاعلون حقيقة، والله لم يخلق

أفعالهم وإن أفعالهم واقعة بمشيئة العباد وقدرتهم دون مشيئة الله، وإن الله لم يقدر ذلك عليهم ولم يكتبه ولم يشأه، بل قالوا: إن الله لا يقدر أن يهدي ضالًّا، ولا يضل مهتديًا، فهؤلاء شابهوا المجوس فسموا مجوس هذه الأمة، وقد أجمع السلف علىٰ تبديعهم وتضليلهم لمخالفتهم الكتاب والسنة والعقل والفطرة.

الثانية: الجبرية من الجهمية، قالوا: إن الله خالق أفعال العباد، وليسوا فاعلين حقيقة، وإنما أضيف العمل إليهم من باب التجوز، وإلا فالفاعل الحقيقي هو الله، فقالوا: إن العبد مجبور علىٰ أفعاله وهي واقعة بغير اختياره، فالعبد عندهم هو آلة محضة وحركاته بمنزلة هبوب الرياح وحركات المرتعش، وهؤلاء شر من النفاة القدرية وأكثر مناقضة للكتاب والسنة والعقل والفطرة.

وقول شيخ الإسلام: «وَالْعَبْدُ هُوَ الـمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ، وَالْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، وَالْـمُصَلِّي وَالصَّائِمُ» يقصد شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن هذه الأوصاف تطلق علىٰ العبد فقط لا لغيره، وكل أحد يوصف بفعله وما ظهر منه ولا يمكن أن يوصف أحد بما ليس من فعله حقيقيةً، وفي هذا دلالة علىٰ نسبة الأفعال إلىٰ فاعلها حقيقية، فالله وصف بعض العباد بالظلم، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٧٦﴾ [الزخرف: ٧٦]، فكل فاعل ينسب الفعل إليه ويثاب أو يعاقب من الله إن شاء ذلك، والعبد مستحق لذلك لأجل فعله، وفي هذا رد علىٰ الجبرية.

والعبودية معناها الخضوع للأمر الشرعي أو الكوني، وهي خاصة وعامة، **فالعامة** هي: الخضوع لأمر الله الكوني، قال تعالىٰ: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ٩٣﴾ [مريم: ٩٣]، **والعبودية الخاصة**: هي الخضوع لأمر الله الشرعي، وهذه لأهل الإيمان، قال تعالىٰ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾ [الفرقان: ٦٣]، وأخص منها قوله تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ

﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان: ١].

وقول شيخ الإسلام: «وَلِلْعِبَادِ قُدْرَةٌ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمْ وَلَهُمْ إِرَادَةٌ، وَاللهُ خَالِقُهُمْ وَخَالِقُ قُدْرَتِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ»: هذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة، وهي رد علىٰ الجبرية من أهل الضلال الذين ينفون قدرة وإرادة المخلوق ويقولون بالجبر، وكذلك رد علىٰ القدرية الضلال الذين يقولون بأن الله ليس خالقًا لفعل العبد ولا لإرادته ولا قدرته.

ومن هنا يتقرر صحة قول أهل السنة الذين هداهم الله إلىٰ الحق والقول الوسط الموافق للأدلة الشرعية، فأثبتوا أن العباد فاعلون ولهم قدرة علىٰ أعمالهم ولهم إرادة ومشيئة، وأن الله عَزَّوَجَلَّ خلقهم وخلق قدرتهم ومشيئتهم، ودليل ذلك ما ذكره شيخ الإسلام في هذا الفصل من آيات، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾ [التكوير: ٢٩]، وقال أيضًا: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ [الصافات: ٩٦].

• ثم قال شيخ الإسلام: «وهذه الدرجة من القدر»: يقصد بها المشيئة والخلق، قد خالف الحق فيها من كذب بالقدر، وهم عامة القدرية الذين سماهم الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «بمَجُوس هَذِهِ الأُمَّة»؛ لأن من أقوال المجوس الباطلة أنهم يقولون: إن للحوادث في الكون خالقين: خالقًا للخير، وخالقًا للشر، فخالق الخير هو: النور، وخالق الشر هو: الظلمة؛ فالقدرية يشبهون المجوس من هذا الوجه، والمجوس جاءت الآثار في ذمهم والتحذير منهم، من ذلك قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من حديثِ أُبيّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ مَجُوسٌ، وَإِنَّ مَجُوسَ هَذِهِ الأُمَّةِ القَدَرِيَّةُ، فَلَا تَعُودُوهُم إِذَا مَرِضُوا، وَلَا تُصَلُّوا عَلَىٰ جَنَائِزِهم إِذَا مَاتُوا**».

وقد اختلف أهل العلم في تكفيرهم إلا أنهم نصُّوا علىٰ أن من أنكر منهم مرتبة العلم فهو كافر، ذكر ذلك الإمام الشافعي وأحمد وغيرهما من أئمة الإسلام.

وأما قول شيخ الإسلام في عبارته الأخيرة: «وَيَغْلُو فِيهَا قَومٌ مِنْ أَهْلِ الإِثْبَاتِ، حَتَّىٰ سَلَبُوا الْعَبْدَ قُدْرَتَهُ وَاخْتِيَارَهُ، وَيُخرِجُونَ عَنْ أَفْعَالِ اللهِ وَأَحْكَامِهِ حُكْمَهَا وَمَصَالِحَهَا»: في هذه العبارات يشير شيخ الإسلام إلىٰ الجبرية الذي غلو في نفي أفعال العباد حتىٰ سلبوا العبد قدرته واختياره، وزعموا أن الله هو فاعل أفعال العباد، وإن العبد ليس له قدرة ولا إرادة البتة، فهؤلاء أهل ضلال أيضًا وأقوالهم باطلة، وإمامهم في هذه الأقوال **الجهم بن صفوان الترمذي** ومن سار علىٰ مذهبه الضال.

وقد رد أهل السنة والجماعة علىٰ أقوالهم الباطلة، وقالوا: لو لم يكن للعبد فعل أصلًا لما صح تكليفه ولا ترتب استحقاق الثواب والعقاب علىٰ أفعاله التي فعلها قاصدًا لها حقيقة والله يحاسبهم عليها، قال تعالىٰ: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٤﴾ [الواقعة: ٢٤]، وقال تعالىٰ: ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ [الكهف: ٢٩]، فتبين من أقوال أهل الضلال جميعهم أنهم يقولون: أفعال الله وأحكام الله في خلقه وعباده خارجة عن الحكمة والمصلحة، تعالىٰ الله عن ذلك، أما أهل السنة والجماعة فقد وفقهم الله للحق فأثبتوا العلة والحكمة في أفعال الله عَزَّوَجَلَّ وفي شرعه وقدره سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، فما خلق الله شيئًا وقضاه وشرعه إلا لحكمة بالغة وإن تقاصرت عنها عقول البشر، والأدلة علىٰ إثبات ذلك كثيرة، قال تعالىٰ: ﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا﴾ [المؤمنون: ١١٥]، وقال: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ٣٦﴾ [القيامة: ٣٦]، وقال عز من قائل: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ٣٨﴾ [الدخان: ٣٨].

فالحمد لله علىٰ إكرام الله لخلقه وإنعامه، وتبارك سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ في شأنه وملكه وسلطانه.

## حقيقة الإيمان
## وحكم مرتكب الكبيرة

• ثم قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَصْلٌ: وَمِنْ أُصُولِ أهل السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: أَنَّ الدِّينَ وَالإيمان قَوْلٌ وَعَمَلٌ، قَوْلٌ بالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ.

وَأَنَّ الإيمان يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ.

وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لا يُكَفِّرُونَ أهل الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ؛ كَمَا يَفْعَلُهُ الْخَوَارِجُ؛ بَلِ الأُخُوَّةُ الإيمانيَّةُ ثَابِتَةٌ مَعَ الْمَعَاصِي؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ١٧٨]، وَقَالَ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ [الحجرات: ٩]، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠].

وَلا يَسْلُبُونَ الْفَاسِقَ الْمِلِّيَّ اسْمَ الإيمان بِالْكُلِّيَّةِ، وَلا يُخَلِّدُونَهُ فِي النَّارِ؛ كَمَا تَقُولُ الْمُعْتَزِلَةُ. بَلِ الْفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإيمان؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢]، وَقَدْ لا يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإيمان الْمُطْلَقِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢]، وَقَوْلُهُ: صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَنْتَهِبُ نَهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إليه فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ.

وَيقُولُونَ: هُوَ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الإيمان، أو مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ، فَلا يُعْطَىٰ الاسْمَ الْمُطْلَقَ، وَلا يُسْلَبُ مُطْلَقَ الاسْم».

قول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَصْلٌ: وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: أَنَّ الدِّينَ وَالإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ»: يقصد بالدين هنا العمل، وإلا فالدين هو ما أمر الله به علىٰ ما جاءت به الرسل، قال تعالىٰ: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة: ٣]، أي: عملًا تتقربون به إلىٰ الله.

**والإيمان لغةً**: هو التصديق، وإن قيل: الإقرار فهو أرجح، وأما **الإيمان شرعًا** فهو كما قال المؤلف قول وعمل، قال: قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، فللقلبِ قول وعمل، واللسان له قول وعمل، وقول القلب هو الاعتقاد بما جاء به الشرع.

**وعمل القلب**: إرادته وإخلاصه وتوكله وخوفه ورجاؤه ومحبته وانقياده وطمأنينته.

**وقول اللسان**: أعظمها لا إله إلا الله، والذكر، وتبليغ أوامر الله، والدفاع عن دين الله.

**وعمل اللسان والجوارح**: العبادات: كالصلاة، والحج، والجهاد ونحو ذلك.

فتحصل من هذا أن الإيمان عند أهل السنة والجماعة: قول وعمل واعتقاد، وهذا مجمع عليه من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وأنكر السلف علىٰ من أخرج الأعمال من الإيمان، ودليل هذا ما روىٰ الإمامان البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَة؛ أَعْلَاهَا: قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ**»[1]، وتواترت أقوال السلف علىٰ هذا التعريف: أن الإيمان قول وعمل، يزيد

---

(١) «صحيح البخاري» (٩)، «صحيح مسلم» (٣٥) واللفظ له.

وينقص، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الإيمان بالله هو مجموع القول والعمل، كما علم ذلك أصحاب رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ والتابعون وتابعوهم، وعلىٰ ذلك ما يقارب من مائة دليل من الكتاب والسنة»، وخالف ما قرره أهل السنة والجماعة في هذا التعريف طائفتان:

الطائفة الأولىٰ: المرجئة، يقولون: إن الإيمان هو الإقرار بالقلب، وما عدا ذلك فليس من الإيمان، فعندهم أنه لا يزيد ولا ينقص، فالناس عندهم سواء البر والفاجر.

الطائفة الثانية: الخوارج والمعتزلة، قالوا: إن الأعمال داخلة في مسمىٰ الإيمان، وأنها شرط في بقائه، فمن فعل معصية من الكبائر خرج من الإيمان، لكن الخوارج قالوا: كافر، والمعتزلة قالوا: هو في منزلة بين المنزلتين، خرج من الإيمان، ولم يدخل في الكفر، وكل ما قرره الطرفان قول باطل ترده الأدلة الشرعية من الوحيين.

أما قول المؤلف: «**وَأَنَّ الإِيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ**»: هذا أيضًا من أصول أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد وينقص، ودليل قوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [التوبة: ١٢٤]، وقوله: ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: ٣١]، وأما دليل النقص ففي الصحيحين من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وعظ النساء وقال لهن: **مَا رَأَيْتُ مِن نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ**»[1].

(١) «صحيح البخاري» (١٤٦٢)، «صحيح مسلم» (٨٠).

**ولزيادة الإيمان ونقصانه أسباب؛ منها:**

التدبر في أسماء الله وصفاته، والنظر في آيات الله الكونية والشرعية، وكثرة الطاعات وإحسانها، وترك المعاصي وهجرانها طاعة لله واتقاء لسخطه، كذلك نقص الإيمان له أسبابه، منها عدم معرفة أسماء الله وصفاته والنظر والتدبر فيها، وعدم النظر في آيات الله الكونية والشرعية، وقلة العمل الصالح والإكثار من المعاصي، قال تعالىٰ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين: ١٤].

ولقد خالف في هذا الأصل طوائف المرجئة والخوارج والمعتزلة، أما المرجئة فنفوا الزيادة والنقصان لأنهم أخرجوا الأعمال من الإيمان، فقالوا: إن الإيمان هو إقرار القلب، وهذا عندهم لا يزيد ولا ينقص، وأما الخوارج والمعتزلة -يقال لهم: الوعيدية لأنهم يغلّبون نصوص الوعيد علىٰ نصوص الوعد- فيخرجون صاحب الكبيرة من الإيمان، أما الخوارج فيكفرونه، والمعتزلة جعلوه في منزلة بين منزلتين علىٰ التفصيل الذي سبق معنا(١).

وقول شيخ الإسلام بعد ذلك: «**وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لا يُكَفِّرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ، كَمَا تَفْعَلُهُ الْخَوَارِجُ**»، المقصود بأهل القبلة المسلمون وإن كانوا عصاة، فالمسلم في أصول أهل السنة والجماعة لا يكفُر بمجرد وقوعه واقترافه معصية صغيرة أو كبيرة من الكبائر، وهذا معنىٰ قول شيخ الإسلام: «بمطلق المعاصي»؛ لأن مطلق المعصية لا يكون كفرًا؛ ولأن مطلق الشيء أصل الشيء، بخلاف الشيء المطلق الذي معناه الكمال فيه، فالمؤمن فاعل الكبيرة عنده مطلق الإيمان، أي: إن أصل الإيمان موجود عنده، لكن كمال الإيمان مفقود عنده بفعله

(١) (ص: ٢١٥).

للذنوب والكبائر أحيانًا.

وأما قول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كما يفعله الخوارج»؛ أي: إن الخوارج عندهم فاعل الكبيرة كافر، ولذلك استباحوا دماء المسلمين بهذه العقيدة الفاسدة، وسفكوا الدماء ونهبوا الأموال، لكن أهل السنة والجماعة عندهم كما ذكر المؤلف: «**بَلِ الأُخُوَّةُ الإِيمَانِيَّةُ ثَابِتَةٌ مَعَ الْمَعَاصِي**»، فالمؤمنون إخوة بَرهم وفاجرهم والقاتل فيهم والمقتول، كلهم لا زالوا في دائرة الإسلام والايمان، واستدل شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ هذا الأصل العظيم بقول الله تعالىٰ: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ١٧٨]، وقول الله تعالىٰ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠]، ففي هذه الآيات دليل علىٰ أن الكبائر لا تخرج فاعلها من الإيمان، فنحن نحب المؤمن بما معه من الإيمان، ونكرهه بما معه من المعاصي وهذا هو العدل الذي جاءت به نصوص الوحيين وسار عليه أهل السنة والجماعة.

• ثم قال شيخ الإسلام: «**وَلَا يَسْلُبُونَ الْفَاسِقَ الْمِلِّيَّ اسْمَ الإِيمَانِ بِالْكُلِّيَّةِ، وَلَا يُخَلِّدُونَهُ فِي النَّار. بَلِ الْفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإِيمَان الْمُطْلَق**»: ومعنىٰ ما ذكره المؤلف في هذا: أن من أصول أهل السنة والجماعة أن الفاسق -والمقصود به الخارج عن الطاعات- بفعله المعاصي وإن أصر علىٰ فعلها لا يخرجه فسقه عن ملة الإسلام، وهذا معنىٰ كلمة: **الملّي**؛ أي: المنتسب إلىٰ ملّة أهل الإسلام ولم يخرج عن كونه مسلمًا وهو لا زال داخل في مطلق الإيمان الذي يشمل الفاسق والعدل، فهذا عند أهل السنة مسلم مؤمن لكنه ناقص الإسلام والإيمان، وهو وإن عوقب

بدخول النار لهذه المعاصي أو الكبائر فإنه لا يخلد في النار، بل يؤول بعد العقاب إلىٰ الجنة خالدًا فيها، وهذا الأصل خلافًا لأهل الضلال من الخوارج والمعتزلة الذين يقولون هو خالد في النار.

أما معنىٰ قول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«وَقَدْ لا يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإِيمَانِ الْمُطْلَقِ»؛** أي: إن الإيمان قد يراد به في بعض الآيات مطلق الإيمان وقد يراد به الإيمان المطلق، فإذا ذكر الله عند مسلم ولم يوجل قلبه أو تليت عليه آيات من القرآن ولم يزدد إيمانًا، فهذا يصح أن نقول عنه: إنه مؤمن، ويصح أن نقول: ليس بمؤمن، ويكون تفسير هذا عند أهل السنة أنه بقولنا: مؤمن، أي: إن معه مطلق الإيمان أي: أصل الإيمان، وبقولنا: ليس بمؤمن، أي: نقصد ليس معه الإيمان الكامل، ويوضح هذا ما أورده شيخ الإسلام في هذا الموضع كدلالة له هذا الحديث الذي في الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: **«لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَنْتَهِبُ نهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إليه فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ»**[(١)].

والمستفاد من الحديث أن المؤمن حين فعله ومباشرته للزنىٰ لا يكون مؤمنًا، أي: لا يكون كامل الإيمان حين زنىٰ؛ لأنه لو كان كامل الإيمان حين إقدامه علىٰ الزنىٰ ما كان أقدم عليه، ثم بعد فراغه من الزنىٰ، فهو مؤمن ناقص الإيمان وقد يتوب ويغفر الله له فيعود إلىٰ الإيمان الكامل، وهكذا معنىٰ الحديث في حال العاصي بالسرقة، والسرقة هي: أخذ المال بالخفاء، وكذلك شارب الخمر، وكذلك المنتهب

(١) «صحيح البخاري» (٢٤٧٥).

أي: آخذ المال على وجه الغنيمة، فما المراد بنفي الإيمان هنا؟ نفي تمام الإيمان وكماله، فهذا يوصف بما ذكره شيخ الإسلام في آخر عباراته بقوله: «**هُوَ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الإِيمَانِ، أَوْ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ، فَلَا يُعْطَىٰ الاسْمُ الْمُطْلَقُ، وَلَا يُسْلَبُ مُطْلَقُ الاسْمِ**».



## الواجبُ نحو أصحابِ رسول الله ﷺ وذكر فضائِلهم

• ثم قال شيخ الإسلام: «فَصْلٌ: وَمِنْ أُصُولِ أهل السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: سَلَامَةُ قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ لأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَمَا وَصَفَهُمُ اللهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٠﴾ [الحشر: ١٠]، وَطَاعَة النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ: «لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهُ؛ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ».

وَيَقْبَلُونَ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسَّنَّةُ وَالإِجْمَاعُ مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ.

وَيُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَهُوَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ وَقَاتَلَ عَلَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلَ، وَيُقَدِّمُونَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَى الأنصارِ، وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ قَالَ لأهل بَدْرٍ، وَكَانُوا ثَلاثَ مِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ: «اعْمَلُوا مَا شِئْتُم، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ».

وَبأنه لا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ؛ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بَلْ لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمائَة.

وَيَشْهَدُونَ بِالْجَنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، وَغَيْرِهِم مِنَ الصَّحَابَةِ».

هذا بيان لأصل من أصول أهل السنة والجماعة، وهو عقيدة أهل السنة والجماعة في صحابة رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وأهل بيته، والذي جعل أهل السنة

والجماعة يفردون هذا الأمر في كتب العقيدة بالكلام: ما حصل من مواقف أهل الضلال والفرق المبتدعة الذين خاضوا في سيرة الصحابة الكرام، وأهل بيت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فكلامهم فيه انحراف بين غالي وجافي، فحادوا علىٰ القول العدل في هذا الأصل العظيم، فكان حتمًا لأهل السنة والجماعة أن يقرروا هذا الأصل علىٰ الوجه الصحيح، الموافق لما جاء تعظيمًا لمنزلة صحابة رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ورضي الله عن صحابته وآل بيته الكرام، فذكر شيخ الإسلام ما قرره أهل السنة والجماعة في هذا الأصل.

• قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن أصول أهل السنة والجماعة»؛ أي: من عقيدتهم سلامة قلوبهم من الغل والحقد والبغض والعداوة لأصحاب رسول الله الكرام، وسلامة ألسنتهم من الطعن فيهم أو اللعن والوقيعة فيهم، كما يفعله الرافضة والخوارج، فيجب اعتقاد فضل أصحاب رسول الله -رضوان الله عليهم-، ومعرفة سابقتهم وذكر محاسنهم والترضي عنهم والاستغفار لهم والكف عما شجر بينهم، فإنهم خير القرون وهم السابقون الأولون، وذكر فضائلهم مما جاء في الكتاب والسنة، فقد فازوا بصحبة النبي ونصرته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وعلمهم وفقههم في الدين لا يجارون فيه، فكل علم وخير وصل الأمة بسببهم، قال تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ﴾ [الفتح: ٢٩]، وفي هذا أعظم رد علىٰ الرافضة والخوارج.

**والصحابي هو**: من اجتمع بالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مؤمنًا به ومات علىٰ ذلك ولو تخللته ردة، وعدد الصحابة قيل: بلغ مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا كما ذكر بعض أهل العلم، وكلهم عدول بالإجماع، بتعديل الله لهم كما جاء في قوله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ

عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من أصبح وفي قلبه بغض لأحد من الصحابة فقد أصابته الآية: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ﴾ [الفتح: ٢٩]»[(١)]، قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه؛ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُم أَنْفَق مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِم وَلَا نَصِيفَهُ**»[(٢)].

• قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وَيَقْبَلُونَ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ أَوِ السُّنَّةُ وَالإِجْمَاعُ مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ**»: لقد جاءت الأدلة في الوحيين في فضل الصحابة إجمالًا، فهم خير القرون كما جاءت الأدلة علىٰ تفضيل بعض منهم علىٰ بعض، وأنهم علىٰ مراتب في الفضل، فعند أهل السنة أفضل الصحابة: أبو بكر الصديق، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان ذو النورين، ثم علي المرتضىٰ، ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة، ثم أهل بدر، ثم أهل بيعة الرضوان، ثم أهل أُحد، ثم بقية الصحابة، ثم بقية الأمة أفضل من سائر الأمم، قال تعالىٰ: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وعند الترمذي من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّكُم تتمُّونَ سَبْعِينَ أُمَّة، أَنْتُم خَيْرهَا وَأَكْرَمها عَلَىٰ اللهِ**».

وقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**مَن أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ**»: هؤلاء هم السابقون من المهاجرين والأنصار، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ﴾ [التوبة: ١٠٠]، **فالسابقون هم**: الذين أنفقوا من قبل فتح مكة وقُتلوا في سبيل الله، وأهل بيعة الرضوان كلهم منهم، قال تعالىٰ: ﴿لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [الحديد: ١٠]، فهم لا يستوون في الفضل والأجر والثواب، وذلك لأن الإنفاق قبل

---

(١) «الحلية» لأبي نعيم (٦/ ٣٢٧).

(٢) «صحيح البخاري» (٣٦٧٣)، «صحيح مسلم» (٢٥٤١).

الفتح كان في حال شدة وضعف، أما بعد الفتح فكان ظهور الإسلام أعظم، والمراد ببعد الفتح: هو صلح الحديبية، وكان فتحًا عظيمًا في الإسلام، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ [الفتح: ١]، يقول البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أنتم تعدّون الفتح فتح مكة وقد كان فتحُ مكة فتحًا، ونحن نعدّ الفتح بيعةَ الرضوان يومَ الحديبية»[١]، وعند البخاري: «سُئل رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عن صلح الحديبية، أفتح هو؟ قال: **نَعَم**»[٢].

وقول المؤلف بعد ذلك: «**وَيُقَدِّمُونَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَىٰ الأَنْصَارِ**»: قال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم السقيفة: «بعث الله محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بالهدىٰ ودين الحق، فدعا إلىٰ الإسلام، فأخذ الله بقلوبنا ونواصينا إلىٰ ما دعا إليه، وكنا معشر المهاجرين أول الناس إسلامًا ونحن عشيرته وأقاربه»[٣]، وهذا في بيان فضل المهاجرين، وأما في فضل الأنصار فقد قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فيهم: «**آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ**»[٤]، أما في فضل أهل بدر قال المؤلف: «**إِنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ قَالَ لأَهْلِ بَدْرٍ -وَكَانُوا ثَلَاثَمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ-: «اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»**»، يُشير لقول الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إِنَّ اللهَ اطَّلَعَ عَلَىٰ أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»[٥].

قوله: «**وَبِأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**»: هذه من عقيدة أهل السنة

---

(١) «صحيح البخاري» (٤١٥٠).

(٢) «صحيح مسلم» (١٧٨٥).

(٣) «السيرة لابن هشام» (٤/ ١٠٧٣).

(٤) «صحيح البخاري» (٣٧٨٤)، «صحيح مسلم» (٧٤).

(٥) «صحيح البخاري» (٤٨٩٠)، «صحيح مسلم» (٢٤٩٤).

في أهل بيعة الرضوان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة، يشهدون لهم بالجنة بشهادة الله عَزَّوَجَلَّ وشهادة رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لهم، قال تعالىٰ: ﴿۞لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، وفي صحيح مسلم من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِنْ شَاءَ اللهُ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ**»(١)، وعند مسلم من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنّا في الحديبية ألفًا وأربعمائة، فقال لنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **أَنْتُم خَيْرَ أَهْلِ الأَرْضِ**»(٢).

ومن عقيدة أهل السنة أنهم يشهدون بالجنة للعشرة المبشرين بشهادة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لهم، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كما عند الترمذي من حديث عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وَعُمَر فِي الجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ بنُ العَوَّامِ فِي الجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ فِي الجَنَّةِ، وَسَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي الجَنَّةِ، وَسَعِيدُ بنُ زَيْدٍ فِي الجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ فِي الجَنَّةِ**»(٣).

وفي فضل الشيخين جاء عند الترمذي من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الجَنَّةِ مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ؛ مَا خَلَا النَّبِيِّينَ وَالمُرْسَلِينَ، لَا تُخْبِرْهُمَا يَا عَلِيّ**»(٤).

وفي فضل ثابت بن قيس يشهد أهل السنّة أنه من أهل الجنة لما ورد في صحيح

---

(١) «صحيح مسلم» (٢٤٩٦).

(٢) «صحيح مسلم» (١٨٥٦).

(٣) صحيح: أخرجه أحمد (١٦٧٥)، والترمذي (٣٧٤٧)، انظر «المشكاة» (٦١٠٩).

(٤) «صحيح الترمذي» (٣/ ٥٠٤).

البخاري من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال لرجل: «**اذْهَبْ إِلَيْهِ، فَقُلْ لَهُ: إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَلَكِنَّكَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ**»(١).

وجاء ذكر شهادة رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لغير هؤلاء الصحابة بأنهم من أهل الجنة، وممن شُهد له بالجنة **عبد الله بن سلام**(٢)، **والحسن والحسين** سيدا شباب الجنة(٣) **وعكاشة بن محصن**(٤) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعًا.

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أنهم لا يشهدون لمن لم يشهد له رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بالجنة، إلا بالوصف العام لأهل الصلاح والتقوىٰ في الإسلام، ففي الصحيحين أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مُرَّ عَلَيْهِ بِجَنَازَةٍ فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خيرًا، فَقَالَ: **وَجَبَتْ**، وَمُرَّ عَلَيْهِ بِجَنَازَةٍ فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا فَقَالَ: **وَجَبَتْ**، فَقِيلَ: يَا رَسُول الله؛ مَا قَوْلُكَ: وَجَبَتْ؟ فَقَالَ: **هَذِهِ جَنَازَةٌ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهَا بِالخَيْرِ فَقُلْتُ: وَجَبَتْ لَهَا الجَنَّة، وَهَذِهِ الجَنَازَةُ أَثْنَيْتُم عَلَيْهَا شَرًّا فَقُلْتُ: وَجَبَتْ لَهَا النَّارُ، أَنْتُم شُهَدَاء اللهِ فِي الأَرْضِ**»(٥).

• ثم قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «**وَيُقِرُّونَ بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ علي بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَغَيْرِهِ مِنْ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّها: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، وَيُثَلِّثُونَ بِعُثْمَانَ، وَيُرَبِّعُونَ بعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ كَمَا دَلَّتْ عليه الآثَارُ.**

**وَكَمَا أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ عَلَىٰ تَقْدِيمِ عُثْمَان فِي الْبَيْعَةِ، مَعَ أَنَّ بَعْضَ أهل السُّنَّةِ كَانُوا قَدِ اخْتَلَفُوا فِي عُثْمَانَ وَعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَىٰ تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ**

---

(١) «صحيح البخاري» (٣٦١٣)، «صحيح مسلم» (١١٩).
(٢) أخرجه الترمذي (٣٨٠٤)، انظر «المشكاة» (٦٢٣١).
(٣) أخرجه الترمذي (٣٧٦٨)، انظر «الصحيحة» (٧٩٦).
(٤) «صحيح البخاري» (٥٧٠٥)، «صحيح مسلم» (٢٢٠).
(٥) «صحيح البخاري» (١٣٦٧)، «صحيح مسلم» (٩٤٩).

**أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟ فَقَدَّمَ قَوْمٌ عُثْمَانَ وَسَكَتُوا، ورَبَّعُوا بِعلي، وَقَدَّم قَوْمٌ عليًّا، وَقَوْمٌ تَوَقَّفُوا. لَكِنِ اسْتَقَرَّ أَمْرُ أهل السُّنَّةِ عَلَىٰ تَقْدِيمِ عُثْمَانَ، ثُمَّ علي».**

قوله: «**وَيُقِرُّونَ بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنْ أَمِيرِ الْـمُؤْمِنِينَ...**»: هذا ما قرره أهل السنة والجماعة وهو الحق، وفيه إشارة للرد علىٰ الرافضة الذين يفضلون عليًّا علىٰ أبي بكر وعمر، ويطعنون في خلافتهما، وقد سُئل عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن ذلك فقال: «أَلَا أُخْبِرُكُم بِخَيْرِ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّها؟ أَبُو بَكْرٍ، وَخَيرُها بَعدَ أَبِي بَكْرٍ عُمَر»[(١)]، وهذا أمر متواتر عند أهل السنة جاءت كثير من أقوال السلف فيه، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «وما علمتُ أحدًا من الأئمة المشهورين ينازع في ذلك»، وروىٰ البخاري ومسلم من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «كُنَّا في زَمَنِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لا نَعْدِلُ بأَبِي بَكْرٍ أحَدًا، ثُمَّ عُمَرَ، ثُمَّ عُثْمانَ، ثُمَّ نَتْرُكُ أصْحابَ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، لا نُفاضِلُ بيْنَهُمْ»[(٢)]، قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «علي رابعهم في الخلافة والتفضيل، وهو أول خليفة من بني هاشم».

---

(١) حسنُ الإسناد كما قال العلامة أحمد شاكر في تحقيقه علىٰ المسند (٢/ ١٨١-حديث ٩٢٢).

(٢) «صحيح البخاري» (٣٦٥٥).

## حكم تقديم عليٍّ رضي الله عنه على غيره من الخلفاء الأربعة في الخلافة

• قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ المَسْأَلَة -مَسْأَلَةُ عُثْمَانَ وَعلي- لَيْسَتْ مِنَ الأُصُولِ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمُخَالِفُ فِيهَا عِنْدَ جُمْهُورِ أهل السُّنَّةِ؛ لَكِن الَّتِي يُضَلَّلُ فِيهَا مَسْأَلَةُ الْخِلَافَةِ، وَذَلِكَ أنهم يُؤْمِنُونَ أَنَّ الْخَلِيفَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عليّ، وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلَافَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلاءِ؛ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أهلهِ».

ما قرره شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مسألة الخلافة بين تقديم عثمان علىٰ علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا هو كما ذكر أنها ليست من الأصول التي يُضلَّل المخالف فيها، وهذه من عقيدة أهل السنة أيضًا ولا يلزم الإجماع فيها علىٰ قول، فإن المتقرر المجمع عليه تقديم: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان الذي قدمه أهل مشورة عمر واتفقوا عليه، ثم بعد مقتل عثمان تولىٰ الخلافة علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ جميعًا، قال الإمام أحمد: «علي رابعهم في الخلافة والتفضيل، وأما معاوية بن أبي سفيان الصحابي الجليل فهو عدل من الفضلاء ومن الصحابة النُّجباء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ جميعًا، ومن طعن في خلافة واحد ممن ذكرنا فقد خالف النصوص الثابتة وخالف الإجماع، ومن خالف فقد ضلله بعض السلف»، وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من فضّل عليًّا علىٰ أبي بكر وعمر وقدّمه عليهِما في الأفضلية والإمامة دون النّسبِ فهو رافضيٌّ مبتدع فاسق»، ونُقل عن الإمام أحمد أيضًا أنه قال: «من لم يُربع بعلي في الخلافة فهو أضلُّ من حمارِ أهله».



## مكانة أهل بيت النبي ﷺ وأزواجه عند أهل السنة والجماعة

• قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَيُحِبُّونَ أهل بَيْتِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وَيَتَوَلَّوْنَهُمْ، وَيَحْفَظُونَ فِيهِمْ وَصِيَّةَ رَسُولِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ؛ حَيْثُ قَالَ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ: «أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أهل بَيْتِي».

وَقَالَ أَيْضًا لِلْعَبَّاسِ عَمِّه -وَقَدِ اشْتكَىٰ إليه أَنَّ بَعْضَ قُرَيْشٍ يَجْفُو بَنِي هَاشِمٍ- فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحِبُّوكُمْ؛ للهِ وَلِقَرَابَتِي».

وَقَالَ: «إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ بَنِي إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَىٰ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَىٰ مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَىٰ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ.

وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُؤْمِنُونَ بأنهنَّ أَزْوَاجُهُ فِي الآخِرَةِ: خُصُوصًا خَدِيجَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أُمَّ أَكْثَرِ أولادِهِ، وَأول مَنْ آمَنَ بِهِ وَعَاضَدَهُ عَلَىٰ أَمْرِه، وَكَانَ لَهَا مِنْهُ الْمَنْزِلَةُ العالية.

وَالصِّدِّيقَةَ بِنْتَ الصِّدِّيقِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، الَّتِي قَالَ فِيهَا النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَىٰ سَائِرِ الطَّعَامِ».

وفي بيان وتوضيح هذا نقول:

إنّ من أصول أهل السنة والجماعة أنهم يحبون آل بيت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لأسباب:

أولًا: المقصود بأهل بيت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: هم الذين حرمت

عليهم الصدقة، وهم آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس وبنو الحارث بن عبد المطلب، وأزواج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وبناته وأهل بيته، الذين قال الله عَزَّ وَجَلَّ فيهم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وكذلك يدخل في قرابته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فاطمة وأخواتها بنات رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وكذلك عليّ والحسن والحسين وغيرهم، والعباس بن عبد المطلب وأبنائه.

ثانيًا: أهل السنة والجماعة يحبونهم ويكرمونهم، لثلاثة أمور:

إحداها: لمحل إيمانهم، وكونهم من أهل الصدر الأول في الإسلام ومن القرون المفضّلة.

ثانيًا: لأن محبتهم وإكرامهم من احترام ومحبة وإكرام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

ثالثًا: لأن الله عَزَّ وَجَلَّ ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قد أَمرا بذلك، قال تعالىٰ: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورىٰ: ٢٣]، ومنها ما رواه مسلم عن زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا إلىٰ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**أُذَكِّرُكُم اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**»(١).

فقوله: «وَيُحِبُّون أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ»؛ أي: أهل السنة يحبونهم ولا يكرهونهم، وهم: ممّن كانوا متبعين للسنة مستقيمين علىٰ الملة كما كان سلف الأمة، أما من خالف السنة ولم يستقم علىٰ الدّين فإنه لا تجوز محبته ولو كان من أهل البيت.

قوله: «ويتولونهم»؛ أي: يجعلونهم من أوليائهم، وتشمل ولايتهم الموالاة

(١) «صحيح مسلم» (٢٤٠٨).

وهي: المحبة، والنصرة.

قوله: «وصية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ»، أي: العهد الذي عهد به إلىٰ الأمة.

قوله: «ويوم غدِير خمّ»: وهو غدير سمي باسم رجل، وهو بطريق المدينة، مر به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في عودته من حجة الوداع وخطب فيه، فذكر في خطبته ما أورده الشيخ: «**أُذَكِّرُكُم اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**»، أي: ما أمر الله في حق أهل بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من وجوب الاحترام والإكرام لهم، والترهيب من إضاعة ذلك.

وقوله: «وَقَالَ أَيْضًا لِلْعَبَّاسِ -عَمِّه- وَقَدِ اشْتكَىٰ إِلَيْهِ أَنَّ بَعْضَ...»؛ أي: قال رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لعمه أبي العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين شكا إليه جفوة قريش لبني هاشم وهو جد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فأقسم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه لا يتم إيمانهم ولا يكمل حتىٰ يحبونكم لله كما يحبون غيركم من المؤمنين؛ لأن من واجب كل مسلم محبة كل مؤمن، وتزيد محبة قرابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من أهل البيت كلهم، وفي الحديث أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**يَا أَيُّهَا النَّاس: مَن آذَىٰ عَمِّي فَقَدْ آذَانِي، فَإِنَّمَا عَمّ الرَّجُلِ صِنْو أَبِيهِ**» رواه الترمذي وقال: حسن صحيح[1].

ثم بين رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فضل بني هاشم وَقَالَ: «إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ» أي: اختارهم، والصفوة هم الخيار من «بَنِي إِسْمَاعِيل» بن إبراهيم الخليل عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وقوله: «وَاصْطَفَىٰ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيل كِنَانَة» وهي قبيلة أبو

(١) «ضعيف سنن الترمذي» (٣٧٥٨)

إبراهيم كنانة بن خزيمة، «وَاصْطَفَىٰ مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا»: وهم أولاد مضر بن كنانة، «وَاصْطَفَىٰ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ»: وهم بني هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وفي هذا بيان فضل العرب، وأن قريشًا أفضل العرب، وأن بني هاشم أفضل قريش، وأن الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أفضل بني هاشم، فهو أفضل الخلق نفسًا ونسبًا، وفيه فضل بني هاشم الذين هم قرابة الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

قوله: «وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ رَسُولِ اللهِ» أي: إن أهل السنة والجماعة يتولون جميع أزواج رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ الطاهرات، ويترضون عنهن ويعظمون قدرهن، ويعرفون فضلهن ويتبرؤون ممن آذاهن أو سبَّهن.

قوله: «أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ»: في التعظيم والاحترام وتحريم نكاحهن علىٰ التأبيد، قال تعالىٰ: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ ۗ﴾ [الأحزاب: ٦].

وقوله: «وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّهُنَّ أَزْوَاجُهُ فِي الآخِرَةِ» وذلك لما صح في الأحاديث الكثيرة منها:

وأول زوجاته خديجة بنت خويلد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، تزوجها بمكة وهو ابن خمس وعشرين سنة، وآمنت به ونصرته، فكانت أول من آمن به من النساء، ولم يتزوج عليها غيرها، وأولاده كلهم منها إلا إبراهيم من سريته مارية، وكان يذكرها بعد موتها عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ويرسل بالشيء من الهدايا إلىٰ صديقاتها، وكان كثير الثناء عليها حتىٰ كان يقول: «إِنَّهَا كَانَت، وَكَانَت، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ»(١)، والحديث في

---

(١) «صحيح البخاري» (٣٨١٨)، «صحيح مسلم» (٢٤٣٥).

الصحيحين من حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا، وهذا مما يدل علىٰ عظم منزلتها عند رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِوَسَلَّمَ، وخديجة خير نساء الأمة مع الاختلاف في فضلها علىٰ عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهُنَّ، وقد ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين.

قوله: «**وَالصِّدِّيقَة بِنْت الصِّدِّيق** رَضِيَٱللَّهُعَنهَا» يعني: عائشة بنت أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنهَا، لقبت بالصديقة لكمال تصديقها لرسول رَضِيَٱللَّهُعَنهَا، وصبرها علىٰ ما حصل لها من الأذىٰ في حادثة الإفك التي أنزل الله عَزَّوَجَلَّ في براءتها قرآنًا يتلىٰ، وقد لقَّب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِوَسَلَّمَ أبوها بالصديق، ولعائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا فضائل كثيرة:

**منها**: أنها أحبّ أزواج النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِوَسَلَّمَ إليه، وأنه لم يتزوج بكرًا غيرها، وأنه كان ينزل عليه الوحي في لحافها، وأن الله برأها مما رماها به أهل الإفك، وأنها أفْقه نسائه، وكان أكابر الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنهُمۡ إذا أشكل عليهم أمرًا استفتوها، وأن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِوَسَلَّمَ توفي في بيتها بين سحرها ونحرها ودفن في بيتها.

ومن **فضائلها** ما ذكره شيخ الإسلام في قوله: «قال فيه النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِوَسَلَّمَ: «**فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَىٰ النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَىٰ سَائِرِ الطَّعَامِ**»، والحديث في الصحيحين[(١)].

وخديجة وعائشة وجميع أزواج رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِوَسَلَّمَ في الجنّة معه رَضِيَٱللَّهُعَنهُنَّ.

---

(١) «صحيح البخاري» (٣٧٦٩)، «صحيح مسلم» (٢٤٣١).

## تبرؤ أهل السنة والجماعة من أقوال المبتدعة في حق الصحابة وأهل البيت

«وَيَتَبَرَّؤُونَ مِنْ طَرِيقَةِ الرَّوَافِضِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ وَيَسُبُّونَهُمْ، وَطَرِيقَةِ النَّوَاصِبِ الَّذِينَ يُؤْذُونَ أهلَ الْبَيْتِ بِقَوْلٍ أو عَمَلٍ.

وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ هَذِهِ الآثَارَ الْمَرْوِيَّةَ فِي مَسَاوِيهِمْ مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ، وَمِنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ، وَالصَّحِيحُ مِنْهُ هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ: إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ، وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ.

وَهُم مَعَ ذَلِكَ لا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ؛ بَلْ يَجُوزُ عليهمُ الذُّنُوبُ فِي الْجُمْلَةِ.

وَلَهُم مِنَ السَّوَابِقِ وَالْفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ إِنْ صَدَرَ، حَتَّىٰ أنهم يُغْفَرُ لَهُم مِنَ السَّيِّئَاتِ مَا لا يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ؛ لأن لَهُم مِنَ الْحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ.

وَقَدْ ثَبَتَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنهم خَيْرُ الْقُرُونِ، وَأَنَّ الْمُدَّ مِنْ أَحَدِهِمْ إِذَا تَصَدَّقَ بِهِ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا مِمَّن بَعْدَهُمْ.

ثُمَّ إِذَا كَانَ قَدْ صَدَرَ مِنْ أَحَدِهِمْ ذَنْبٌ؛ فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْهُ، أو أَتَىٰ بِحَسَنَاتٍ تَمْحُوهُ، أو غُفِرَ لَهُ؛ بِفَضْلِ سَابِقَتِهِ، أو بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الَّذِي هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ، أو ابْتُلِيَ بِبَلَاءٍ فِي الدُّنْيَا كُفِّرَ بِهِ عَنْهُ.

فإِذَا كَانَ هَذَا فِي الذُّنُوبِ الْمُحَقَّقَةِ؛ فَكَيْفَ الأُمُورُ الَّتِي كَانُوا فِيهَا مُجْتَهِدِينَ: إِنْ

أَصَابُوا؛ فَلَهُمْ أَجْرَانِ، وَإِنْ أَخْطئوا؛ فَلَهُمْ أَجْرٌ وَاحِدٌ، وَالْخَطأُ مغْفُورٌ.

ثُمَّ الْقَدْر الَّذِي يُنْكَرُ مِنْ فِعْلِ بَعْضِهِمْ قَلِيلٌ نَزْرٌ مَغْفُورٌ فِي جَنْبِ فَضَائِلِ الْقَوْمِ وَمَحَاسِنِهِمْ؛ مِنَ الإيمان بِاللهِ، وَرَسُولِهِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَالْهِجْرَةِ، وَالنُّصْرَةِ، وَالْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

وَمَن نَظَرَ فِي سِيرَةِ الْقَوْمِ بِعِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ، وَمَا مَنَّ اللهُ عليهم بِهِ مِنَ الْفَضَائِلِ؛ عَلِمَ يَقِينًا أنهم خِيْرُ الْخَلْقِ بَعْدَ الأنبِيَاءِ؛ لا كَانَ وَلا يَكُونُ مِثْلُهُمْ، وَأنهم الصَّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الأُمَّةِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ الأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَىٰ اللهِ».

قوله: «وَيَتَبَرَّءُونَ مِنْ طَرِيقَةِ الرَّوَافِضِ، الَّذِينَ يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ وَيَسُبُّونَهُمْ»: يعني أهل السنة والجماعة يتبرؤون من طريقة الروافض، وهم: طائفة غلو في علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وآل البيت، وهم من أضل أهل البدع، وأشدهم كرهًا للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وسموا روافض لأنهم رفضوا زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب حينما سألوه عن أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فأثنىٰ زيد عليهما، وقال: هما وزيرا جدّي.

فأهل السنة والجماعة وسط بين طريقة الروافض وبين طريقة النّواصب، وهم: الذين ينصبون العداوة لأهل البيت ويكفرونهم ويطعنون فيهم، أما أهل السنة والجماعة فكما ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله: «وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ...»، فأهل السنة والجماعة قوم عدل يكفون عن الخوض عما وقع بين الصحابة من اختلاف وتنازع، لما في الخوض في تلك المشاجرة من توليد الحزازات والحقد علىٰ قوم هم صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فهم خير القرون، وهم السابقون الأولون، فتجب محبتهم جميعًا، والترضي عنهم، والكف عما جرىٰ بينهم لأمر لعلّه لم يصح، وما صح منه يجب تأويله لأمور سائغة؛ ولأنه أمر قليل مغمور في

جانب فضائلهم الجمّة، بل يجب ذكر محاسنهم وفضائلهم، وترك التحامل عليهم، واعتقاد العذر لهم، وأنهم اجتهدوا في أمر سائغ لا يوجب الكفر ولا فساد العقيدة، بل ربما يثابون عليه، وقد ذكر شيخ الإسلام في مواضع أخرىٰ كما ذكر غيره: أن أكثر الصحابة اعتزل الفريقين، فينبغي أن يقال فيهم جميعًا: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾ [البقرة: ١٣٤]، ونقول أيضًا: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠].

- ثم قال شيخ الاسلام: «**مَعَ ذَلِكَ لَا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ، بَلْ يَجُوزُ عَلَيْهِمُ الذُّنُوب فِي الْـجُمْلَةِ**»، فأهل السنة والجماعة لا يعتقدون العصمة في الصحابة لحديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ**»(١)، ثم إن العصمة هي في جماعة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولذا لا يمكن أن يجتمعوا علىٰ شيء من كبائر الذنوب وصغائرها، فيستحلوها أو يفعلوها، وأما آحاد الصحابة قد يفعل الذنب من الكبائر وما دون ذلك، وهم بين من كُفِّر عنه ذنبه بحدٍّ أو مغمور في جمع حسناته، كغيرهم من البشر، لكن هم يمتازون عن غيرهم كما ذكر شيخ الإسلام: «**وَلَـهُمْ مِنَ السَّوَابِقِ وَالْـفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ مَا يَصْدُرُ عَنْهُمْ -إِنْ صَدَرَ- حَتَّىٰ إِنَّهُمْ يُغْفَرُ لهم مِنَ السَّيِّئَاتِ مَا لَا يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ؛ لأَنَّ لَهُمْ مِنَ الْـحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ.**

**وَقَدْ ثَبَتَ بِقَوْلِ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ إِنَّهُمْ خَيْرُ الْقُرُونِ، وَأَنَّ الْـمُدَّ مِنْ**

---

(١) حسن: أخرجه الإمام أحمد (١٩٨/ ٣) وغيره، انظر «المشكاة» (٢٣٤١).

**أَحَدِهِمْ إِذَا تَصدَّقَ بِهِ كَانَ أَفْضَلُ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا مِمَّنْ بَعْدَهُمْ**»، وهذا حق وشهادة عظيمة من أهل السنة والجماعة للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في أن لهم من السوابق والفضائل التي لهم ما قد يكون سببًا في التجاوز عنهم لما لهم من الحسنات العظيمة فيما ذكر وصح في الآثار عنهم، ومن ذلك ما ذكر في قصة حاطب بن أبي بلتعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين أرسل إلىٰ قريش يخبرهم عن مسير النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ إليهم، حتىٰ أَطْلَع الله نبيّه علىٰ ذلك، فلم يصل قريش ذلك الخبر، فاستأذن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في ضرب عنق حاطب، فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ عَلَىٰ أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُم فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُم**».

ومن ذلك أيضًا ما جاء في الصحيحين من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهَم، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهَم**»(١)، وفي الصحيحين أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِم وَلَا نَصِيفَهُ**»(٢).

• ثم قال شيخ الاسلام: «**ثُمَّ إِذَا كَانَ قَدْ صَدَرَ مِنْ أَحَدِهِمْ ذَنْبٌ فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْهُ، أَوْ أَتَىٰ بِحَسَنَاتٍ تَمْحُوهُ أَوْ غُفِرَ لَهُ بِفَضْلِ سَابِقَتِهِ، أَوْ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ الَّذِي هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ، أَوْ ابْتُلِيَ بِبَلَاءٍ فِي الدُّنْيَا كُفِّرَ بِهِ عَنْهُ**»: وفي هذه العبارات أدلة عظيمة لما قد ينال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من مكفرات الذنوب، ما لا يناله مَن بعدهم، ذكر منها هنا التوبة، فالصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هم أولىٰ بقول الله تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ [الفرقان: ٧٠]، وقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ [البقرة: ١٦٠]، وقوله: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [المائدة: ٧٤].

---

(١) «صحيح البخاري» (٢٦٥٢)، «صحيح مسلم» (٢٥٣٣).
(٢) «صحيح البخاري» (٣٦٧٣)، «صحيح مسلم» (٢٥٤٠).

وقول النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ**»[(١)]، وكذلك للصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ من الحسنات المكفرات الكثير، والله تعالىٰ يقول: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤]، والصحابة أيضًا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ قد يغفر لهم بأفعال سابقتهم في الإسلام، وفي الحديث القدسي عن أهل بدر أن الله عَزَّ وَجَلَّ قال: «**افْعَلُوا مَا شِئْتُم قَدْ غَفَرْتُ لَكُم**»، ثم إن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ جميعًا هم أحق بشفاعة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يوم القيامة، فهم أخص بدعائه وشفاعته.

وكذلك مما قد يتجاوز به عن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في قول شيخ الإسلام ما قد يبتلىٰ به أحدهم من ابتلاءات الدنيا فتكون مكفرة عن ذنوبه، وهكذا في قوله: «**فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الذُّنُوبِ الْمُحَقَّقَةِ...**» تسقط عقوبتها عن آحاد الأمة بأسباب عديدة، فكيف بصحابة رسول الله الكرام مما لا يمكن أن يلحقهم فيه من بعدهم، ثم إن هذا في المخطئ فكيف الحال في المجتهدين الذين إن أصابوا فلهم أجران وإن أخطأوا فلهم أجر واحد والخطأ مغفور، فالصحابة مأجورون علىٰ كلا الحالتين، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة وعمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِذَا اجْتَهَدَ الحَاكِمُ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ وَاحِدٌ**»[(٢)]، فلا ريب عند أهل السنة والجماعة أن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، كانوا جميعًا مجتهدين فيما حصل من شجار بينهم، فلذلك هم عدول، اختلفوا في مسائل اجتهادية كما يختلف المجتهدون غفر الله لهم ورَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ جميعًا.

• ثم قال شيخ الاسلام: «**ثُمَّ إِنَّ الْقَدْرَ الَّذِي يُنْكَرُ مِنْ فِعْلِ بَعْضِهِمْ...**»، أن القدر الذي يُنكر علىٰ الصحابة من فعل بعضهم قليل جدًّا، ولهذا قال: «**مَغْفُورٌ فِي**

---

(١) حسن: «صحيح ابن ماجه» (٣/ ٨٣٢).

(٢) «صحيح البخاري» (٧٣٥٢).

جَنْبِ فَضَائِلِ الْقَوْمِ وَمَحَاسِنِهِمْ»، فكل ما قد يقال من الذنوب والآثام صغرت أم كبرت فهي مغمورة مطمورة في جنب فضائل ذلك الجيل المبارك ومحاسنه من الإيمان بالله ورسوله، والجهاد في سبيل الله، والهجرة والنصرة، والعلم النافع والعمل الصالح.

وأما قوله: «وَمَنْ نَظَرَ فِي سِيرَةِ الْقَوْمِ بِعِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ...»، قد ثبتت خيريّتهم بما رواه الشيخان من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم، ثُمَّ الَّذِين يَلُونَهُم»[(١)]، فالصحابة خير من الحواريين أصحاب عيسىٰ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وخير من النقباء أصحاب موسىٰ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وخير من الذين آمنوا مع نوح وهود عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فلا أحد من أتباع الأنبياء أفضل من الصحابة، وذلك لقول الله تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]؛ ولأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ خير الخلق؛ فأصحابه خير الأصحاب بلا شك، ومن عقيدتهم كذلك ما ذكره شيخ الإسلام في قوله: «لَا كَانَ وَلَا يَكُونُ مِثْلَهُمْ، وَأَنَّهُمُ الصَّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ الْأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَىٰ الله»، لقول الله تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ومن حديث عبدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: «إنَّ اللهَ نظرَ في قُلوبِ العِبادِ، فوجدَ قلبَ مُحمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ خيرَ قلوبِ العِبادِ، فاصطَفاهُ لنَفسِهِ، فابتعثَهُ برِسالتِهِ، ثمَّ نَظرَ في قلوبِ العبادِ بعدَ قَلبِ محمَّدٍ، فوجدَ قلوبَ أصحابِهِ خيرَ قُلوبِ العبادِ، فجعلَهُم وزراءَ نبيِّهِ، يُقاتِلونَ علىٰ دينِهِ، فما رآه المسلِمونَ حَسنًا، فَهوَ عندَ اللهِ حسنٌ، وما رأوه سيِّئًا فَهوَ عندَ اللهِ سَيِّءٌ»[(٢)]، وأمة مُحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ هم أفضل

(١) «صحيح البخاري» (٢٦٥٢)، «صحيح مسلم» (٢٥٣٣).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٣٦٠٠) قال العلامة أحمد شاكر: إسناده صحيح وهو موقوف علىٰ ابن =

الأمم، الأمة الوسط والشهداء على الناس، وهم الصفوة من قرون هذه الأمة وأكرمها على الله جَلَّ وَعَلَا، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل: ٥٩]، قال طائفة من السلف: هم أصحاب محُمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، ولا ريب في أفضليتهم من هذه الأمة التي فيها: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر: ٣٢]، فأمة محُمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ هم الذين ورثوا الكتاب بعد الأُمتين قبلهم اليهود والنصارىٰ، وقد أخبر أنهم الذين اصطفىٰ، فأصحاب محُمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ هم المصطفين من المصطفين من عباد الله، فهم صفوة الصفوة -رضوان الله عليهم أجمعين-، قال تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[آل عمران:١١٠]، وروىٰ الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ عن حكيم بن معاوية عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: **«أَنْتُم تُتِمُّونَ سَبْعِينَ أُمَّةً، أَنْتُمْ خَيْرهَا وَأَكْرَمها عَلَىٰ اللهِ»**، وفي سنن ابن ماجه من حديث سليمان بن بريدة عن أبيه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: **«أَهْلُ الجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمائة صَفّ: ثَمَانُونَ مِنْهَا مِن هَذِهِ الأُمَّةِ، وَأَرْبَعُونَ مِنْ سَائِرِ الأُمَمِ»**(١)، وعند ابن ماجه أيضًا من حديث أبي النضر عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: **«نَحْنُ آخِرُ الأُمَمِ، وَأَوَّلُ مَنْ يُحَاسَبُ، يُقَالُ: أَيْنَ الأُمَّةُ الأُمِّيَّةُ وَنَبِيُّهَا؟ فَنَحْنُ الآخرُونَ الأَوَّلُونَ»**(٢).

---

=

مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٥/ ٢١١).

(١) صحيح: أخرجه ابن ماجه (٣٤٨١)، والترمذي (٢٥٤٦). انظر «المشكاة» (٥٦٤٤).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٤٨٢)، انظر: «الصحيحة» (٢٣٧٤).

## مذهب أهل السنة والجماعة
## في كرامات الأولياء

• ثم قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَمِنْ أُصولِ أهل السُّنَّةِ: وَمَا يُجْرِي اللهُ عَلَىٰ أَيْدِيهم مِنْ خَوارِقِ الْعَادَاتِ فِي أَنْوَاعِ الْعُلُومِ وَالْمُكَاشَفَاتِ وَأَنْوَاعِ الْقُدْرَةِ وَالتَّأْثِيرَاتِ، كالْمَأْثُورِ عَنْ سَالِفِ الأُمَمِ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ وَغَيْرِهَا، وَعَنْ صَدْرِ هَذِهِ الأُمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَسَائِرِ قُرُونِ الأُمَّةِ، وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِيهَا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

لا شك كما قرر شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن التصديق بكرامات الأولياء أصل عظيم من أصول أهل السنة والجماعة، وهذا أمر بالغ الأهمية ينبغي معرفة الحق فيه والحذر من تلبيسات الفرق الضالة، ولذلك كان لزامًا علينا أولًا أن نعرف من هو **الولي ومن هم الأولياء المعنىٰ بهم بالكلام هنا؟**

والجواب علىٰ هذا إجمالًا هو ما بينه الله في كتابه العزيز في تعريف الأولياء، قال تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٣]، ولذلك ذكر شيخ الإسلام: فكلُّ من كان مؤمنًا تقيًّا؛ كان لله وليًّا(١).

هذه هي الولاية الحقيقية، إيمانٌ بالله، واستقامة علىٰ دينه بالمفهوم الصحيح للتقوىٰ، وهي: طاعة الله فيما أمر علىٰ نور من الله وعلم وهدىٰ، واجتناب لكل ما نهىٰ الله عنه علىٰ نور من الله وخوف وخشية وطاعة لله، هذه هي الولاية الحقة: ﴿ٱلَّذِينَ

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٢/ ٢٢٤).

ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾[يونس:٦٣]، وقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ في وصيته للصحابي الجليل سفيان بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حين سأله فقال: «قُلْ لِي فِي الإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ أَحَدًا عَنْهُ بَعْدَكَ، **قَالَ: قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ ثُمَّ اسْتَقِم**»[(١)].

إذًا فقهنا هذا التعريف السّلفِي للولي، عرفنا خطأ وضلال كثير من الناس في تعريفهم للولي بأنه: من ظهرت عليه الخوارق والشطحات بالسحر والدجل والشعوذة! فهؤلاء أولياء الشيطان لا أولياء الرحمن، فلأولياء الله كرامات، **والكرامة** هي: أمر خارق للعادة يجريه الله تعالىٰ علىٰ يد ولي تأييدًا له أو إعانة أو تثبيتًا أو نصرًا للدّين، كما ذُكر عن الكرامة التي جرت **للعلاء بن الحضرمي** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في عبور ماء البحر والمشي بالخيل علىٰ سطح البحر في غزوة جهاد في سبيل الله، ومثلها جرت **لسعد بن أبي وقاص** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في عبور دجلة، فالله ينصر أولياءه بهذه الخوارق والكرامات، ومثل هذه الكرامات ما ثبت في كتاب الله لأوليائه من السابقين في الأمم، من ذلك قصة أصحاب الكهف الذين وحدوا الله وآمنوا به وخافوا بطش قومهم بهم وفرّوا بدينهم من قومهم المشركين، فدخلوا غارًا في جبل ومكثوا فيه في أمن وأمان ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعًا وهم نائمون، يقلبهم الله ذات اليمين وذات الشمال، ثم بعثهم الله وقد زال الشرك عن قريتهم، ومن هذه الكرامات أيضًا قصة الرجل الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه كرامة ليتبين بها قدرة الله تعالىٰ وليزداد إيمانه، وفي السنة ما أخبر به النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لما جرىٰ **لأسيد بن حضير** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في نزول الظلة عليه بالليل فيها مثل السرج، فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ عنها: «**تِلْكَ المَلَائِكَةُ نَزَلَتْ لِسَمَاعِ قِرَاءَتَكَ**»، فهذا هو معنىٰ ما ذكره شيخ الإسلام أنه من خوارق العادات؛

---

(١) «صحيح مسلم» (٣٨).

لأنها جاءت علىٰ خلاف ما أَلِف الناس.

فهذه الكرامات للأولياء الثابتة بالأسانيد الصحيحة التصديق بها من أصول أهل السنة والجماعة، وخالف وأنكر ذلك أهل البدع من الجهمية والمعتزلة، ونذكر هنا كلامًا آخر أيضًا لشيخ الإسلام ابن تيمية وهو قوله: إن من شرط هذه الخوارق والكرامات أن تكون علىٰ يد أهل الصلاح متبعي السنة، أما من ادعىٰ محبة الله وولاية الله ولم يتبع الهادي مُحمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فليس من أولياء الله بل هو من أعداء الله وأولياء الشيطان كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ادعىٰ قوم محبّة الله فامتحنَهم الله بهذه الآية».

وقد اتفق أئمة الدين علىٰ أن الرجل لو طار في الهواء أو مشىٰ علىٰ البحر لا تثبت له ولاية حتىٰ تثبت ولايته أولًا لله ثم لرسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأفضل الأولياء هم: الأنبياء والرسل عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، وأفضلهم أولو العزم، ثم من بعدهم ثم من أهل الإيمان والتقوىٰ، ولا يشترط في الولي أن يكون معصُومًا، إنما العِصمة للأنبياء والرسل، ومن ادعىٰ العصمة لمن دونهم فهو كذّاب، وليس للولي زي خاص ولا لباس خاص كما يدعي أهل الضلال، ومن ظهرت عليه الخوارق من أهل الضلال وممن هم مُعرضون عن الشرع، صادُّون عن الحق، متلبسون بالمعاصي فإنما هي خيالات الشياطين الذين يعملون كل حيلة لإضلال الناس وصدهم عن الحق، وقد يرىٰ الضال ترفعه الشياطين في الهواء ثم تعيده، ولا سيما حال الرقص واللعب التي يعتبرونها من حالات الذكر والدعاء والتجلي، وقد ذكر شيخ الإسلام في كتابه: «الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» علىٰ أن الشياطين قد تحمل وتنقل بعض عبادها إلىٰ بلاد بعيدة ثم ترجعه، وقد تنقله إلىٰ عرفات وقت الحج، وهذه من فتن

الشياطين العظيمة لأوليائهم.

أما المأثور عن الصحابة والتابعين ومن سار علىٰ دربهم من أولياء صالحين فهذا واقع وموجود إلىٰ قيام الساعة، وقد كثرت هذه الكرامات في زمن التابعين أكثر منها في زمن الصحابة؛ لأن الصحابة عندهم من المثبتات والتأييدات والنصر ما كانوا يستغنون به عن الكرامات، ولا سيما أنهم في معية الرسول عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وصحبته، أما التابعون فإنهم دون الصحابة، كما روي عن **الحسن البصري** أنه تغيب عن الحُجاج فدخلوا عليه ست مرات فدعا الله عَزَّوَجَلَّ فلم يروه، ودعا علىٰ بعض الخوارج كان يؤذيه فخر ميتًا، **وصلة ابن أشيم** مات فرسه وهو في الغزو، فقال: اللهمّ لا تجعل لمخلوق علي مِنّة، ودعا الله عَزَّوَجَلَّ فأحيا فرسه، فلما وصل إلىٰ بيته قال لابنه: خذ السّرج عن الفرس فإنه عارية، فأخذ سرجه فمات الفرس، وجاع مرة بالأحواز فدعا الله عَزَّوَجَلَّ واستطعمه فوقعت خلفه دوخلة رطب في ثوب حرير فأكل التمر فبقي الثوب عند زوجته زمانًا، وفي غزوة جاءه الأسد وهو يصلي في غيضة بالليل، فلما سلّم قال له: اطلب الرزق من غير هذا الموضع، فولىٰ الأسد وله زئير، ومن تلك الكرامات أن **سعيد بن المسيب** في أيام الحرة يسمع الأذان من قبر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ في أوقات الصلاة وكان المسجد قد خلا من المصلين، ولما مات **أويس القرني** وجدوا في ثيابه أكفانًا لم تكن معه قبل، ووجدوا له قبرًا محفورًا فيه لحد في صخرة فدفنوه فيه وكفنوه في تلك الأثواب، وكان **عمرو بن عقبة بن فرقد** يصلي يومًا في شدة حر فأظلته غمامة، وكان السبُع يحميه وهو يرعىٰ ركاب الصحابة؛ لأنه كان يشترط علىٰ أصحابه في الغزو أن يخدمهم، وكان **مطرف بن عبد الله بن الشخير** إذا دخل بيته سبحت معه آنيته، وكان مرة يسير هو وصاحب له في ظلمة فأضاء لهما طرف السرط، فكثرت الكرامات في زمنهم تأييدًا لهم وتثبيتًا ونصرًا للحق

الذي كانوا عليه، ثم إن الكرامات -كما ذكر شيخ الإسلام- أنها موجودة إلىٰ قيام الساعة، ومما أخبر به الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مما سيكون من تلك الكرامات في قصة الدجال حيث إنه يدعو رجلًا من الناس من الشباب، يأتي ويقول للدجال: **«كَذَبْتَ إِنَّمَا أَنْتَ المَسِيحُ الدَّجَّالُ الَّذِي أَخْبَرَنَا عَنْكَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، **فَيَأْتِي الدَّجَّالُ، فَيَقْتُلُهُ قِطْعَتَيْنِ، فَيَدْخلُ وَاحِدَة هُنَا وَوَاحِدَة هُنَاكَ رمْيَة الغَرَضِ، وَيَمْشِي بَيْنَهُمَا، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيَقُومُ يَتَهَلَّلُ، ثُمَّ يَدْعُوهُ لِيُقِرَّ لَهُ بِالعُبُودِيَّةِ، فَيَقُولُ الرَّجُلُ: مَا كُنْتُ فِيكَ أَشَدُّ بَصِيرَةً مِنِّي اليَوْمَ، فَيُرِيدُ الدَّجَّالُ أَنْ يَقْتُلُهُ؛ فَلَا يسلطُ عَلَيْهِ»**[١].

---

(١) «صحيح البخاري» (١٨٨٢).

## صفات أهل السنة والجماعة
## ولِمَ سُمُّوا بذلك؟

• ثم قال شيخ الإسلام: «فَصْلٌ: ثُمَّ مِنْ طَرِيقَةِ أهل السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: اتِّبَاعُ آثَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، بَاطِنًا وَظَاهِرًا، وَاتِّبَاعُ سَبِيلِ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَاتِّبَاعُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَيْثُ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ».

وَيَعْلَمُونَ أَنَّ أَصْدَقَ الْكَلامِ كَلامُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ وَيُؤْثِرُونَ كَلَامَ اللهِ عَلَىٰ غَيْرِهِ مِنْ كَلامِ أَصْنَافِ النَّاسِ، وَيُقَدِّمُونَ هَدْيَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَىٰ هَدْيِ كُلِّ أَحَدٍ.

وَلِهَذَا سُمُّوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَسُمُّوا أَهْلَ الْجَمَاعَةِ؛ لأَنَّ الْجَمَاعَةَ هِيَ الاجْتِمَاعُ، وَضِدُّهَا الْفُرْقَةُ، وَإِنْ كَانَ لَفْظُ الْجَمَاعَةِ قَدْ صَارَ اسْمًا لِنَفْسِ الْقَوْمِ الْمُجْتَمِعِينَ.

وَالإِجْمَاعُ هُوَ الأَصْلُ الثَّالِثُ الَّذِي يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي الْعِلْمِ وَالدينِ، وَهُمْ يَزِنُونَ بِهَذِهِ الأُصُولِ الثَّلاثَةِ جَمِيعَ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَعْمَالٍ بَاطِنَةٍ أَوْ ظَاهِرَةٍ مِمَّا لَهُ تَعَلُّقٌ بِالدِّينِ.

وَالإِجْمَاعُ الَّذِي يَنْضَبِطُ هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ؛ إِذْ بَعْدَهُمْ كَثُرَ الاخْتِلَافُ، وَانْتَشَرَ فِي الأُمَّةِ».

هذا فصل آخر يقرره شيخ الإسلام في هذه الرسالة المباركة، فيه منهج وسبيل أهل السنة والجماعة، وهو أصل الاتباع للمنهج الرباني المعصوم من الزلل الذي بلغه

رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من وحي الله إليه وسار عليه في حياته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ومن بعده الخلفاء الراشدين المهديين وخيار الصحابة من المهاجرين والأنصار -رضوان الله عليهم-، وهكذا من جاء بعدهم واقتفىٰ أثرهم من القرون المفضلة وسلف الأمة الصالح جيلًا بعد جيلٍ، ولا زال السائرون عليه من أهل السنة والجماعة يوطنون أنفسهم علىٰ سلوك هذا المنهج العظيم وهو اتباع آثار الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ظاهرًا وباطنًا علىٰ علم وبصيرة لا علىٰ تقليد، مع الإخلاص والمتابعة لآثار رسول الله والتي هي من وحي الله له مقتدين به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وبأصحابه الكرام من بعده من المهاجرين والأنصار الذين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قال تعالىٰ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، مستعينين بالله مسترشدين بسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وهاديهم في مسيرتهم لما صح في الأثر عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «عليكم» أي: الزموا سنتي وهي طريقته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وهديه من أقواله وأفعاله وصفاته، وما أقر عليه الأمة والمنقول إلينا بالأسانيد الصحيحة الثابتة المحفوظة في قلوب الرجال، المزبورة في كتب الأحاديث من المسانيد والمجامع الصحيحة من دواوين الإسلام، فكل من رام الهدىٰ والنجاة والثبات علىٰ الصراط المستقيم وبلوغ جنات النعيم برضوان رب العالمين سار علىٰ ما قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**عَلَيْكُم بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي**»(١)، والمقصود بسنة الخلفاء الراشدين أي: ما سنَّه واحد منهم وقبِله الصحابة في زمانه وساروا عليه، ومن ذلك ما استقر عليه في أمر

(١) «صحيح أبي داود» (٣/ ١١٨).

صلاة التراويح التي سنها الخليفة الراشد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأصلها قد ثبت من فعل رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وكذلك ما سنه الخليفة الراشد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أمر الأذان الأول يوم الجمعة، ومنها أيضًا جمع المصاحف علىٰ حرف واحد، وبهذا يتأكد اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده.

ثم الحذر والبعد عن محدثات الأمور كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**وَإِيَّاكُم** - أي: أُحذركم- **وَمُحدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»[(١)].

والمحدثات هنا المراد بها: البدع، أي: الابتداع في الدين، وليس المقصود ما يكون من أمر الدنيا، كما أحدث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في عهده الدواوين، وترتيب الأرزاق، وإنما المقصود البدع في أصل الدين والشريعة، والمقصود **بالبدعة اصطلاحًا**: ما كان مخترعًا في الدين خلاف الدليل الشرعي الذي يكون فيه تضاهيًا للطريقة الشرعية سواء كان ذلك في العقيدة أو العبادة، والبدعة إذا أُحدثت صارت ملتزَمة في الشرع وأضاعت السنن وأضلت الأمة، ولذلك وصفها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بالضلالة فقال: «وكل بدعة ضلالة»، وقد تكون البدعة في أربعة أشياء: في **العدد، والهيئة، والزمان، والمكان**، وقد أجمع أهل السنة والجماعة من عهد السلف علىٰ ضلالات البدع، وأنها اتهام لرسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: «من ابتدع بدعة فقد زعم أن الله عَزَّوَجَلَّ لم يكمل الدين، وأن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قد خان الرسالة، وقد كتم بعض الدين»، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، وقد ضل ضلالًا مبينًا من ادعىٰ أن هناك بدعة حسنة أو مستحبة وأخرىٰ مباحة، وبدعة محرمة وأخرىٰ مكروهة، والنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أفصح العرب يقول:

---

(١) «صحيح أبي داود» (٣/ ١١٨).

«كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَة».

● ثم قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن أهل السنة والجماعة «يَعْلَمُونَ أَنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامُ الله عَزَّوَجَلَّ»، قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ [النساء: ١٢٢]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ [النساء: ٨٧]، فما أخبر به الله تعالىٰ فهو صدق وحق كائن لا محالة، وهذا في كل كلام الله، وما أخبر به عَزَّوَجَلَّ في كتابه أو علىٰ لسان رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، سواء كان ذلك عن الله نفسه أو عن مخلوقاته.

وقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ»: هذا الكلام حق لا ريب فيه، نؤمن بأن كل ما أخبر به عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في العقيدة أو العبادات أو الأخلاق والمعاملات كل ذلك كامل تام علىٰ الهدىٰ، وأهدىٰ مما جاء في الشرائع من قبل، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «خَيْرُ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرُ الهَدْيِ هَدْيُ رَسُولِهِ مُحَمَّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ»، وبهذا اعتقد أهل السنة والجماعة وساروا عليه، فكلام الله عَزَّوَجَلَّ وكلام رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عندهم أولىٰ من كلام كل أحد من أصناف الناس، وهذا الذي تقرر عند أهل السنة والجماعة وقد اجتمعوا عليه وساروا عليه، ولذلك سموا أهل الجماعة؛ لأن الجماعة هي: الاجتماع والائتلاف، فلا يبدع أهل السنة بعضهم بعضًا ولا يُضلل بعضهم بعضًا خلافًا لأهل البدع والضلال فهم أهل الفرقة والاختلاف.

● ثم قال شيخ الإسلام: «وَالإِجمَاعُ هُوَ الأَصْلُ الثَّالِثُ الَّذِي يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ...»: هنا ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ أصلًا آخر من أصول أهل السنة يعتقدونه ويسيرون عليه في أعمالهم وأفعالهم الظاهرة والباطنة مما يتعلق بأمر الدين؛ لأن أمور الدين توقيفية لا اجتهاد فيها لأحد، فذكر هذا الأصل وهو الإجماع، وهو الأصل الثالث بعد الكتاب والسنة في إثبات الأحكام الشرعية، **والإجماع اصطلاحًا هو**: اتفاق علماء العصر من الأمة علىٰ أمر ديني، وهو حجة قاطعة يجب العمل بها عند الجمهور،

وأنكره بعض أهل البدع من المعتزلة والرافضة، والدليل علىٰ حجية الإجماع قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء: ١١٥]، أما الدليل من السنة ما رواه الترمذي من حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا بسند صحيح صححه الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِۦوَسَلَّمَ، قال: «**إِنَّ اللهَ لَا يَجْمَعُ أُمَّتِي -أو قال: أُمَّةَ مُحَمَّدٍ- عَلَىٰ ضَلَالَةٍ وَيَدُ اللهِ مَعَ الجَمَاعَةِ، وَمَنْ شَذَّ شَذَّ فِي النَّارِ**»(١)، وعن الحارث بن الحارث الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ مرفوعًا إلىٰ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِۦوَسَلَّمَ أنه قال: «**مَنْ كَرِهَ مِن أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**»(٢).

وعلىٰ هذا فإن الإجماع أصل من أصول أهل السنة بعد كتاب الله وسنة رسوله عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، ولم يزل أئمة الإسلام علىٰ تقديم الكتاب علىٰ السنة، والسنة علىٰ الإجماع، وجعل الإجماع في المرتبة الثالثة، قال الإمام الشافعي رَحِمَهُٱللَّهُ: «الحجة كتاب الله وسنة رسوله واتفاق الأئمة».

فأهل السنة والجماعة يُعرضون جميع الأقوال والاعتقادات علىٰ هذه الأصول الثلاثة، فعندهم أنها هي المعيار التي توزن به الأعمال، إذ لا حجة إلا في هذه الأصول، ثم بعد ذلك يأخذون بالقياس المنضبط علىٰ الأصول الصحيحة، كل هذا في أمور الشرع والدين، أما أمور الدنيا والمعاش فالأصل فيها الإباحة ما لم يعارضه الدليل الصحيح، ودليل ذلك ما روىٰ الإمام مسلم في صحيحه من حديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أن النبي عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ قال: «**أَنْتُم أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُم**»(٣).

---

(١) قال الألباني: صحيح دون «ومن شذ»، «صحيح الترمذي» (٢/ ٤٥٨).
(٢) «صحيح البخاري» (٧٠٥٣)، «صحيح مسلم» (١٨٤٩).
(٣) «صحيح مسلم» (٢٣٦٣).

## مُكملات العقيدة من مَكارم الأخلاق ومَحاسن الأعمال التي يتَحلَّى بها أهل السنة والجماعة

• ثم قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثُمَّ هُم مَعَ هذِهِ الأُصُولِ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَونَ عَنِ الْمُنْكَر عَلَىٰ مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ».

هنا شرع شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذكر فصل آخر قال فيه: «ثم هم» -أي: أهل السنة والجماعة- «مع هذه الأصول»: هذا عطف علىٰ ما سبق في الفصل السابق الذي ذكر فيه اتباعهم لآثار النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، واتباع الخلفاء الراشدين، وإيثارهم كلام الله وكلام رسوله علىٰ غيره واتباع إجماع المسلمين، مع جميع هذه الأصول، هم أيضًا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فتبين أن ما يتضمن هذا الفصل معطوفًا علىٰ ما ورد في الفصل قبله؛ لأن أصل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يتنافىٰ مع ما سبق تقريره، بل كل ذلك من دين الإسلام وأهل السنة مجمعون عليه عاملين بذلك، قال تعالىٰ: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

ولأهل السنة في هذا الأصل العظيم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شروط لا بد منها، نذكر منها إجمالًا ما يلي:

**الشرط الأول**: أن يكون الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر عالمًا بالحكم الشرعي الدال علىٰ أن ما يأمر به هو معروف شرعًا بدليله، وأن ما ينكره هو منكر شرعًا بدليله، لقول الله تعالىٰ لرسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا

تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [النحل: ١١٦]، فلا تأمر بمعروف إلا بما ثبت شرعًا أنه معروف، ولا تنكر إلا بما ثبت شرعًا أنه منكر، وإلا فلا؛ لأن الأمر دين.

**الشرط الثاني:** العلم يقينًا بحال من تأمر أو تنهىٰ أنه ممن يستدعي حاله أن يؤمر بالمعروف أو يُنهىٰ عن المنكر.

**الشرط الثالث:** أن يحصل عند الآمر والناهي اليقين بمخالفته وأن يستدعي أمره أو نهيه، وألا يأخذ الناس بالظنون، والدليل فعل الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مع سليك الغطفاني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ففي الصحيحين عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ النَّبِيَّ كَانَ يَخْطُبُ الْجُمُعَةَ، فَدَخَلَ رَجُلٌ فَجَلَسَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: **أَصَلَّيْتَ؟** قَالَ: لَا، قَالَ لَهُ: **قُمْ فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ وَتَجَوَّزْ فِيهِمَا**»(١).

**الشرط الرابع:** أن يكون الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر قادرًا علىٰ القيام بهذا الأمر الشرعي دون أن يلحقه ضرر، فإن خاف الضرر فلا يلزمه ذلك، بل عليه الصبر ورفع الأمر إلىٰ من له القدرة مع امتناع الضرر كولي الأمر، والدليل علىٰ هذا الشرط قول الله تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقوله أيضًا: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [آل عمران: ١٢٣].

**الشرط الخامس:** ألا يترتب علىٰ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مفسدة أعظم من السكوت، فهنا يلزم النظر والقياس بين الواجب والمكروه والجائز والمكروه وتقديم الأولىٰ، ويستدل علىٰ هذا من القرآن بقول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَسُبُّوا

---

(١) «صحيح البخاري» (٩٣٠)، «صحيح مسلم» (٨٧٥).

ﭐلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، ومن السنة حديث الأعرابي الذي بال في مسجد رسول الله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وزجره الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ، فقال لهم رسول الله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**دَعُوهُ لَا تُزْرِمُوهُ**»[(١)] ثم أمر بدلو من ماء فشنه عليه.

**الشرط السادس:** وهو شرط مختلف فيه بين أهل العلم، وهو: أن يكون الآمر بالمعروف قائمًا بما يأمر به منتهيًا عما ينهىٰ عنه، لقول الله تعالىٰ: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٤٤﴾ [البقرة: ٤٤]، وقول الشاعر العربي:

لا تنهَ عن خلقٍ وتأتي مثلَه ... عارٌ عليكَ إذا فعلتَ عظيمُ

والجمهور علىٰ خلاف هذا الشرط، وهو ما رجحه شيخنا العلامة العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث قالوا: بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإن كان يأتيه، وعلّلوا ذلك بقولهم: إن توبيخ الله تعالىٰ لبني إسرائيل لا علىٰ أمرهم بالبر، ولكن علىٰ جمعهم بين الأمر بالبر ونسيان النفس.

- ثم قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وَيَرَوْنَ إِقَامَةَ الْحَجِّ وَالْجِهَادِ وَالْجُمَعِ وَالأَعْيَادِ مَعَ الأُمَرَاءِ أَبْرَارًا كَانُوا أَوْ فُجَّارًا**».

وهذا أصل عظيم من أصول أهل السنة والجماعة أنه لا اجتماع لأمة الإسلام إلا بإمام وسمع وطاعة، وإن كان عبدًا حبشيًّا، وإن كان بَرًّا أو فاجرًا، ولو كان من أفسق الناس، وخالف في هذا الأصل أهل الضلال والبدع كالرافضة الذين يقولون لا إمامة إلا لمعصوم، فأهل السنة والجماعة أهل دليل واتباع، والأدلة متواترة في أهمية

---

(١) «صحيح مسلم» (٢٨٥).

وضرورة تنصيب الإمام، والأولىٰ أن يكون من قريش، فإن تعذر فمسلم يُنصب بأهل الحل والعقد أو يستأثر بالأمر بالقوة فلا يُنازع ولا يُفتح باب للفتنة؛ لأن المخالفات في أمور إمامة الأمة وإقامة الجهاد في سبيل الله وإقامة الجُمع والجماعات، وإقامة فريضة الحج، كل هذه المخالفات يرونها معصية لله تعالىٰ ولرسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأنها تفتح باب شر وفتنة واقتتال بين المسلمين، وتعطيل للجهاد وشريعة الحج وكثير من العبادات، وأهل السنة والجماعة مع هذا يرون أن فعل الأمراء المنكر أنه منكر، وأنّ الإنكار عليه أشد من الإنكار علىٰ فرد من عامة الناس؛ لأن فعله يضعف مكانته في الأمر ويجرئ الناس علىٰ الفتن بالاقتداء به، يُضعف شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم هم مع كل هذا يوجبون علىٰ الرعية جميعًا السمع والطاعة بالمعروف، ولزوم إقامة شعيرة الجهاد في سبيل الله تحت راية الأمير، وكذلك الحج والجُمع والجماعات والأعياد، كما يرون صحة الصلاة خلف الأمير الفاسق والمبتدع ما لم تصل بدعته أو فسوقه إلىٰ الكفر؛ لأنهم يرون أن الاختلاف علىٰ الأمير في مثل هذه الأمور شر عظيم يجب تَوقِّيه مع النصح للأمير والاجتهاد في إزالة ما لديه من المنكر أو تخفيفه.

إذا عرفت هذا أيها المسلم، تبين لك أن الدين الإسلامي وسط بين الغلاة والجفاة، والأدلة علىٰ ما تقرر: قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩]، وقول رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِۦوَسَلَّمَ في الصحيحين من حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: «**إِنَّكُم سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثرةً وَأُمُورًا تُنْكِرُونَهَا**، قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: **أَدّوا إِلَيْهِم حَقَّهُم، وَسَلُوا اللهَ حَقَّكُم**»[(١)]، وحقهم: طاعتهم في

(١) «صحيح البخاري» (٣٦٠٣)، «صحيح مسلم» (١٨٤٣).

غير معصية لقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الخَالِقِ**»، وفي الصحيحين من حديث عُبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «بَايَعنا رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ السَّمْعِ والطَّاعَةِ فِي العُسْرِ وَاليُسْرِ وَالمنشطِ وَالمكرهِ، وَأَلَّا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، قَالَ: **إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُم فِيهِ مِنَ اللهِ بُرْهَان**»[١]، قال أهل العلم: حتىٰ في الكفر البواح لا يجوز الخروج عليهم إذا أدّىٰ لحصول إراقة الدماء في الأمة، والاقتتال الذي تُستَباح فيه الأعراض والأموال ويفسد الزرع والضرع، ومع ذلك فأهل السنة يرون مناصحتهم قدر المستطاع فيما خالفوا فيه؛ مما لا يسوغ فيه الاجتهاد؛ وأما ما يسوغ فيه الاجتهاد؛ فيبحث فيه معهم مع الأدب والاحترام لبيان الحق، لا علىٰ سبيل الانتقاد والانتصار للنفس، وأما منابذتهم والمظاهرات والكلام من علىٰ المنابر وتحريض الدهماء، كل هذا لا يجوز وليس من طريقة أهل السنة والجماعة، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في موضع آخر من كتبه: «ولعله لا يكاد يعرف طائفة خرجت علىٰ ذي سلطان إلا وكان في خروجها من الفساد أكثر من الذي في إزالته»[٢].

وقال في موضع آخر: «نهىٰ رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عن قتال أئمة الجور، وأمر بالصبر علىٰ جورهم، ونهىٰ عن القتال في الفتنة»، فأهل البدع من الخوارج والشيعة والمعتزلة وغيرهم، يرون قتالهم والخروج عليهم إذا فعلوا ما هو ظلم أو ظنوه ظلمًا، ويرون ذلك من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقال الحافظ النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما الخروج عليهم وقتالهم، فحرام بإجماع المسلمين، وإن كانوا فسقة أو ظالمين، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنىٰ ما ذكرته، وأجمع أهل السنة علىٰ أنه لا ينعزل السلطان بالفسق... وقال العلماء: وسبب عدم انعزاله وتحريم الخروج

(١) «صحيح البخاري» (٧٠٥٥).
(٢) «منهاج السنة» (٣/ ٣٩١).

عليه، ما يترتب علىٰ ذلك من الفتنة وإراقة الدماء وإفساد ذات البين، فتكون المفسدة في عزله أكثر منها في بقائه» اهـ[(١)].

أما قول شيخ الإسلام في هذا الفصل: «**وَيُحَافِظُونَ عَلَىٰ الجُمَعِ وَالْـجَمَاعَاتِ**»:

فلأنها من آكد العبادات ومن أجل الطاعات ومن أعظم شعائر الإسلام الظاهرة، وقد تكاثرت الأدلة علىٰ الحث علىٰ حضور الجُمع والجماعات والترغيب في ذلك، وتحريم التخلف عنهما إلا لعذر شرعي، هذا ما عليه أهل السنة والجماعة خلافًا للمبتدعة من الرافضة وغيرهم الذين لا يرون الجهاد ولا حضور الجماعة إلا مع المعصوم، قال شيخ الإسلام في موضع آخر: «من ظن أن صلاته وحده أفضل من أجل خلوته أو غير ذلك، فهو مخطئ ضال، وأضل منه من لم يرَ الجماعة إلا خلف معصوم، فعطل المساجد وعمر المشاهد»[(٢)].

- قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وَيَدِينُونَ بِالنَّصِيحَةِ لِلأُمَّةِ**».

معنىٰ قوله هذا أن أهل السنة يتعبدون بالنصيحة لجميع الأمة؛ لأن هذه القاعدة عليها مدار الدين كما في صحيح مسلم من حديث أبي تميم الداري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**الدِّينُ النَّصِيحَة، الدِّينُ النَّصِيحَة، الدِّينُ النَّصِيحَة، قُلْنَا: لِمَن يَا رَسُول اللهِ؟ قَالَ: للهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِم**»[(٣)]، وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**حَقُّ المُؤْمِنِ عَلَىٰ المُؤْمِن سِتٌّ**» فذكر منها: «**إِذَا اسَتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ**»[(٤)].

---

(١) «شرح مسلم» (١٢/ ١٩٩).

(٢) «مختصر الفتاوىٰ المصرية» (ص: ٦٠).

(٣) «صحيح مسلم» (٥٥).

(٤) «صحيح مسلم» (١٢٦٢).

وأما قول شيخ الإسلام: «ويعتقدون» -أي: أهل السنة والجماعة- قول النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ: معناه أن المؤمن الكامل الإيمان يكون لأخيه هكذا كما قال، وفي هذا حثٌّ علىٰ التناصر والتناصح والتعاون، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «وَاللهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»(١)، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ؛ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّىٰ وَالسَّهَرِ»(٢)، وفي رواية لمسلم: «الْمُسْلِمُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ إِذَا اشْتَكَىٰ عَيْنُهُ اشْتَكَىٰ كُلُّهُ، وَإِذَا اشْتَكَىٰ رَأْسُهُ اشْتَكَىٰ كُلُّهُ»(٣) أي: في تحاببهم وتراحمهم وتلاطفهم وتعاطف بعضهم علىٰ بعض، وعنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ، وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ، يَكُفُّ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ، وَيحوطُهُ مِن وَرَائِهِ»(٤)، وفي هذا الحديث دلالة علىٰ أن المؤمن يسره ما يسر أخاه المؤمن، وأنه يحب لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه من الخير، وفي هذا دليل علىٰ سلامة القلب من الغش والحقد والحسد وأن المؤمنين متكافلين متعاضدين مجتمعين يساند بعضهم بعضًا في غير إثم ولا مكروه.

• ثم قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَيَأْمُرُونَ بِالصَّبْرِ عِنْدَ الْبَلاءِ، وَالشُّكْرِ عِنْدَ الرَّخَاءِ وَالرِّضَا بِمُرِّ الْقَضَاءِ».

هذه الأمور الثلاثة العظيمة من صفات المؤمنين، وهي عنوان السعادة وعلامة الفلاح، وفيها حث علىٰ الصبر ومعناه: حبس النفس عن الجزع، وحبس اللسان عن

(١) «صحيح مسلم» (٢٦٩٩).
(٢) «صحيح البخاري» (٦٠١١)، «صحيح مسلم» (٢٥٨٦).
(٣) «صحيح البخاري» (٦٠١١)، «صحيح مسلم» (٢٥٨٦).
(٤) حسن: أخرجه أبوداود (٤٩١٨) انظر «صحيح الأدب المفرد» (٣٧٩٨)، «الصحيحة» (٩٢٧).

التشكي والتسخط، وحبس الجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب، والأدلة علىٰ ذلك كثيرة قال تعالىٰ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥﴾ [البقرة: ١٥٥]، وقال أيضًا: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ١٠﴾ [الزمر: ١٠]، وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**الصَّبْرُ ضِيَاءٌ**»[(١)]، أما الرضا فهو من أجلّ الطاعات، وأشرف منازل السائرين إلىٰ الله وهو مستحب بالإجماع، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**مَنِ الْتَمَسَ رِضَا اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ، كَفَاهُ اللهُ مَؤُونَةَ النَّاسِ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ، وَكَلَهُ اللهُ إِلَىٰ النَّاسِ**»[(٢)]، وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا**»[(٣)].

• ثم قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وَيَدْعُونَ إِلَىٰ مَكَارِمِ الأَخْلَاقِ، وَمَحَاسِنِ الأَعْمَالِ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَىٰ قَوْلِه** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**». **وَيَنْدُبُونَ إِلَىٰ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ**».

هذه من صفات أهل السنة والجماعة العظيمة أنهم يحثون ويرغبون في مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال: كالكرم، والجود، والشجاعة، والصدق، والأمانة، لما جاء في الحث والترغيب فيها في نصوص الشرع وأنها من صفات المؤمنين، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ٤﴾ [القلم: ٤]، وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ**»[(٤)]، وفي رواية: «**صَالِحَ الأَخْلَاقِ**»[(٥)]، وحسن الخلق كما قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو بذل المعروف وكف الأذىٰ وطلاقة الوجه»[(٦)]، وعن

---

(١) «صحيح مسلم» (٢٢٣).

(٢) «صحيح الترمذي» (٢/ ٥٧٠).

(٣) «صحيح مسلم» (٣٤).

(٤) «الأدب المفرد» (٢٧٣)، «الصحيحة» (٤٥).

(٥) «الأدب المفرد» (٢٧٣)، «الصحيحة» (٤٥).

(٦) «الآداب الشرعية» لابن مفلح (٣٠٧). وجاء عن ابن المبارك كما في «صحيح الترمذي» (٢/ ٣٧٩).

أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعًا: «**خِصْلَتَانِ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي مُنَافِقٍ: حسْنُ الخُلُقِ، وَفِقْه الدِّين**»[(١)]، قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ: «وقد جمع الله مكارم الأخلاق في قوله تعالىٰ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩﴾ [الأعراف: ١٩٩]».

وأما قول شيخ الإسلام رَحِمَهُٱللَّهُ: «**ويعتقدون معنىٰ قوله** عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: «**أَكْمَلُ الْـمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**»: وتكملته: «**وَخِيَارُكُم خِيَارُهُم لِنِسَائِهِم**» هذا نص حديث رسول الله عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ رواه الترمذي[(٢)] من حديث أم المؤمنين عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، يبين فيه عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ أن أكثرهم اتصافًا بصفات الإيمان، وأكثرهم تزودًا من الطاعات أحسنهم أخلاقًا، أي: امتثالًا بالخلق الحسن بين الجميع، فيحسّن خلقه مع الله عَزَّوَجَلَّ بالرضا بقضائه وقدره، والصبر والحمد علىٰ البلاء، والشكر عند النعمة والسّراء، كما يكون حسن الخلق مع الناس بكف الأذىٰ عنهم، وطلاقة الوجه، والإحسان إليهم، وبذل العطاء لهم، مع الصبر علىٰ أذاهم، فكمال الإيمان يوجب حسن الخلق، والإحسان إلىٰ الناس كافة.

«وخياركم» أي: أفضلكم وأحسنكم، «وخيارهم لنسائهم» أي: في حسن خلقه معهن في المعاملة والمعاشرة، والمراد بالنساء: أهله من النساء كزوجته وبناته وقريباته؛ لأنهن محل الرحمة لضعفهن.

• ثم قال شيخ الإسلام رَحِمَهُٱللَّهُ: «**وَيَنْدُبُونَ إِلَىٰ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ**».

عملًا بقوله عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ كما في البخاري من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «**لَيْسَ الوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكن الوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَت رَحِمُهُ**

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٢٨٩).

(٢) حسن صحيح: أخرجه الترمذي (١١٦٢)، انظر «الصحيحة» (٢٨٤).

وَصَلَهَا»[(١)]، في **الحديث** بيان أن الواصل ليس بالمكافئ، أي: ليس الإنسان بالكامل في صلة الرحم والإحسان إلىٰ الأقارب، هو الشخص الذي يقابل الإحسان بالإحسان، ولكن الإنسان الواصل الكامل في صلة الرحم هو الذي إذا قطعت رحمه وصلها، أي: إذا أساء إليه أقاربه أحسن إليهم ووصلهم.

**وفي الحديثِ**: أنَّ الصِّلةَ إذا كانتْ نظيرَ مكافأةٍ مِن الطَّرَف الآخَر لا تكونُ صِلةً كاملةً؛ لأنها مِن باب تبادُلِ المنافع، وهذا ممَّا يستوي فيه الأقاربُ والأباعدُ.

**وفيه**: عدمُ المعاملةِ بالمِثلِ، بل بالإحسانِ إلىٰ المسيءِ والمُقصِّر، بل وينبغي أن تعطي من منعك ولا تبادله بالمثل، إنما تمده بالجميل والإحسان، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، وكذلك أن تعفو عمن ظلمك، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ٣٧﴾ [الشورىٰ: ٣٧]، وفي صحيح مسلم قال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ**»[(٢)]، ففيه الحث علىٰ صلة جميع أهل الإيمان وخاصة الأقارب والأرحام، وإن عاملوك بالقطيعة فلا تقطعهم، فإن القطيعة من كبائر الذنوب، والعفو عند المقدرة من أشرف أخلاق المؤمن.

● قال شيخ الإسلام: «**وَيَأْمُرُونَ بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ**»: وبر الوالدين: طاعتهما والإحسان إليهما، وخفض الجناح لهما والشفقة عليهما مع التلطف بهما وذلك لعظم حقهما، قال تعالىٰ: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء: ٣٦]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗاۖ﴾ [الأحقاف: ١٥]، وقال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مبينًا أن بر الوالدين من أسباب دخول الجنة، قال

---

(١) «صحيح البخاري» (٥٩٩١).

(٢) «صحيح مسلم» (٢٥٨٨).

عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**رَغِمَ أَنْف ثُمَّ رَغِمَ أَنْف ثُمَّ رَغِمَ أَنْف رَجُل أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا فَلَمْ يُدْخِلَاهُ الجَنَّةَ**»(١)، وحذر الله من عقوق الوالدين فقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كما في الصحيحين من حديث أبي بكرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**أَلَا أُخْبِرُكُم بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ**؟ قَالُوا: بلَىٰ يَا رسُولَ اللهِ، قَالَ: **الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ**، وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَس فَقَال: **أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ**. فَمَا زَالَ يُكَرِّرُها حَتَّىٰ قُلْنا: لَيْتَهُ سَكَتَ»(٢).

● ثم قال: «**وَيَأْمُرُونَ بِصِلَةِ الأَرْحَامِ**»؛ أي: الإحسان للأقارب من ذوي النسب والأصهار، ومن ذلك العطف عليهم ورعاية حقوقهم والرفق بهم وعدم قطيعتهم، فإنها من المحرمات وصلتهم واجبة، والأدلة علىٰ ذلك قول الله تعالىٰ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد: ٢٢ - ٢٣]، وفي الصحيحين من حديث جبير بن مُطعم قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ**»(٣)، والقطيعة: الهجر وعدم الصلة، ورغب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في صلة الأرحام، ففي الصحيحين من حديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**»(٤).

● ثم قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**حُسْنِ الجِوَارِ**».

**والجيران**: هم الأقارب في المنازل والديار، فأولاهم أدناهم ثم أدناهم، والإحسان إليهم بالسلام والإهداء وطلاقة الوجه عند اللقاء ومعاونتهم عند الحاجة، وكف أسباب

(١) «صحيح مسلم» (٢٥٥١).
(٢) «صحيح البخاري» (٥٩٧٦).
(٣) «صحيح مسلم» (٢٥٥٦).
(٤) «صحيح البخاري» (٢٠٦٧)، «صحيح مسلم» (٢٥٥٧).

الأذىٰ عنهم بكل أنواعه، وكل هذا من الإيمان، ومن الأدلة وهي كثيرة قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ [النساء: ٣٦] فهذه في وصية الله تعالىٰ لأهل الإيمان في آية النساء، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ**»(١)، ولهما من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّىٰ ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ**»(٢)، وحذر عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من أذية الجار وشدد، ففي صحيح البخاري من حديث أبي شريح رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللهُ لَا يُؤْمِنُ، قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ**»(٣).

• ثم قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وَالإِحْسَانِ إِلَىٰ الْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالرِّفْقِ بِالْمَمْلُوكِ**».

**اليتيم** هو: من مات أبوه قبل بلوغه، والإحسان إليهم يكون برعايتهم والتلطف بهم وإكرامهم والشفقة عليهم، ففي الصحيحين من حديث سهل بن سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ**»(٤)، وأشار بأصبعيه السبابة والوسطىٰ، وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**إِنْ أَرَدْتَ أَنْ يَلِينَ قَلْبُكَ، فَأَطْعِمِ الْمِسْكِينَ، وَامْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ**»(٥).

قوله: «والمساكين»: **والمسكين** هو: الفقير، وإن كان الفقير دون المسكين في

---

(١) «صحيح البخاري» (٦٤٧٥)، «صحيح مسلم» (٤٧).

(٢) «صحيح البخاري» (٦٠١٤)، «صحيح مسلم» (٢٦٢٤).

(٣) «صحيح البخاري» (٦٠١٦).

(٤) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٧٩٨) واللفظ له، وأخرجه مسلم (٢٩٨٣).

(٥) حسن: «صحيح الجامع» (١٤١٠)، «الصحيحة» (٨٥٤).

الحاجة عند التفصيل، والإحسان إليهم ثابت في نصوص الشرع، قال تعالىٰ: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا﴾ [النساء: ٣٦] وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**السَّاعِي عَلَىٰ الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ كَالمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ**»، وأحسبه قال -شكّ من الراوي-: «**كَالقَائِمِ لَا يَفْتُرُ وَكَالصَّائِمِ لَا يُفْطِرُ**»[(١)]، والإحسان إليهم بحسب الحال، إما بالإطعام أو الكسوة مع حسن المعاشرة وإظهار التقدير والمسرة لهم.

قوله: «وابن السبيل»: هو المسافر الذي انقطع به السفر أو لم ينقطع يحسن إليه لأنه في غربة ومستوحش فيكرم بالضيافة والأنس، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ**»[(٢)].

قوله: «والرفق بالمملوك»: وهذا يشمل الآدمي والبهائم، ويكون الإحسان بلين القول والرفق وبالإطعام والكسوة، ولا نكلفه ما لا يطيق، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾ [النساء: ٣٦]، وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهو يوصي عند موته: «**الصَّلَاةُ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم**»[(٣)].

• قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْفَخْرِ وَالْخُيَلَاءِ وَالْبَغْيِ وَالاسْتِطَالَةِ عَلَىٰ الْخَلْقِ -بِحَقٍّ أَوْ بِغَيْرِ حَقٍّ**».

كل هذه الخصال مذمومة بنصوص الشرع، فأهل السنة يتوقونها في أقوالهم وأفعالهم؛ لأن الفخر يكون تارة بالقول وأخرىٰ بالفعل وكل هذا مذموم، قال تعالىٰ:

---

(١) «صحيح البخاري» (٥٣٥٣)، «صحيح مسلم» (٢٩٨٢).
(٢) «صحيح البخاري» (٦٤٧٥)، «صحيح مسلم» (٤٧).
(٣) «صحيح البخاري» (٣٧٩٨).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٍ فَخُورٍ ۝١٨﴾ [لقمان: ١٨]، وقال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ «**إِنَّ اللهَ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّىٰ لا يَبْغِي أَحَدٌ وَلا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ**»(١)، وقال الله عَزَّوَجَلَّ في ذم الخُيلاء: ﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٍ فَخُورٍ ۝١٨﴾ [لقمان: ١٨]، وقال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ، لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ**»(٢)، متفق عليه من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا.

كذلك هم ينهون عن **البغي وهو**: العدوان علىٰ الآخرين، وهو محرم لأنه تجاوز في الحد المشروع، وإثم البغي قد يعجل وقد يؤجل فهو واقع لا محالة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ﴾ [الشورىٰ: ٤٢]، وقال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَوْ أَحَقُّ مِنْ أَنْ يُعَجِّلَ اللهُ لِصَاحِبِهِ العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ اللهُ لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنَ البَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ**»(٣)، رواه الترمذي من حديث أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وكذلك هم ينهون عن الاستطالة علىٰ الخلق وهي: الاستعلاء والترفع علىٰ الناس بحق وبغير حق؛ لأنه خلاف ما ينبغي علىٰ المؤمن من التواضع، فإذا منّ الله عليك بمال أو جاه أو سيادة أو علم أو غير ذلك فيجب عليك أن تتواضع.

• ثم قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**فَإِنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ يَأْمُرُونَ بِمَعَالِي الأَخْلَاقِ**».

كالصدق، والعفاف، والسخاء، والشجاعة، والحلم، وأداء الأمانة، قال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُم أَخْلَاقًا**»، وينهون عن سفاسفها، أي: الرديء منها: كالكذب، والخيانة، والفواحش، والبخل، والجبن، والغيبة،

---

(١) «صحيح مسلم» (٢٨٦٥).

(٢) «صحيح البخاري» (٣٦٦٥).

(٣) صحيح: أخرجه أبوداود (٤٩٠٢)، والترمذي (٢٥١١). انظر «صحيح الأدب المفرد» (٤٨).

والنميمة ونحو ذلك، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ جَوَادٌ يُحِبُّ الجُودَ، وَيُحِبُّ مَعَالِي الأَخْلَاقِ، وَيَكْرَهُ سَفسَافَهَا**»(١).

• ثم قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أهل السنة والجماعة:

**«وَكُلُّ مَا يَقُولُونَهُ وَيَفْعَلُونَهُ مِنْ هَذَا وَغَيْرِهِ؛ فَإِنَّمَا هُمْ فِيهِ مُتَّبِعُونَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَطَرِيقَتُهُمْ هِيَ دِينُ الإسلام الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ مُحَمَّدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ».**

وفي هذا بيان عن حال أهل السنة والجماعة في كل ما يقررونه من الأفعال والأقوال مما تقدم ذكره في هذه الرسالة المباركة وغيرها، إنما هم متبعون للكتاب والسنة لا مبتدعون، فأقوالهم وأفعالهم واعتقاداتهم جميعها مُقيدة بالوحيين، ولذا سموا أهل الكتاب والسنة للمتابعة والتحكيم في كل هذه الأمور للكتاب والسنة جملةً وتفصيلًا؛ لأن السعادة في الدنيا والآخرة لا ينالها إلا من حكّم الكتاب والسنة وسار علىٰ هدي رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وأصحابه، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وقال أيضًا: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، وقد حذر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ من الاختلاف والتنازع، وأن هذا مفرق للأمة، وسلامة هذه الأمة في الاجتماع والحذر من الاختلاف.

• ثم قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«لَكِنْ لَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ أَنَّ أُمَّتُهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَىٰ ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً؛ كُلُّهَا فِي النَّارِ؛ إِلا وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ».**

المقصد هنا: أمة الإجابة الذين آمنوا بالله ورسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهم المسلمون، فخرج من كفر من الأمم الأخرىٰ وقد افترقوا أيضًا، فاليهود افترقوا إلىٰ

---

(١) حديث حسن: انظر «جلباب المرأة المسلمة» (١٩٧).

إحدىٰ وسبعين فرقة، والنصارىٰ علىٰ اثنتين وسبعين فرقة، وهذه الأمة علىٰ ثلاثٍ وسبعين فرقة، كلها تنتسب إلىٰ الإسلام واتباع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

قول شيخ الإسلام: «**كُلَّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً**»: معنىٰ كونها في النار لا يلزم أن يكون بمعنىٰ الخلود في النار، وإنما يقصد أن أعمالهم مما يستحقون بها دخول النار، ذلك أنهم يُنسبون إلىٰ أهل البدع والضلالات؛ لأنهم خرجوا عن الصراط المستقيم فبلغ انقسامهم إلىٰ اثنتين وسبعين فرقة، وقد أخبر الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بذلك فقال: «**افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ إِحْدَىٰ وَسَبْعِينَ فِرْقَة، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَة، وَسَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَة، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةٌ. قُلْنَا: مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: مَنْ كَانَ عَلَىٰ مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**»، وفي رواية قال: «**هِيَ الجَمَاعَةُ**»، ثم صار بعد هذا الافتراق نجاة فرقة واحدة من النار ابتداءً، وهم من كان علىٰ ما كان عليه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، وهم الجماعة الذين اجتمعوا علىٰ شريعته وامتثلوا ما وصىٰ الله به في قوله تعالىٰ: ﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورىٰ: ١٣].

• ثم قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وَصَارَ الْـمُتَمَسِّكُونَ بِالإِسْلَامِ الْـمَحْضِ الْـخَالِصِ عَنِ الشَّوْبِ هُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْـجَمَاعَةِ**».

فخرج بهذا الوصف من ابتدع في دين الله أو خالف أصلًا من أصول أهل السنة، فخرج بذلك الأشاعرة والماتريدية الذين خالفوا في إثبات أسماء الله وصفاته علىٰ ما وردت في الكتاب والسنة، فهم يلحقون بفرق الضلال والبدع لمنازعتهم في الأصول التي أجمع عليها السلف من صحابة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ والتابعون من بعدهم وأئمة الهدىٰ، وخص شيخ الإسلام بالذكر: «**هُمُ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَفِيهِمُ الصِّدِّيقُونَ، وَالشُّهَدَاءِ، وَالصَّالِحُونَ، وَمِنْهُمُ أَعْلَامُ الْهُدَىٰ، وَمَصَابِيحُ الدُّجَىٰ، أُولو**

الْمَنَاقِبِ الْمَأْثُورَةِ، وَالْفَضَائِلِ الْمَذْكُورَةِ، وَفِيهِمُ الأَبْدَالُ، وَفِيهِمْ أَئِمَّةُ الدِّينِ، الَّذِينَ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَىٰ هِدَايَتِهِمْ وَدِرَايَتِهِمْ، وَهُمُ الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ الْحَقِّ مَنْصُورَةً، لا يَضُرُّهُم مَّنْ خَالَفَهُمْ، وَلا مَنْ خَذَلَهُمْ؛ حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ».

**والصديقون هم**: الذين صدقوا أقوالهم بأفعالهم، وهم المبالغون في الصدق والتصديق، **وأعلام الهدىٰ** هم: العلماء الهداة المرشدون إلىٰ طريق الخير، وهم أيضًا مصابيح الدجىٰ يهتدىٰ بهم ويسترشد بهم من ظلمات الجهل والبدع والخرافات والزيغ والانحرافات، وهم من حفظ الشريعة وحماها من تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

ثم ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ من أهل السنة من وصفهم: «أُولُو الْمَنَاقِبِ الْمَأْثُورَةِ، وَالْفَضَائِلِ الْمَذْكُورَةِ»: يقصد بهم الموصوفون بمناقب الشرف والعلم والعبادة والزهد والكرم وغير ذلك.

- ثم قال: «وَمِنْهُم الأَبْدَال»: قيل: هم الأولياء من العلماء والعباد، سمو بذلك لأنهم كلما مات منهم واحد أُبدل بآخر، سُئل الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ عن الأبدال، من هم؟ قال: «إن لم يكونوا أصحاب الحديث، فلا أعرف لله أبدالًا».
- ثم قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَفِيهِم أَئِمَّةُ الدِّينِ الَّذِينَ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَىٰ اتِّبَاعِهِم، وَأَئِمَّةُ الدِّينِ الْمُقْتَدَىٰ بِهِم الَّذِينَ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَىٰ هِدَايَتِهِم».

الإمام أحمد، والشافعي، ومالك، وأبي حنيفة، وسفيان الثوري، والأوزاعي، وغيرهم من المشهورين المعروفين؛ كشيخ الإسلام ابن تيمية، وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، هؤلاء هم أئمة الهدىٰ رَحِمَهُمُ اللَّهُ، أما أئمة الضلال هم أئمة البدع يدعون إلىٰ النار، قال تعالىٰ عن أئمة الضلال: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى

ٱلنَّارِۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾﴾ [القصص: ٤١].

• ثم قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في آخر كلامه عن أهل السنة والجماعة: «هم الطائفة المنصورة»: الذين نصرهم الله وهم داخلون في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر: ٥١].

• ثم قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الَّذِينَ قَالَ فِيهِم النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ وَلَا مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ**».

والحديث في الصحيحين عن عدد من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، والطائفة المنصورة كما ذكر أهل العلم يبقون إلىٰ قرب قيام الساعة، ثم يبعث الله ريحًا قبل قيام الساعة تقبض روح أهل الإيمان من الصالحين، ثم تقوم الساعة علىٰ شرار الخلق كما روىٰ مسلم من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ لَا يُقَالَ فِي الأَرْضِ: الله، الله**»(١).

ثم ختم شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ رسالته المباركة، بقوله: «**نَسْأَلُ اللهَ الْعَظِيمَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ، وَأَنْ لَا يُزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا، وَأَنْ يَهَبَ لَنَا مِنْ لَدُنْهُ رَحْمَةً إِنَّهُ هُوَ الْوَهَّابُ**»: والحمد لله رب العالمين علىٰ تمام نعمه علينا، ونسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجعلنا جميعًا وعلماءنا من الطائفة المنصورة، وألا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، وأن يهب لنا من لدنه رحمة، إنه هو الوهّاب، والله أعلم: «وصلّىٰ الله علىٰ مُحمدٍ وآله وصحبِهِ وسلّم تسليمًا كثيرًا».



(١) «صحيح مسلم» (١٤٨).

# الفهرس